بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك

كلية الآداب

قسم التاريخ/الدراسات العليا

أحوال الدولة الفاطمية في عهد الخليفتين الآمر بإحكام الله والحافظ لدين الله

495-544 هـ/1101-1149 م

The Conditions of the Fatimid state in the era of AL-Amir and AL-Hafiz (495-544/1101-1149 A.P)

اعداد:

صالح محمد ارميح خرانبه

2007240006

اشراف

الاستاذ الدكتور سليمان الخرابشة

2013 م

أحوال الدولة الفاطمية في عهد الخليفتين الآمر بإحكام الله والحافظ لدين الله

495-544 هـ/1101-1149 م

الاختصارات المستخدمة

الوفاة	ت
الهجري	هـ
الميلادي	م
القرن	ق
الطبعة	ط
الجزء	ج
الصفحة	ص
دون طبعة	د.ط
دون تاريخ نشر	د.ت
دون دار نشر	د.د.ن
دون مكان نشر	د.م
العدد بالنسبة للدوريات	ع
رقم الصفحة بالإنجليزي	P.
رقم الجزء بالإنجليزي	vol.

المحتويات

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية

الفصل الثّالث

الحياة الاجتماعيّة في عهد الخليفتين: الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله

الفصل الرابع

الحياة العلمية والعمرانية

المقدمة

أهمية الدراسة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين.

شهد العصر الفاطمي في عهد الخليفتين الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله في مصر تغيرات وتحديات عسكرية واقتصادية وعقائدية، كون الدولة الفاطمية أول دولة شيعية تحكم مصر، حيث حظيت بثراء عريض وكانت لها نظم ورسوم تتسم بالفخامة والبذخ والاحتفالات جذبت أقلام المؤرخين.

تسلط الدراسة الأضواء على الأحوال السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والعمرانية أبان خلافه الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله، مع إبراز وجهات النظر في هذه المجالات، وأهمية العلماء ورجال الفكر والمؤسسات الدينية. والجهد المتواضع محاوله قراءة الأحداث التاريخية في هذه الحقبة الزمنية القصيرة واستنباط العبر التي وردت في الوثائق والمصادر والمراجع المختلفة.

أهداف الدراسة

تحاول هذه الدراسة أن تجيب على الأسئلة التالية:

1. كيف كانت الأحوال الداخلية والخارجية والنظم الإدارية في فترة الدراسة ؟
2. هل هناك علاقة وتأثير للتطورات الإدارية والسياسية على المظاهر الاقتصادية؟
3. ما هي الاحتفالات والطقوس التي وجدت في فترة الدراسة ؟
4. ما هي التطورات العلمية والعمرانية في فترة الدراسة ؟

تتناول هذه الدراسة تاريخ الدولة الفاطمية في عهد الخليفتين الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله وازدياد تفوق الوزراء وما ترتب عليه من نتائج في فترة الدراسة.

تحاول الدراسة تسليط الأضواء على الأحداث الداخلية والخارجية التي وردت في المصادر ،إن هذه الحقبة الزمنية 495 هـ-544هـ/1149م-1101 م تشكل جزء هاما من تاريخ ألامه، يتمثل بأهمية العلم والعلماء، والحرص على الأخذ بعين الاعتبار الفوارق المذهبية والصراعات على المناصب الوزارية، تحرت الدراسة الأوضاع الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والعمرانية في عهد الخليفتين.

توزعت الدراسة على تمهيد وأربعة فصول وخاتمه واعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي في الدراسة، تتناول التمهيد السياسيتين الداخلية والخارجية والأحوال الاقتصادية لفترة ما قبل الدراسة، أما الفصل الأول فقد بحث الأحوال الداخلية والخارجية والنظم الإدارية والدواوين، وكيفية انتقال السلطة الفعلية من يد الخلفاء إلى أيدي الوزراء والحجاب وأمراء الجيش.

تناول الفصل الثاني، الحياة الاقتصادية وأنواعها ومواردها وأزماتها وطرق الإصلاح والإنتاج، والأسباب التي ساعدت على انتعاش الحركة التجارية وكسادها، إضافة إلى طرق المواصلات والعملات المستخدمة آنذاك.

أما الفصل الثالث، فقد تحدث عن الحياة الاجتماعية، من حيث الفئات الاجتماعية والطوائف الحرفية والمذاهب ومناسباتها وأعيادها، واثر ذلك على استقرار المجتمع المصري أو عدمه.

وأخيراً رصد الفصل الرابع الحياة العلمية والعمرانية والمؤسسات التي ساعدت على نشر العلوم كالمساجد والمدارس والبيمارستانات والمكتبات ودورها في تنمية الفكر في المجتمع الإسلامي إلى جانب كون هذه المؤسسات طرزاً معمارية لها نمط خاص في تلك الفترة.

تحليل مصادر الدراسة

تنوعت المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة أهم هذه المصادر هي:

أولاً الوثائق: يشمل هذا القسم الوثائق التي حفظتها لنا مؤلفات مؤرخي الفترة، بالإضافة إلى وثائق نادرة زودتني بمعلومات ذات قيمة تاريخية وهي وثائق أوراق الجنيزا القاهرية التي تم جمعها في متحف الوثائق والمخطوطات بالقدس وحملت الملف رقم (H. J. 2315)، وقد اعتمدت عليها الدراسة في موضوعات عدة أهمها علاقة أهل الذمة وعلاقتهم بالدولة، وبوثائق دير سانت كاترين في شبه جزيرة سيناء (29 وثيقة) مكتوبة بالعربية وتحمل (DSS, 2121) تم من خلالها التعرف على موقف الدول تجاه أهل الذمة والحياة الاجتماعية لأهل الذمة ، بعنوان وثائق اوراق الجنيزا في العصر الفاطمي .

واستفادت الدراسة من مجموعة الوثائق الفاطمية التي قدمها جمال الدين الشيال، يف كتابه مجموعة الوثائق الفاطمية المختلفة في شئون المجتمع والنظم الاقتصادية والحياه الدينية والإدارية.

ثانياً المخطوطات: بالإضافة لهذه الوثائق اعتمدت على قطعة من مخطوطة باريس في تاريخ مصر (Arabe) التي تحمل الرقم (10348)، ومخطوطة ليدن OR-NR 1.366.A الموجودة في مكتبة جامعة تل أبيب ضمن مخطوطات الحضارة والثقافة الإسلامية ومعنونه برقم OR.1366 .B,f,206A، والتي رصدت جانباً من تاريخ الفاطميين ضمن تاريخ عام للخلافة الإسلامية في القرنين الثالث والرابع الهجري، وحتى عام 451هـ.

ثالثا الحوليات:

1. **كتاب(ذيل تاريخ دمشق)** لحمزه بن اسد التميمي المعروف بابن القلنسي (ت 555هـ/1160م).صدر في بيروت سنة 1908م إفادة بمعلومات وافيه عن سياسية الفاطميين وعلاقاتهم الخارجية.
2. **كتاب (المنتقى من اخبار مصر)**، لابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف (ت667 هـ/1275 م)، هذا الكتاب قدم معلومات عن الأحداث التاريخية التي وقعت في فترة الدراسة إذ رتب المؤلف الأحداث على تاريخ السنين.
3. **كتاب (الكامل في التاريخ)** لابن الاثير (ت630هـ/1320م). ساهم هذا الكتاب بتقديم بتفاصيل هامه عن تاريخ الدولة الفاطمية في فترة الدراسة.
4. **كتاب (الروضتين في أخبار الدولتين)** لابي شامة، عبد الرحمن بن اسماعيل (ت666هـ/1267م)، قدم معلومات مهمة حول تفاصيل الأحداث التاريخية والأمور الشرعية في فترة الدراسة.
5. **كتاب (الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة)** ابن عبد الظاهر، محمد الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر (ت692هـ/1292) زودني بمعلومات هامة عن تاريخ الدولة الفاطمية إدارياً وحضارياً.
6. **كتاب (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا)** للمقريزي، تقي الدين احمد بن علي المقريزي (ت845هـ/1441م) . تحقيق محمد حلمي محمد احمد. أفاد الدراسة بمعلومات عن الخليفتين بتسلسل زمني مع إبراز الصراعات المذهبية.
7. **كتاب (صبح الاعشى في صناعة الانشاء)** للقلقشندي، احمد بن علي (ت821 هـ/1418 م). الصادر بالقاهرة عام 1922 عن دار الكتب المصرية .يعتبر هذا مصدراً وثائقياً زود الدراسة بمعلومات عن الإدارة والدواوين والاحتفالات والأعياد.

رابعاً: السير والتراجم:

1. **كتاب(دعائم الاسلام)** للقاضي النعمان بن محمد بن منصور (ت 363هـ/974م) تحقيق اصف بن علي فيضي، القاهرة 1951 . قدم لي معلومات هامه عن الشعائر الفاطمية والعقيدة والإمامة ويعتبر قاموس حقيقي للقانون الشيعي.

2. **كتاب (نزهة المقلتين في اخبار الدولتين)** لابن الطوير، عبد السلام بن حسن (ت617هـ/1220م). الصادر عن جمعية المستشرقين الالمان، تحقيق ايمن سيد، بيروت 1992. هذا الكتاب قدم لبحثي تفاصيل عن النظم والخلافة الفاطمية ومراسم الاحتفال للخلفاء.

3. **كتاب (الدرة في اخبار الدولة الفاطمية)** لابن ايبك، ابو بكر بن عبد الله بن ايبك (ت735هـ/1334م). لقد كان لهذا المصدر الدور الهام بتزويدي بمعلومات حول أحوال نهر النيل انحساره وفيضانه وتأثيره على المجتمع المصري وأطلق البعض على ابن شامة اسم مؤرخ النيل.

4. **كتاب (الاعتبار)** لأسامة بن منقذ زار مصر (سنة 539 هـ/ 1144م). زودني بمعلومات هامه خاصةً زمن خلافة الحافظ لدين الله، حيث شهد ابن منقذ الاضطرابات السياسية وتعرف على رجال الدولة واسرارها ودونها في كتاب الاعتبار الذي شكل مصدرا هاما، دقيقا، اعتمدت عليه في سرد الاحداث التاريخية زمن الخلافة .

5. **كتاب (الانتصار لواسطة عقد الانصار)** لابن دقماق، ابراهيم بن محمد (ت809هـ/1406م). أفاد الدراسة بمعلومات عن المؤسسات الفاطمية من الناحية العمرانية كالكنائس والأديرة والخانات والترب.

6. **كتاب (سفر نامه)** لناصر خسرو (ت481هـ/1188م). قد ساهم كتابه في فهمي الامور التاريخية زمن الفاطميين، كونه رحاله، سجل احداث رحلته في مصر الفاطمية يوم بيوم، وهذا الامر زودني بمعلومات عن الحياه الاجتماعية في فترة الدراسة.

7. **كتاب (اغاثة الامة بكشف الغمة)** للمقريزي، تقي الدين احمد بن علي المقريزي(ت845هـ/1441م). تناول هذا الكتاب تاريخ مصر الفاطمية كالمجاعات واسبابها والازمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية، ويصور لنا هذا الكتاب الحياة الاجتماعية للمجتمع المصري، وتغافل الأئمة الفاطميين عن شعوبهم وجعل همهم في جمع الاموال والاحتفاظ بالسلطة والحكم.

8. **كتاب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار)** للمقريزي ، صادر في القاهرة عن مكتبة مدبولي سنة 1988. زودني هذا الكتاب بتاريخ مصر الفاطمية، وقائمه تفصيليه واوصاف دقيقه للعمران والبناء، بجميع اشكاله في العصر الفاطمي. تميز هذا الكتاب بالملاحظات الشخصية للمقريزي، وكونه اول كتاب كتب في التاريخ العمراني وتاريخ المدينة الاسلامية، ان كتب المقريزي سهلت علي فهم كل ما يتعلق بالخليفتين من ناحية سرد السيرة التاريخية مفصلة بالسنين الدقيقة بالإضافة الى تعرفي واطلاعي على المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، إضافة إلى كتب المقريزي الأخرى المرصودة في قائمة المصادر أفادت الدراسة بمعلومات تاريخية متنوعة في جميع جوانبها.

9. **كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر)** لابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (808هـ/1405م). أفادني هذا الكتاب في ميدان الشريعة والتاريخ والجغرافية والامور الاجتماعية والاقتصادية.

10. **كتاب (الإشارة إلى من نال الوزارة)** لابي القاسم علي بن منجب ابن الصيرفي (ت 542هـ/ 1147م) صادر عن المعهد العلمي الفرنسي في القاهرة سنة 1924 ، تحقيق عبدالله مخلص. إن ابن الصيرفي كان معاصرا للفاطميين وعمل في دواوينهم زمن وزارة الافضل بن بدر الجمالي في ديوان المكاتبات سنة (495هـ / 1091م) وبقي يعمل في الديوان نصف قرن حتى وفاته، إن هذا الامر ساهم في استسقاء معلومات قيمه لدراستي خاصة عن الوزراء الفاطميين. وهناك كتاب اخر للصيرفي (قانون ديوان الرسائل) الذي أثرى الدراسة في فهم مجريات الاحداث في عهد الخليفتين، موضوع الدراسة.

11. **كتاب (عيون الأنباء في طبقات الاطباء)** لابن ابي أصيبعة، ابو العباس احمد بن القاسم ابن خليفة موفق الدين (ت667هـ/1270م). هذا الكتاب ساهم بتزويد الدراسة بمعلومات علمية حول الطب والاطباء في العصر الفاطمي.

12. **كتاب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)** لابن خلكان، احمد بن محمد (ت 681هـ/1282م) يتألف من 6 أجزاء. ان هذا الكتاب احد كتب السير والتراجم وقد زودني بمعلومات حول تاريخ الدولة الفاطمية وأشهر قادتها وفيه يتحدث عن وفيات مشاهير ألامه الإسلامية.

خامساً: المراجع الحديثة:

وهناك بعض الدراسات الحديثة، كان لها أهمية كبيرة في دراستنا، منها:

1. منها دراسة أيمن فؤاد عنوان " الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد"، أفادت الدراسة في موضوع الإدارة والانشقاقات المذهبية في عهد الخليفتين، ثم أفاد في الانجازات العمرانية والاقتصادية للوزراء وتغلغل أهل الذمة في الجهاز الإداري.

2. دراسة عبد المنعم ماجد، كتاب نظم ورسومهم في مصر، أفادت الدراسة في النظم السياسية والرسوم، والدراسة عبارة عن جزأين، القسم الأول تحليل نظام الإمامة، والثاني يستعرض النظم الرسمية.

3. كتاب حاتم محاميد، يستعرض الهزات السياسية والاقتصادية التي عصفت بالدولة الفاطمية، ويعتمد هذا الكتاب على المخطوطات والسجلات والوثائق الفاطمية.

4. دراسة حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، أفاد الدراسة بموضع الانشقاقات السياسية والخلاف بين نزار والمستعلي وانقسام الإسماعيلية إلى نزارية ومستعلية وكيف كانت سبباً في القضاء على الدولة الفاطمية.

5. دراسة جمال الدين علي بن ظاهر، أخبار الدولة المنقطعة، يقدم هذا الكتاب وصفاً دقيقاً لخلافة الآمر بأحكام الله والجاحظ لدين الله معتمداً على مراجع مهمة في اللغة الانجليزية.

6. أما كتاب عبد المنعم سلطان، الأسواق في العصر الفاطمي، يعتمد هذه الدراسة على وثائق تاريخية مهمة في حركة التجارة، وإيراد السواق والسلع، وهناك دراسة ولنفس المؤلف.

7. المجتمع المصري، يقدم دراسة شاملة لجميع فئات الشعب المدني، أفاد الدراسة في الاطلاع على العلاقات الأسرية في المجتمع المصري.

8. دراسة قاسم عبده قاسم، أهل الذمة في مصر، قدم منه موقف الشريعة الإسلامية من أهل الذمة، في الأحوال العامة.

التّمهيد

أحوال الدّولة الفاطميّة قبيل عهد الخليفتين الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله

أوّلاً: الأحوال الدّاخليّة

ثانيًا: الأحوال الخارجيّة

الأحوال الداخلية:

1. الأحوال السياسية:

يحاول هذا التمهيد تقديم صورة مبسطة للأحوال الداخلية والخارجية، لفترة ما قبل الدراسة، ورصد النقاط الأساسية التي بقي لها اثر كبير على مجريات السياسة الداخلية والخارجية لفترة الدراسة، فعلى صعيد الأحوال الداخلية:

صغر سن الخلفاء، كان تولي بعض الخلفاء السلطة وهم سبع سنين (427–487هـ/1036–1094م) [1]، أثر كبير في عدم استقرار الجبهة الداخلية لسنوات طويلة، إذ وقع الخليفة طوال فترة حكمه تحت سلطة الوزراء، كوزير أبيه أبي القاسم علي بن عبدالله الجرجاني[2]، وتحكم والدته في أمور الدولة[3]. وقد أثر هذان العاملان على توزيع السلطة الفعلية بين الوزير ووالده الخليفة، واخذ كل منهم بتكوين سلطة خاصة تحميها فرق خاصة من العبيد والحرس الخاص، وخزائن خاصة، مما اثر على قوة الجيش المركزية، انعكست أثارها فيما بعد عل إذكاء الفتنة بين الأتراك العنصر الرئيس في الجيش والمليشيات الخاصة دفع ثمنها السكان روحا ومالا [4]، كما إن هذا الصراع قد قوى من سلطة خادم أم الخليفة اليهودي نجم أبي سعد التستري في عهد الوزير أبي منصور صدقة بن

(1) المقريزي، أحمد بن علي (ت845/1441م) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، ط2، 1996، ج2، ص187 فما بعد.

(2) علي بن أحمد الجرجراني: هو وزير الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، كان مقطوع اليدين من المرفقين ... وقيل أن الخليفة الحاكم في أمر الله قطعهما سنة 404هـ/ 1013، عراقي الأصل، فاطمي المذهب، عين على رأس ديوان النفقات ثم صار فيما بعد وزيراً سنة 418هـ / 1027م. توفي سنة 436هـ/1044. انظر: ابن الصيرفي، علي بن منجب (ت 542هـ/1147م)، الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: عبد الله مخلص، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي الإشارة، ص78؛ النويري، احمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1332م) نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2004،ج 28، ص132.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص184.

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص267.

يوسف الفلاحي [1]. بعد إن ضغطت أم الخليفة على ولدها لغض الطرف عن تجاوزاته، مما اضعف سلطة الوزير [2]،الذي لجأ إلى إحداث الفتنة بين فرق الجيش لاستعادة سلطته التنفيذية، مما أشعل القتال بينهما في أحيان كثيرة [3]، كل هذا اضعف سلطة الخليفة الذي بدأ عاجزاً عن معاقبة المسؤولين عن الفتنة، ورضخ لقوة أمه وضغوطها حتى عزل التستري وقتله سنة 440هـ/ 1048م [4].

قويت شوكة الجند الأتراك بعد قتل التستري، وانتصارهم في السودان في وقعة كوم شريك[5]، وزادت عطاياهم حتى ارتفعت من 28.0الى 40.0 دينار في الشهر [6].

لكن هذا لم يستمر طويلا بعد تفرد ناصر بن حمدان بإدارة الأمور، فنقم عليه الأتراك، وعملوا على إخراجه بالتعاون مع الدكز [7].

---

(1) صدقة بن يوسف الفلاحي: كان يهودي، ثم اسلم، وانتسب إلى المذهب الفاطمي، كان بارعاً في ظروف الكتابة والبلاغة، ولي الأمر النظارة في الشام، هرب إلى القاهرة حيث لاذ بالجرجرائيين الذي أشار بتوزيره سنة 436هـ/ 1044م، قتل سنة 440هـ/ أنظر: ابن الصيرفي، الإشارة ص76؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ث191.

(2) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص5؛ النويري، نهاية الأرب، ج28، ص137؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص195.

(3) ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص75؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص195.

(4) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص8؛ النويري، نهاية الأرب، ج28، ص138؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص196.

(5) كوم شريك: إحدى قرى مركز كوم حمادة بمحافظة البحيرة قرب الإسكندرية. ياقوت الحموي؛ معجم البلدان، ج4، ص 495؛ القريزي، الواعظ والاعتبار، ج1، ص339.

(6) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص32؛ النويري، نهاية الأرب، ج28، ص225؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص275؛ سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر،- تفسير جديد، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007، ص200؛ سرور الدولة الفاطمية، ص103.

(7) الدكز: أسد الدولة، كان شيخ الأتراك والمقدم عليهم، تزوج ابنة ناصر الدولة بن حمدان، ولم يمنع هذا إن يدبر كل منهما المكائد للأخر، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص92.

لكن ناصر الدولة راسل السلطان السلجوقي في ألب ارسلان[1]، سنة 462هـ/ 1069م لإبطال الخطبة للخليفة المستنصر بالله وإزالة الفاطميين من مصر لصالح العباسيين[2].

أنتجت الصراعات الداخلية هذه، ما سمي بالشدة المستنصرية[3]، التي استمرت سبع سنوات ابتداء من 457هـ/ 1064م، أسفر عنها تفشي الأمراض والموت بسبب القحط والجفاف الذي أصاب مصر.

فاضطر الأتراك إلى مصالحة ابن حمدان، على إن يقيم بالبحيرة وتعاد له مخصصاته ، مقابل فك الحصار عن أهل الناصرة[4]، لكن هذا لم يدم طويلاً، وعاد الصراع على أشده.

حتى تم التخلص من ابن حمدان وقتله سنة 465هـ/ 1073م[5]، كل ذلك ادخل مصر في حالة من الفوضى السياسية والأمنية حتى انحصر نفوذ الخليفة داخل القصر فقط، فاستعان بالخليفة بدر الجمالي[6] سنة 466هـ/ 1074م.الذي استطاع إعادة الأمور إلى نصابها لصالح الخليفة، بعد أن ادخل الأرمن عنصراً أرمنياً في الجيش، وأصبح وزير السيف والقلم[1].

---

(1) سلطان السلاجقة: وهو عضد الدين أبو شجاع بن أخي ركن الدين طغرلبك، تولى السلطة بين سنتي 455-465هـ/ 1063-1072م. العماد الأصفهاني، محمد بن محمد (ت 597/م)، تاريخ دول آل سلجوق، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2004، ص199 فما بعد. ابن الأثير، الكامل، ج8، ص113.

(2) هو محمود بن ثمال بن صالح بن مرداس، رشيد الدولة الذي حكم حلب مرتين في الفترة من 452-453هـ/ 1060-1062م، والفترة من 468-454هـ/ 1075- 1062م، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص302.

(3) سيتم الحديث عن الشدة المستنصرية ص16.

(4) النويري، نهاية الأرب، ج28، ص147؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص305؛ أيمن سيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص203، سرور، الدولة الفاطمية، ص106.

(5) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص36-39؛ النويري، نهاية الإرب، ج28، ص232؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص310؛ ابن تعزي بردي، النجوم الزاهرة، ص23-21؛ سرور، الدولة الفاطمية، ص107

(6) كان بدر الجمالي ارمني الجنس. اشتراه جمال الدولة بن عمار، وتربى عند. وكان يلقب (امير الجيوش). ولي دمشق وسائر الشام دفعتين. دخل مصر سنة 466هـ/ 1073م، فخلع عليه وبطل حينئذ أمر الوزارة. توفي سنة 488هـ/ 1095م. ابن الصيرفي، الاشارة، ص56-55. انظر أيضاً ابن القلانسي، حمزة ابن القلانسي (ت 555هـ/ 1160م) ذيل تاريخ

ويمثل تولي بدر الجمالي (السيف والقلم) في الدولة الفاطمية بداية عصر جديد في تاريخها، وبذلك يكون بدر الجمالي أول قائد عسكري يتولى منصب الوزارة في الدولة الفاطمية، فيكون بذلك قد جمع بين السلطة العسكرية باعتباره القائد الأعلى للجيش، والسلطة المدنية باعتباره الوزير[2]، ويعلق المقريزي على ذلك بقوله: " فصارت الوزارة من حينئذ وزارة تفويض، ويقال لمتوليها: أمير الجيش، وبطل اسم الوزارة"[3].

وما زاد في ضعف السياسة الفاطمية وضعف سيطرتها على مصر بعد وفاة بدر الجمال، ما قامت به الدولة لوقف الحركات الشعبية إزاء حلول المجاعات والأوبئة، فكانت النتيجة ضعف سيطرتها، واضطراب حبل الأمن الذي تسبب في نقص الموارد المائية، وبالتالي عجزها عن دفع رواتب الجند، وتقلصت سيطرتها خارج الأراضي المصرية[4].

وعندما بدأ الضعف يستشري في مؤسسة الخلافة في الدولة الفاطمية، خرج حق اختيار الخليفة من أيدي أصحابه، وانتقل إلى الوزراء الذين أصبحت في أيديهم السلطة الفعلية. فالخليفة المستنصر بالله اختر لخلافته في الإمامة ابنه أبا منصور نزار، وجعل إليه ولاية العهد من بعده سنة 487هـ/ 1094م.

دمشق، بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، 1908، ص128-127؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص448؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10، ص95.

(1) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص56.

(2) ابن ميسر، المنتقى، ص40-39؛ ابن الصيرفي، الإشارة، ص55؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص346؛ انظر: أيمن سيد، الدولة الفاطمية، ص322-321.

(3) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص346؛ انظر: أيمن سيد، الدولة الفاطمية، ص322-321.

(4) القلقشندي، احمد بن علي (ت 821هـ/ 1418م) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة، دار الكتب المصرية، ج6، ص463-458.

كان من نتائج تدخّل الأفضل في تولية المستعلي بالله، أن انقسمت الإسماعيلية إلى فرقتين: فرقة تقول بإمامة المستعلي، وفرقة تطعن في إمامة المستعلي،[1]، كان للعداء الذي نشأ بين (النزارية) و(المستعلية) أثره الخطير على حياة الدعوة الإسماعيلية بشكل خاصّ والدولة الفاطمية بشكل عام، فبدل أن تتوحد الدّعوة انقسمت على نفسها، مما أشغل الدولة بالقضاء على القلاقل والمؤامرات التي أثارها أتباع (النزارية) بالإضافة إلى عمله على إضعاف النفوذ الفاطمي من خلال إلغاء الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم وابنته فاطمة وزوجها علي بن أبي طالب، والخليفة القائم بالأمر، خاصّة وأنّ الفاطميين كانوا شديدي الحرص على الاحتفال بموالدهم لإظهار انتمائهم بالنّسب غلى علي بن أبي طالب[2].

وهكذا كان ضعف الخلفاء وتدخل الوزراء والحريم وقادة العسكر والانقسام المذهبي اثر كبير في رسم السياسة الداخلية الفاطمية طوال هذه الفترة.

---

(1) فارق إتباع النزارية الدعوة الفاطمية في مصر، وانشئوا لهم مركزاً في الموت بزعامة الحسن بن الصباح، وكانت بين الفرقتين (النزارية، المستعلية) خصومات عقدية ومؤامرات دموية، منها أن إتباع ابن الصباح قتلوا الخليفة الآمر سنة 524هـ/1129م. واشتهر الوزير الفاطمي ابن البطائحي بتتبع جواسيس الحسن بن الصباح الذي كان يراسلهم من قلعته في الموت، ليخربوا ويدمروا. فكان ابن البطائحي يبث عيونه عليهم في مكان منذ نزلوهم ويقتلون. انظر: ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص98؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص85، 109؛ خرابشة، المأمون البطائحي وزير الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمي 515-519هـ/1122-1125م، أبحاث اليرموك: سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2003، ص 1291-1292؛ المناوي، الوزراء والوزارة في العصر الفاطمي، ص141-138.

(2) سرور، الدولة الفاطمية، ص119-118.

2. الأحوال الاقتصادية

تناقص منسوب نهر النيل مراراً في أعوام 444هـ/1052م، 447هـ/1055م، 457-463هـ/1064-1071م، ممّا أوقع مصر في أصعب أزمة اقتصادية مرت بها في العصر الإسلامي، الأمر الّذي أدّى إلى زيادة في الأسعار، وتزايد موجات الغلاء، وتعطّلت الأراضي عن الزراعة، وانتشر الوباء بين الناس، واستولى عليهم الجوع بسبب قلة الأقوات والمؤن[1]. حتى بيع رغيف الخبز في النداء بزقاق القناديل من الفسطاط بخمسة عشر ديناراً.

وقد تأثر الخليفة نفسه بهذه الأحوال حتى قيل انه لم يبق في مصر إلا الحصير وبعض الأدوات الخاصة، وأصاب أهل بيته الجوع، حتى لا يأكلون إلا ما تيسر من الفتيت مرة واحدة في اليوم[2].

ويعود سبب ذهه الازمة إلى عوامل الاختلاف بين فرق الجيش والفرق المذهبية، والجفاف والقحط[3].

ولم تقتصر هذه الأزمة على مصر وحدها بل لقد عمت سائر بلاد الشام والجزيرة والموصل والحجاز واليمن وغيرها، التي تميزت بشدة الأمراض والاوبئة التي فتكت بالناس ليلا نهاراً[4]

وقد زاد من الآثار السّيئة لهذه الأزمات أن رافقها انتشار الأوبئة والأمراض. ففي سنة 448هـ/1056م كان يموت في كلّ يوم ألف نفس على الأقل، وفي سنة 457هـ/1064م زاد الوباء

---

(1) النويري، نهاية الأرب، ج28، ص149؛ المقريزي، المقفى، ج3، ص387.

(2) انظر : المقريزي، الخطط، ج1، ص337؛ أيمن سيد، الدولة الفاطمية، ص205.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص197. סטילמן ، יהודי ארצות ערב ירושלים 1997עמ' 53-40.

(4)ابن الأثير، الكامل، ج8، ص79.

حتّى كان الفرد من أهل البيت يموت ثمّ لم يلبث أن يموت بقيّة أفراد البيت في آخر النّهار أو في الليل[1].

ثانياً: الأحوال الخارجية:

أما على الصعيد الخارجي، فقد تمثلت علاقة الفاطميين بثلاث محاور العباسيين والصليبيين والبيزنطيين، تمثلت فيها علاقة الفاطميين بالعباسيين بالعداء، لان الخليفة المستنصر تطلع إلى امتداد الخلافة إلى بغداد ولذلك استطاع إن يضم البساسيري[2]،احد قادة العباسيين إلى جانبه وقريش ابن بدران[3]، وبعد صراع طويل مع السلاجقة.

تمكن البساسيري من إقامة الخطبة للخليفة المستنصر بالله الفاطمي في جميع مساجد مدينة بغداد بعد أن أتمّ سيطرته عليها، كما تمكّن من ضرب ألقابه على السّكة[4]. ثمّ أمر أن يخطب للخليفة الفاطميّ على منابر واسط والبصرة وأعمالهما[5]. ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ، بل أنّ

---

(1) المصدر نفسه، ج1، ص88.

(2) البساسيري: أرسلان بن عبد الله أبو الحارث، قائد تركي الأصل من مماليك بني بويه، خدم القائم العباسي وقلده الأمور بأسرها، وعظم أمره، وهابته الملوك، وتلقب بالمظفر، ثم خرج على طاعة القائم العباسي، وخطب للمستنصر الفاطمي صاحب مصر سنة (450هـ / 1059م)، وأخذ البيعة له، ثم تغلب عليه عساكر طغرلبك فقتلوه سنة 451هـ/1059م، انظر: ابن الأثير، الكامل، ج8، ص53 فما بعد ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص252 فما بعد؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت 808هـ/1405م) تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 2003، ج3، ص551 فما بعد؛ الزركلي، الأعلام، ج1، ص287- 288.

(3) المؤيد في الدين الشيرازي، هبة الله بن موسى(ت470هـ/م) مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية، تحقيق: عارف تامر، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1983، ص 160-158؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص87؛ الزهراني، محمد مسفر، نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية 447-590هـ، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1982، ص79.
עוטרה סמואל – היהדים תחת שלטון הערבים הפטמים והאיובים במצרים , ירושלים 1998 עמ' 12-13.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص37؛ الزهراني، نفوذ السلاجقة، ص84.

(5) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص256؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص84.

البساسيري جمع أعيان العلويّين والعبّاسيّين وقاضي القضاة وأخذ عليهم البيعة للخليفة المستنصر بالله الفاطمي[1]. ويضيف المقريزي أنّ البساسيري أجبر الخليفة القائم بأمر الله العبّاسي على أن يكتب له اعترافًا بأنّه لا حقّ له ولا للعبّاسيين في الخلافة مع وجود بني فاطمة الزهراء، وأشهد عليه الشّهود، ثمّ بعث بالاعتراف إلى الخليفة المستنصر بالله الفاطميّ[2].

لم تستمر حركة البساسيري، ولم تعزّزها الدولة الفاطمية بالدعم المادي والمعنوي مع أنّهم كانوا ينتظرون هذه الفرصة، ويعملون عليها، خاصّة مع انتشار المجاعات والظّروف الصّعبة في مصر. إذ لم يتلقّ البساسيري معونات إضافيّة من الخلافة الفاطمية تمكّنه من الاستمرار في مقاومة السّلاجقة. ونتيجة هذه الأزمة العاتية فقد خرجت كثير من البلاد عن سلطان المستنصر. فقُتل البساسيري في العراق سنة 451هـ/1059م وعادت بغداد إلى الخلافة العبّاسية، وقطعت الخطبة للمستنصر في مكّة والمدينة، وخطب بهما للخليفة العبّاسي في سنة 462هـ/1070م[3]، ودخل النّورمان صقلية واستولوا عليها، فخرجت عن حكم الفاطميّين سنة 463هـ/1071م[4]، بعد أن ظلّت جزءًا من أملاكهم منذ أن قامت دولتهم[5].

أما على صعيد علاقة الفاطميين بالصليبين، بدأ الصليبيون حصار أنطاكية سنة 490هـ/ 1096م، وأسسوا إمارتهم عام 1097م[6].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص44.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص253؛ الزهراني، نفوذ السلاجقة، ص84.

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص85.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص88.

(5) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص335؛ ماجد، عبد المنعم، الإمام المستنصر بالله الفاطمي، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، ص67 فما بعدها.

(6) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص186-185؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص196؛ . اتعاظ الحنفا، ج3، ص20؛ المعاضدي، الحياة السياسية في بلاد الشام، ص118.

تمكّن الصّليبيون من خداع القوى الإسلاميّة في مصر وبلاد الشام عن نجدة أنطاكية، إلاّ أنّ الأفضل بن بدر الجمال اكتشف النوايا الحقيقيّة للصليبيّين من استيلائهم على أنطاكية ألا وهو المسير إلى بيت المقدس للسيطرة عليها، فأرسل إليهم سفارة ثانية وصلت إليهم وهم قريبون من طرابلس، وكان الهدف من وراء هذه السفارة هو التّعرف على أهداف الصّليبيين الحقيقيّة في بلاد الشام، كما أنّه هنّأهم على ما فعلوه من السّيطرة على أنطاكية، وطلب منهم التشديد على السلاجقة، ثمّ عرض عليهم السماح لحجّاج الصليبيّين زيارة كنيسة القيامة في بيت المقدس على شكل مجموعات يتراوح عددهم من مائتين إلى ثلاثمائة حاجّ، بشرط ألاّ يكونوا مسلّحين[1]، إلاّ أنّ الصّليبيّين رفضوا ذلك العرض، بل إنّهم أفصحوا عن نواياهم الحقيقيّة في السيطرة على بيت المقدس، عندما أخبروا سفارة الأفضل أنّهم ماضون إلى بيت المقدس في جيش واحد متّحد، بل إنّهم هدّدوا الأفضل نفسه بالزّحف إلى مصر نفسها[2].

وعلى الرغم من أنّ الدولة الفاطمية كانت تتمتّع بقدر كبير من القوة والأمن والرخاء والاستقرار في عهد الأفضل، إلاّ أنّ الجيش الفاطميّ لم يشارك في القوات التي أُرسلت للدفاع عن أنطاكية، وهذا ما أشار إليه ابن تغري بردي حيث يقول: "ولم ينهض الأفضل بإخراج عساكر مصر، وما أدري ما كان السبب في عدم إخراجه مع قدرته على المال والرّجال... كلّ ذلك وعساكر مصر لم تتهيّأ

---

(1) جيل، ريموندا، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، نقله إلى العربية: حسين محمد عطية، مكتبة التاريخ الوسيط، ط1، 1989، ص188؛ الصوري، تاريخ الأعمال، ج2، ص57؛ غوانمة، يوسف درويش، الأفضل بن بدر الجمالي وموقفه من الحملة الصليبية الأولى، مجلة كلية الآداب، الرياض، جامعة الملك سعود، مجلد10، 1983، ص7.

(2) ريموندا، تاريخ الفرنجة، ص188؛ الصوري، تاريخ الأعمال، ج1ج2 ص57.

للخروج"[1]. كمّا عبر وليم الصّوري عن ذلك بقوله: "إنّ خليفة مصر هو أقوى السّلاطين بسبب كثرة ما لديه من المال والرّجال"[2].

أمّا موقف الدولة الفاطمية من سقوط بيت المقدس فقد عبّر عنه الأفضل بن بدر الجمالي. إذ ندم على ذلك لأنّه تآمر مع الصّليبيّين للانتقام من السلاجقة، وقد أكّد ابن ظافر الأزدي ذلك بقوله: "ولمّا ملك الفرنج القدس ندم الأفضل حيث لم ينفعه الندم، إلاّ أنّه أحبّ نزولهم الساحل ليكونوا مانعين من نفوذ الأتراك إلى ديار مصر"[3]، خاصّة وأنّ الأفضل كان قد اتّفق مع الصّليبيين على اقتسام أملاك السلاجقة في بلاد الشام، فاعتبر سيطرة الفرنجة على بيت المقدس بمثابة نقض للمعاهدة، فقام الأفضل وأرسل رسالة إلى الصّليبيّين يوبّخهم بها على ما فعلوه من نقضهم للمعاهدة وسيطرتهم على بيت المقدس[4].

وعلى الرّغم من محاولات الأفضل استرجاع المناطق التي سيطر عليها الصّليبيون، إلاّ أنّه مني بالفشل، ففي سنة 504هـ/1110م قام أمير عسقلان من قبل الفاطميين (شمس الخلافة)[5] بمراسلة الفرنج، وهادنهم وتحصن بهم في مواجهة الفاطميين فجهز الأفضل جيشًا وسيره نحو عسقلان، إلاّ أنّ أهل عسقلان كانوا أسرع في النّيل من واليهم، فوثبوا به وقتلوه، فأنقذت عسقلان من الوقوع تحت سيطرة الصّليبيين[6].

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص147-146.

(2) الصوري، تاريخ الأعمال، ج1، ص304.

(3)ابن ظافر الازدي، أخبار الدول المنقطعة، ص92.

(4) ابن ميسر، المنتقى، ص67؛ عاشور، شخصية الدولة الفاطمية، ص24.

(5) من اهم القادة العسكرين زمن خلافة الامر بحكام الله اشتهر بالحنكة العسكرية ورباطة الجأش. (ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 88.)

(6) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص172؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص261-260؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص47-46، 51-50.

ويلاحظ ممّا سبق أنّ الدولة الفاطميّة قبل عهد الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله، كان يسودها الاضطراب في الداخل، حيث سيطر الوزراء على الحكم فيها، ممّا انعكس سلبًا على هذه الدولة، وممّا زاد من مظاهر الضّعف فيها ما تعرّضت له من انحسار نفوذها في بلاد الشّام، خاصّة بعد امتداد النّفوذ السّلجوقيّ على بلاد الشام، ثمّ تعرضها للغزو الصّليبيّ.

3. علاقة الفاطميّين مع البيزنطيّين

إستمرّت العلاقات الودية بين الفاطميّين والبيزنطيّين في عهد الإمبراطور قسطنطين التّاسع، الّذي بادر إلى إرسال هديّة عظيمة إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله سنة 437هـ/1045م اشتملت على ثلاثين قنطارًا[1] من الذّهب، وبغل وحصان من أحسن الدّواب وأعلاها قيمة، على كلّ منها ثوب ديباج روميّ منقوش ثقيل، وخمسين بغلاً عليها مائة صندوق مصفّحة بالفضة، تحتوي على آنية من الذّهب والفضّة وغيرها من الهدايا[2]. وقد ردّ الخليفة المستنصر بالله على هذه الهدية بأن أرسل هدية أكبر منها احتوت على الجواهر والمسك والعود والطّرز[3].

حاول الخليفة المستنصر بالله الاستفادة من ودّيّة العلاقات مع البيزنطيّين للعمل على إنعاش مصر اقتصاديا. ففي سنة 446هـ/1053م كانت مصر في محنة اقتصاديّة ومجاعة عظيمة نتج عنها غلاء شديد بالأسعار وندرة في المؤن والأقوات، فأرسل الخليفة المستنصر بالله إلى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين التّاسع يطلب منه الغوث والمعونة بإرسال أربعمائة ألف أردبّ من القمح[4]. فوافق الإمبراطور البيزنطيّ على إرسالها، إلاّ أنّه توفّي قبل ذلك، وخلفته على الحكم الإمبراطورة ثيودورا الّتي اشترطت على الخليفة المستنصر أن يمدّها بالجنود إذا ما تعرّضت بلادها للعدوان،

(1) كانت قيمة كل قنطار سبعة آلاف ومائتا دينار.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص194.

(3) المصدر نفسه.

(4) يذكر المقريزي أن قسطنطين التاسع أرسل مائة ألف قفيز من القمح، اتعاظ الحنفا، ج2، ص227.

مقابل تقديم المساعدة الاقتصادية له. إلاّ أن الخليفة المستنصر رفض ذلك، وحالت الإمبراطورة دون إرسال المساعدات إلى مصر[1].

غضب الخليفة المستنصر من سياسة الإمبراطورة تيودورا تجاه مصر، فأرسل القاضي أبو عبد الله القضاعي[2] سفيرًا إلى البيزنطيّين لتسوية الخلاف بين الدّولتين، إلاّ أنّ الإمبراطورة أساءت إلى السّفير القضاعي حيث لم تحفل بوجوده في بلاطها ممثّلاً للدّولة الفاطميّة، في حين رحّبت بسفير السّلطان طغرلبك السّلجوقي الّذي وصل إلى القسطنطينية يحمل رسالة السّلطان السّلجوقي ويطلب فيها السماح له بالصلاة في جامع القسطنطينية فأذنت له بذلك، وما ذاك إلاّ خوفًا من قوّة السّلاجقة المتزايدة والتي تشكل تهديدًا قويًا للبيزنطيّين، فدخل السفير السلجوقي المسجد وصلّى فيه الجمعة وأقام الخطبة للخليفة القائم بأمر الله العبّاسيّ[3].

توتّرت العلاقات بين الدّولة الفاطميّة والإمبراطوريّة البيزنطيّة في عهد الإمبراطورة ثيودورا، بسبب سياستها العدائية للفاطميين، الّذين أخذ سلطانهم بالإضمحلال التدريجي في بلاد المغرب، بالإضافة الصعاب والمشاكل الكبيرة التي أخذوا يواجهونها في مصر، ممّا دفع الخليفة المستنصر إلى مصادرة كنوز كنيسة القيامة وأخرج البطرك منها إلى دار خاصّة به، وأغلق أبواب كنائس مصر والشام، وطالب الرّهبان بدفع الجزية عن أربع سنوات مقدّمًا، كما زاد في مقدار الجزية المفروضة على النّصارى، كردّ فعل على ما قامت به الإمبراطورة ثيودورا، مما زاد في توتّر العلاقات بين

---

(1) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص157، - اتعاظ الحنفا، ج2، ص227؛ عنان، محمد عبد الله، مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1969، ص115.

(2) القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، الشافعي المصري، من أئمة الحفاظ والمحدثين، ومن أقطاب الفقه الشافعي، وأعلام التاريخ والأدب، كان يلي نيابة القضاء كلما خلا منصب قاضي القضاة بالوفاة أو العزل، توفي بمصر سنة 454هـ/1062م. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص93-92.

(3) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، 158؛ - اتعاظ الحنفا، ج2، ص230؛ سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ص246.

الفاطميّين والبيزنطيّين. وقد استمرّت القطيعة بين الفاطميّين والبيزنطيّين منذ ذلك التّاريخ وحتّى بداية الحروب الصّليبيّة. [1]

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص230؛ المواعظ والاعتبار، ج2، ص158؛ عنان، مصر الإسلامية، ص119.

الفصل الأول

الأحوال السياسية والإدارية في عهد الخليفتين الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله 495-544هـ/ 1101-1149م

أولاً: الأحوال السياسية:

1. ظروف تولي الآمر بأحكام الله.

2. ظروف تولي الحافظ لدين الله.

ثانياً: الأحوال الداخلية في مصر في عهد الخليفتين

ثالثاً: العلاقات الخارجية (موقف الدولة الفاطمية من الغزو الصليبي).

رابعاً: النظم الإدارية (أرباب السيوف، أرباب الوظائف الدينية والديوانية، المناصب الإدارية والدواوين).

أولاً: ظروف تولي الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله الحكم

1. الآمر بأحكام الله مولده ونشأته وظروف توليه الخلافة

أبو علي المنصور الملقب الآمر بأحكام الله بن المستعلي بن المستنصر بن الظاهر ابن الحاكم العبيدي ولد في القاهرة سنة "490هـ/1097م" وكان هو أصغر من تسلم الخلافة من الخلفاء الفاطميين وهو في الخامسة من عمره (9 صفر 495هـ/ 1101م، وبويع الآمر بالخلافة بالولاية يوم مات أبوه وقام بتدبير دولته الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش وكان وزير والده، ولما اشتد الآمر وفطن لنفسه قتل الأفضل، واستوزر المأمون أبن عبيد الله بن أبي شجاع فاتك بن أبي الحسن مختار المعروف بابن فاتك البطائحي، فاستولى هذا الوزير عليه، وقبح سمعته وأساء السيرة، ولما كثر ذلك منه قبض عليه الآمر أيضاً ليلة السبت رابع شهر رمضان سنة 519هـ /1125م،واستصفى جميع أمواله، ثم قتله في رجب سنة 521هـ/ 1127م، وصلب بظاهر القاهرة وقتل معه خمسةً من إخوته، أحدهم يقال له المؤتمن، وكان متكبراً متجبراً خارجاً عن طوره، وله أخبار مشهورة [1].

ثم ظهر في مدة القبض على المأمون المصادرات على يد الراهب المسمى أبا شجاع بن قسا، فلم يبق أحد إلا وناله بمكروه من ضرب ونهب مال، وكان هذا الراهب في ابتداء حاله يخدم ولي الدولة أبا البركات ين يحيى بن أبي الليث ثم اتصل بالآمر وبذل في مصادرة قوم من النصارى مائة ألف دينار، فأطلق يده فيهم، وتسلسل الحال إلى أن عم البلاد جميع رؤساء مصر وقضاتها وكتابها[2].

---

(1) عارف تامر، موسوعة الخلفاء الفاطميين، ص 3، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص299، ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص62.

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص299-302. الذهبي، سير أعلام النبلاء ج11 ص447.

وقد وصف الآمر بالمكر واللهو وانشغاله بالملذات وثراه الفاحش وبقي في الملك تسعاً وعشرين سنة إلى أن خرج يوماً للتنزه خارج القاهرة، 524هـ/1129م، فتعرض إلى اعتداء[1]، ويروي المقريزي أن جماعة من النزارية هاجموا انتقاما منه بسبب خلاف أبيه المستعلي بالله وعمه نزار على عرش الفاطميين في مصر، فحمل الآمر إلى القصر وتوفي عام 524هـ/1129م[2].

كان الآمر بأحكام الله مطلوباً من الطائفة النزارية لأنه وأباه المستعلي يعتبران غاصبين للخلافة، لذلك اتخذت إجراءات أمنية مشددة اضافية رتبها الوزير مأمون البطائحي لحمايته[3]، ومع ذلك نجح عدد منهم في الوصول إليه وهو خارج إلى جزيرة الروضة، وقتلوه يوم الثلاثاء، ثاني أيام ذي القعدة سنة 524هـ/1130م[4].

ولان الأمر لم يكن له ولد يرثه [5].فجيء بأبي ميمون عبد المجيد أكبر الأقارب سناً وبويع بولاية العهد، وتدبير المملكة[6] فجعل عبد المجيد، هزار الملوك جوامرد وزيراً له، فلم ترض به طوائف الجند وثاروا عليه في نفس يوم توليته[7].

---

(1) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، ت748هـ/1374م، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ج15، ص197.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص130.

(3) السيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، 2000، ص242.

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص26.

(5) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص174.

(6) ابن الطوير، نزهة المقتلين، ص27.

(7) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص138-137.

وأخرجوا أبا علي أحمد بن الأفضل شاهنشاه الملقب كتيفات وفرضوه وزيراً في 16 ذي القعدة، 524هـ/1130م[1]. وكان أبو علي قوي الجانب فقبض على ولي العهد واعتقله واسقط اسم إسماعيل بن جعفر الصادق، الذي انتسب إليه الإسماعيلية وأزال من الآذان عبارة حي على خير العمل وقطع الخطبة وقطع التي كانت للحافظ- ودعا للإمام المنتظر الاثني عشري ونقش اسمه على السكة نائباً عنه[2].

واتخذ لنفسه اللقب التالي (السيد الأجل الأفضل، مالك أصحاب الدول والمحامي عن حوزة الدين وناشر جناح العدل على المسلمين الأقربين والأبعدين، ناصر إمام الحق في حالتي غيبة وحضوره، والقائم بنصرته بماضي سيفه وصائب رأيه وتدبيره أمين الله على عباده)[3]، كذلك عمل على تفريق الغلال على الناس على سبيل الأنعام، ورد على الناس الأموال التي فضلت في بيت المال من مال المصادرات التي أخذت في أيام مباشرة الراهب وأعاد أملاكاً كثيرة إلى أربابها[4].

2. الحافظ الدين الله مولده ونشأته وظروف توليه الخلافة

هو أَبُو المَيْمُوْنِ عَبْدُ المَجِيْدِ بنُ الأمير محمد بن المستنصر بِاللهِ مَعَدّ بن الظَّاهِر عَلِيّ بن الحَاكِم بن العَزِيْز بن المُعِزّ، العُبَيْديُّ الإِسْمَاعِيْلِيُّ المِصْرِيُّ، ولد في عسقلان سنة 467هـ/ 1075م [5]، كانت بيعته يوم مقتل عمه الأمر، وكان يعيش ضيق الاعتقال، لان الأمر كان ينتظر إن تلد جاريته ولداً، فولدت بنتاً[6].

---

(1) السيد، الدولة الفاطمية، ص234.

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص33، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص143؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، ص216.

(3) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص116، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص144.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص153، السيد، الدولة الفاطمية، ص245.

(5) الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ص94.

(6) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج37، ص195؛ سير أعلام النبلاء، ج11، ص448.

وَكَانَ الحَافِظُ كلَمَّا أَقَامَ وَزِيْراً تَمَكَّنَ. وَحَكَمَ عَلَيْهِ، فيتَأَلَّمُ وَيتحيَّلُ عَلَيْهِ، وَيَعْمَلُ عَلَى هلاَكِهِ، لأنه لم يرض مِنْهُم، فبدأ الصراع بين الوزير رِضوَان والخليفة ورجحت كفة الخليفة واضطر رضوان إلى الخروج إلى الشام لأعداد جيش لمحاربة الخليفة، ولكن الخليفة قبض عليه وقتله.

واستدعى الحافظ بهرام الارمني وأخذ يستشيره في الأمور الإدارية دون أن يعهد إليه أي منصب رسمي حتى وفاته سنة 535هـ/1140م، فحزن الحافظ عليهخ حزناً شديداً وطل الدواوين ثلاثة ايام، لهذا السبب، وقد حاول الوزراء السيطرة على زمام الإدارة في عهد الحافظ لدين الله، وكثرت الصراعات الداخلية واخذ بعض الوزراء مثل الوزير (إكتيفات) بالتحكم بأمور الدولة بشكل فردي، دون الأخذ برأي الحافظ لان (كتيفات) لم يعترف بولايته، لذلك قام بتغييرات أداريه وتنظيميه في أمور الدولة. وفي مقدمتها بعض العادات والتقاليد المتبعة في الإسماعيلية الفاطمية، وعين أربعة قضاه يمثلون أربعة مذاهب، فلم يرتح الحافظ لسياسته فعزله، ولم يعين بديلاً له مدة عشر سنين[1].

توفي الخليفة الحافظ لدين الله فِي خَامِسِ جُمَادَى الأُوْلَى سَنَةَ 544هـ/1149م، فَكَانَتْ فترة خلافته عِشْرِيْنَ سَنَةً سِوَى خَمْسَةِ أشهر. وَعَاشَ سَبْعاً وَسَبْعِيْنَ سَنَةً وَخلفه ولده الظافر بآمر الله[2].

فثار غلمان الآمر يوم الثلاثاء 16 محرم 526هـ/1131م، وتمكنوا من قتل أحمد بن الأفضل وهو يلعب الكرة في الميدان الكبير خارج باب الفتوح ثم أخرجوا الأمير من معتقله وبايعوه بالخلافة[3]. واتخذ عبد المجيد هذا اليوم عيداً أسماه عيد النصر ظل يحتفل به حتى نهاية

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، ص448؛المقريزي،اتعاظ،ج3،ص142.

(2)الصفدي، الوافي بالوفيات ج19 ص85-86. ابن تغري بردي، مورد اللطافة في من ولي السلطة والخلافة ص288.

(3) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص34، ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص115، 116.

الدولة[1].وهكذا فشلت كل محاولات نشر مذهب الأمامية الاثنا عشرية في مصر واستعادة المذهب الإسماعيلي مكانته[2].

سيطر الطمع بالخلافة على الحافظ فاجتهد في البحث عن ولد الآمر حتى اهتدى إليه وأسرع بقتله وتولى الخلافة باسم الحافظ لدين الله مما أدى إلى ظهور مطالبين بحق الطفل الذي لقبه الداعون بالإمام الطيب، واتخذ أنصاره مدينة الإسكندرية مركزاً لحركتهم، ولم تعترف اليمن بشرعية تولي الحافظ للخلافة لأن ملكة "اليمن الحرة الصليحية"[3] كانت قد تلقت كتاباً من الخليفة الآمر قبل وفاته يخبرها فيها بانتظاره مولوداً يكون ولي عهده، وبالتالي أصبح الحافظ في نظرها مغتصباً للخلافة من الطفل المنتظر وانقسمت الشيعة الإسماعيلية إلى مستعلية نسبة إلى المستعلي بالله، وطيبة نسبة إلى الإمام الطيب ابن الآمر[4].

كان الحافظ عديم الثقة بوزرائه فحرص على تقييد نشاطهم، لذا تخلص عام 526هـ/1132م، من وزيره أمير الجيوش سيف الإسلام أبو الفتح يانس الحافظي[5].

وفي عام 528هـ/1133م، عقد الحافظ ولاية العهد إلى ابنه الكبير أبي الربيع سليمان وكان كوزير له، ولكنه توفي بعد ذلك بشهرين، فترشح لولاية العهد ابنه التالي حسن إلا أن الحافظ عدل عنه إلى ابنه الأصغر أبي تراب حيدرة، وذلك لأنه لم يستصلحه لذلك بسبب عقوقه لوالده. فشق ذلك

---

(1) السيد، الدولة الفاطمية، ص248.

(2) سرور، محمد جمال، الدولة الفاطمية في مصر، دار الفكري العربي، القاهرة، 1965، ص121.

(3) المقريزي، خطط، ج2، ص 197؛ سرور، الدولة الفاطمية في مصر، ص122

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص237.

(5) أحد غلمان الأفضل شاهنشاه تقدم في الترتيب حتى أصبح صاحب الباب، وهي ثاني رتبة الوزارة حينئذٍ وكان يقال لها الوزارة الصغرى، وتنسب إليه إحدى طوائف الجند المعروفة بالطائفة اليانسية؛ ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص36-35. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص145.

على حسن الذي كان يظن إن كثرة املاكه، وعظم حاشيته تؤهله لهذا المنصب، وتمنحه ديواناً منفرداً[1].

ومن أجل ذلك قام حسن بثورة يوم 15 رمضان 528هـ/1134م افترق فيها الجند إلى فريقين، جماعة الرياحنة تساند حيدرة صاحب الحق، وجماعة الجيوشه تساند حسن الثاني فاضطر الحافظ إلى كتابة سجل ولاية العهد لحسن وأرسله إليه وقرئ على المنابر ويقول ابن ميسر: "فتمكن حسن من الدولة وتصرف فيها حتى لم يبق لأبيه معه حكم البتة[2]. يشار إلى أن الحسن استعان بالأوباش الذين اختارهم لحماية القصر، وصاروا يحسنون له كل رذيلة ويحرضونه على إيذاء الناس[3].

وقد انتهت الفتنة بين الريحانة والجيوشه، التي قيل انه ذهب ضحيتها عشرة ألاف شخص من جند الفريقين، أمر الحافظ الذي شك بتأمر ولده عليه وعلى أمرائه، فأشير إلى الطبيب ابن قرقة اليهودي، بوضع السم له وتخلص منه [4].

---

(1)ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص37، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص150–149؛ .

(2) ابن ميسر، أخبار، ص120.

(3) المرجع نفسه.

(4) المقريزي، اتعاظ، ج3، ص150–149، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص242–241؛ ابن ميسر، أخبار، ص122–119؛ ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص41–37.

ثانيًا: الأحوال الداخلية في عهد الخليفتين

في عهد الآمر بأحكام الله (495 - 544هـ/1101- 1130م)

قوة الوزراء على حساب الخلفاء:

وكان الحكم الفعلي في مصر أيام الآمر بيد الوزير القوي الأفضل بن بدر الجمالي، فقد كان وزيراً وقائداً للجيش ومشرفاً على شؤون الدولة مثل القضاء والدعوة وليس للخليفة من الأمر شيء، وقام بنقل مقرة سنة 501هـ/ 1101م مؤقتاً من القاهرة إذ بنى لنفسه داراً على النيل جنوب الفسطاط سمّاها "دار الملك" [1]. وكثر في عهد الأفضل استخدام الموظفين النصارى[2]،

كما أن الأفضل كان متعاطفاً مع أهل السنة، وأحصيت عليه عدة أعمال تثبت ذلك، ومن أهمها تعيينه أربعة من القضاة بينهم اثنان من السنيين[3]. وأثارت كل هذه التصرفات مشاعر الإسماعيلية النزارية، وقد كثر الخوف والاحتياط منهم في هذه الفترة[4]. فدبر الآمر مقتل الأفضل على يد المأمون البطائحي 515هـ/ 1121م[5].

وروي أن تركته كانت كبيرة إذ وجد في داره كيس، ومن الورق خمسين أردباً وأما الديباج الملون فلا يحصى لكثرته، أما العنبر قدّر وزنه بألف رطل مصري[6]، وكان له مجلس للشرب فيه صور ثمان جواري متقابلات أربع منهن بيض من كافور، وأربع من عنبر قيام في

---

(1) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر ، ص11، السيد، الدولة الفاطمية، ص227.

(2) المقريزي، اتعاظ، ج3، ص39، 43، 76، 126.

(3) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص109.

(4) السيد، الدولة الفاطمية، ص228.

(5) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص87-79؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص69-60.

(6) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص9-8.

المجلس عليهم أفخر الثياب،. ..."[1]. وقد استمرت فترة سيطرة الوزير الأفضل عشرون عاماً بين (495-515هـ/976-1121م).

2. تسلط الوزراء على الخلفاء

أما الوزير المأمون أبو عبد الله بن أبي شجاع البطائحي (515-519هـ/1121-1125م)

كان قد قتل الوزير الأفضل مصدر ارتياح للخليفة الآمر، وخلفه في منصبه 2 ذي الحجة 515هـ/1112م [2]. فقد بعث له "والله إنك المأمون حقاً مالك في هذا النعت شريك[3]. وهذا يرجع إلى كونه قد استدعى الخليفة الآمر في أعقاب مقتل الأفضل لتسلم تركته الضخمة[4].

وأطلق عليه في سجل تولية الوزارة "الأجل، المأمون، وقيل المأمون دون الجماعة، انت المأمون على الحقيقة، تاج الخلافة، وفخر الصنائع، ذخر أمير المؤمنين)، ثم تجدد له بعد ذلك في النعوت (الأجل، المأمون، تاج الخلافة، عز الإسلام، فخر الأنام، نظام الدين والدعاة"[5]. وأيضاً سمي "السيد، الأجل، المأمون، أمير الجيوش، سيف الإسلام، ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين"[6].

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص451.

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص10.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص 64-65.

(4) المقريزي، أحمد بن علي (845هـ / 1441م) المقفى الكبير، ج6، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامية، بيروت، 1991، ص449.

(5) المقريزي، الخطط، ج2، ص295.

(6) ابن ميسر، المنتقى من اخبار مصر، ص88.، المقريزي، المقفى، ج6، ص76.

وقد سعى الخليفة الآمر، إلى استعادة هيبته وتقوية مركزه كحاكم، عن طريق إحياء رسومها واحتفالاتها، وأراد أن يتقرب إلى جموع أهل مصر بمتابعة هذه الاحتفالات والمشاركة فيها[1]. وأن تربط الأعياد والاحتفالات الرسمية بالخليفة، وعبر عن ذلك بقوله: "لا تجبى الأموال إلا بالقصر، ولا تصل الكسوات من الطراز والثغور إلا إليه، ولا تفرق إلا منه، ويوسع في رواتب القصور من كل صنف، من خلال الرسوم"[2].

ومثلما كان للنزارية[3] دور في اغتيال الأفضل بن بدر الجمالي لتضييقه عليهم، فقد سعوا إلى قتل الخليفة الآمر ووزيره المأمون بن البطائحي معاً[4]. فأرسلوا أموالاً إلى النزارية المقيمين في مصر للإعداد، لتنفيذ مخططهم. وقد اكتشف الوزير المأمون بن البطائحي ذلك. وقام بالعديد من الإجراءات للتضييق على النزارية في مصر، ومنع محاولة اتصالهم بالنزارية في الشرق. عزل المامون والي عسقلان، وامر الوالي الجديد بعرض أرباب الخدم بها، وأن لا يبق فيها إلا من هو معروف من أهل البلاد، وأوصاه بالاجتهاد والكشف عن أحوال الواصلين من التجار وغيرهم، وأن لا يثق بما يذكرونه من أسمائهم وكناهم وبلادهم، بل يكشف عن بعضهم، ويفرق بينهم ويبالغ في كل ذلك، ومن وصل ممن لم تجرِ له عادة بالوصول إلى البلاد فليعوقه ويطالع بحاله وبما معه من البضائع، وكذلك الجمالون لا يمكن أحد من الوصول إلى البلاد إلا إن كان معروفاً متردداً ولا يسير

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج3، ص132، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص196 السيد، الدولة الفاطمية، ص241.

(2) المقريزي: المقفى، ج6، ص482، الخطط، ج1، ص441، الاتعاظ، ج3، ص77-76.

(3) عقب موت المستنصر بالله سنة (487هـ/1049م)، نشب خلاف في البيت الفاطمي بين من رأوا أن ابنه نزار هو الأحق بالخلافة وبين من رووا أن ابنه الآخر أحمد المستعلي بالله هو الإمام كان وكيل المستنصر القوي الأفضل شاهنشاه مؤيداً للمستعلي وأكثر الأطراف المتنازعة نفوذاً، مما حسم الخلاف لصالح هذا الأخير فأصبح الإمام التاسع عشر، وسُجن نزار ومات لاحقاً في سجنه في الإسكندرية، وفر ابنه الهادي في اتباعه إلى آسيا الوسطى محدثين بذلك انشقاقاً جديداً في الإمامة، بين مستعلية ونزارية للمزيد انظر ابن ميسر :المنتقى من أخبار مصر ، ص80-78.

(4) المقريزي، الاتعاظ، ج3، ص108.

قافلة إلا بعد أن يتقدمها، ويسجل في دفتر الديوان أسماء التجار وأسماء الغلمان والجمالين، وأصناف لتدفق عند وصولها إلى باب بلبيس ويكرم التجار ويكف الأذى عنهم"[1].

كما أمر الوزير المأمون من والي القاهرة بتشديد الرقابة في مدن مصر والقاهرة، كما ورد في النص بتصرف " ثم تقدم أمر المأمون لوالي مصر والقاهرة وأمرهما إن يراقبا المدن شارعا وحارة حارة وتسجيل سكانها فرداً فرداً وان لا يمكنا أحداً من الانتقال من منزل إلى منزل حتى يصدر أمر أخر خلاف ذلك"[2].

ولما اطلع المأمون على الأوراق بأسماء جميع سكان القاهرة ومصر وذكر خططها والتعريف بكنية كل شخص وشهرته وصناعته وبلده ومن يصل إلى كل حارة من الغرباء، وكان قد أرسل من قبله نساء يدخلن إلى المساكن ويتعرفن على أحوال سكانها سراً، وبذلك ضبط أحوال الداخلين والخارجين والساكنين على مصر من الوافدين[3]. وكان الكتاب يسبقون القوافل ومعهم قوائم بأسماء التجار وغلمانهم وأسماء الجمالين وأنواع البضائع ليقابل عليها في كل نقطة من نقاط المراقبة حتى لا يتسرب أحد من النزارية إلى داخل البلاد[4]. لكن كل هذه الإجراءات لم تشفع لوزير المأمون، فانتهى الأمر بمقتله صلبه سنة 522هـ/ 1128م على يد الخليفة الأمر، الذي رأى في خطوته هذه تخلصاً من منافس قوي له على السلطة [5]، ويدل ذلك على التنافس الشديد بين الخليفة والوزراء على السلطة، ولذا نرى تربص كل منهم بالأخر.

---

(1) ابن ميسر، المنتقى من اخبار مصر، ص97 – 98.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص108.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص108.

(4) ابن ميسر، المنتقى من اخبار مصر، ص98-91؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص108.

(5) ابن ميسر، المنتقى من اخبار مصر، ص107.

بعد مقتل الوزير المأمون البطائحي لم يتمكن الآمر من إدارة الدولة منفرداً لبقائه بعيداً عن أمور الحكم والدولة لمدة طويلة، فاضطر إلى اتخاذ شخصين، لاستخراج ما يحق لله في أموال الناس من زكاة ومكوس، كان الموظف الأول مسلم هو أبو الفضل جعفر بن عبد المنعم بن أبي قيراط[(1)] والآخر يهودي سامري اسمه أبو يعقوب الكاتب[2]، وأقام معهما راهب يعرف نجاح بن قنا[(3)].

ورغم حرص الآمر على نفسه وإجراءاته الأمنية المشددة، استطاع أعداؤه النزاريون الوصول إليه أثناء سفره إلى جزيرة الروضة، فمات اثر جراح بليغة، ومات في قصره نفس اليوم، ولم يعقب[(4)] ويذكر ابن الأثير أن الناس ابتهجوا لمقتل الآمر بأحكام الله بسبب سوء سلوكه[(5)]. وفي رواية أخرى أن النزارية اغتالوا الآمر لاعتقادهم انه مغتصب لعرش الفاطمي[(6)].

عهد الخليفة الحافظ لدين الله

اعتبر الجند الحافظ مغتصباً للخلافة، لذلك ثاروا عليه وولوا أبا علي أحمد بن الأفضل الوزارة، الذي استضعف الحافظ، واستأثر بالسلطة، إذ دعا لنفسه على المنابر، ووضع الخليفة في الحجر،

---

(1) معروف بابن ابي قراط عمل في الدواوين الفاطمية في عهد الآمر بأحكام الله ثم اعتقل وابعد من منصبه بسبب مخالفات ماليه. (المقريزي، اتعاظ، ج2، ص125)

(2) ابو يعقوب ابراهيم السامري كاتب وصاحب ديوان في عهد الامر اعتقل وابعد من وظيفته بسبب نهب الاموال من الشعب سنة 523 هـ. (المقريزي، اتعاظ، ج3، ص125)

(3) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص23-20، كان السامري ابن قنا قد اتصل بالآمر بعد قتل المأمون البطائحي، وبذل له في مصادر قوم من النصارى مائة ألف دينار، ثم تزايد في أمر المصادرات حتى صار رجالات مصر من المسلمين، وفيهم القضاة والكتاب والشهود، فزاد قربه من الآمر حتى لقبه بـ (الأب القديس الروحاني النفيس، أبي الإباء سيد الرؤساء، مقدم دين النصرانية وسيد البطريركية، ثالث عشر الحواريين)، الأمر الذي زاد في سطوته، فكثرت إساءته للمسلمين ومصادرته للناس، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص117.

(4) انظر : ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص332؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص302-301.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص332؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص301.

(6) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص302.

ومنعه من الظهور ومقابلة أحد إلا بأمره، ثم نهب محتويات القصر قائلاً: "هذا مال أبي وجدي"[1].
ونقش على السكة: الله الصمد الإمام محمد[2].

ومما يذكر أن أحمد بن الأفضل، كان أمامياً لا إسماعيلياً. فعمل على إضعاف المذهب الإسماعيلي، وقام بتعيين أربعة قضاة؛ أحدهما إمامي والثاني إسماعيل والثالث شافعي والرابع مالكي، وأعطى كلاً منهم السلطة في إصدار أحكامه وفق مذهبه وهذا ما دعا الإسماعيلية إلى اغتياله سنة (526هـ/1131م)، وإخراج الحافظ من سجنه وإعادته خليفة من جديد[3]. حيث سارع صبيانه وحرسه الخاص بقيادة احدهم يدعى يأنس[4] الذين تولوا قتل الأفضل، واخرجوا الحافظ من خزانته وبايعوه بالخلافة وفكوا عنه قيده وكان كبيرهم: وطيف يرأس احمد بن الأفضل "[5]. فعين يأنس أميرا للجيوش [6]. بترشيح من جماعة من الجند، حيث قالوا: ما حركنا على هذا إلا الأمير يأنس فجازاه الحافظ بأن فوض إليه الوزارة في الحال، وخلع عليه فباشرها مباشرة جيدة"[7].

---

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج8، ص332؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص339 و248-247.

(2) المقريزي، الخطط، ج2، ص167-79.

(3) ابن ميسر ، المنتقى، ص120-115؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص345-240.

(4) صبيان الخاص هم جماعة من أخصاء الخليفة نحو خمسمائة نفر منهم أمراء وهم مثل الخاصكية في العصر المملوكي، القلقشندي، أحمد بن علي ت922هـ/1516م، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق يوسف الطويل، د1، دار الفكر ، دمشق، 1987، ج3، ص552.

(5) المقريزي، الخطط، ج2، ص345-240.

(6) كان يأنس هذا مولى أرمنياً لباديس جد العباس الوزير فأهداه إلى الأفضل بن أمير الجيوش وترقى في خدمته إلى أن تأمر ثم ولي الباب وهي أعظم رتب الأمراء وكُني بأبي الفتح ولقب بالأمير السعيد ثم لما ولي الوزارة نعت بناصر الجيوش سيف الإسلام وكان عظيم الهمة بعيد الغور كثير الشر شديد الهيبة. المقريزي، الخطط، ج2، ص345-240.

(7) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص241، 245.

لكن الحافظ، لم يستوزر أحداً بعد وفاة يأنس، وأقام ولي عهده سليمان مقام وزير كما فعل سلفه الأمر، وبعد وفاة سليمان، نصب أخاه حيدرة للنظر في المظالم، فغضب أخوه الحسن، الذي سعى للفتنة بين فرق الجيش والجيوشة والريحانية، فقتل الحافظ ابنه كما فعل الأمر من قبل [1].

أرسل الأمير الحسن أثناء الأزمة مع أبيه، إلى بهرام الأرمني، وكان والي الغربية، وطلب منه القدوم إليه بالأرمن ليعزز موقفه بهم[2]. فلما قرب بهرام من القاهرة، وكان الحافظ قد قضى على فتنة ولده الحسن فخلع على بهرام الوزارة يوم الجمعة 16 جمادى الأخرة سنة (529هـ/آذار سنة 1035م) ونعته "بالسيد الأجل، أمير الجيوش سيف الإسلام، تاج الخلافة (الدولة)، ناصر الإمام غياث الأنام، أبي المظفر بهرام الحافظي"[3]. فأصبح بذلك أول نصراني يتولى وزارة تفويض للفاطميين[4]. وقد أشار كبار رجال دولة الحافظ عليه بألا يوليه الوزارة لأنه نصراني، وأن من شرط الوزير أن يرقى مع الإمام المنبر في الأعياد، كما أن القضاة هم نواب الوزراء من زمن أمير الجيوش، فلم يأخذ بنصيحتهم وجعل القاضي ينوب عنه في صعود المنبر، ولم يرد إليه شيئاً من الأمور الشرعية[5] فكان يوم الجمعة عن الصلاة ويعدل إلى مكان بمفرده إلى تنقضي الصلاة[6].

أراد بهرام أن يزيد من نفوذ الأرمن، فقد طلب من الحافظ أن يسمح له بإحضار إخوته وأهله من بلاد الأرمن، وتحديداً من مسقط رأسه (تل باشر)، فأذن له في ذلك فقبل إن يستقدم قرابة ألف شخص وان كان العدد مبالغ فيه، لكنه يدل على زيادة نفوذهم وكون منهم عصبة تشد أزره، فاستطالوا على المسلمين، الذين أصابهم من الأرمن جور عظيم. وبنى الأرمن القادمون العديد من

---

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص39-37؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص156-149.

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص39-37؛ ابن الميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص121.

(3) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص44؛ ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص122.

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص44؛ ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص122.

(5) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص44؛ ابن ميسر، المنتقى، ص123.

(6) المقريزي، المقفى، ج2، ص514.

الكنائس والأديرة، حتى صار كل رئيس من الأرمن يبني له كنسية، وقد بلغت الكثرة حداً أقلق المسلمين، وخاف أهل مصر منهم أن يغيروا ملة الإسلام، وفي إطار هذه السياسية، أضحى معظم ولاة الدواوين من النصارى، وولى بهرام أخاه فاساك (وقيل باساك) ولاية قوص في الصعيد، وهي يومئذ من أعظم ولايات مصر ، فاستقوى فاساك أخيه وتمادى في ظلم المسلمين ومصادرة أموالهم[1].

ان استبداد بهرام النصراني بالأمور في مصر أثار المسلمين، فأرسلوا إلى رضوان بن ولخشي، يطلبون منه العون ضد بهرام. وكان رضوان والي على منطقة الشرقية في مصر . فأعلن الجهاد ضد بهرام، وتقدم نحو القاهرة، واستطاع هزيمة بهرام، خاصة مع انضمام المسلمين الذين في الجيش الذي يقوده بهرام إليه. فاضطر بهرام أن يسير مع أصحابه من الأرمن إلى أسوان ليتقوى بأهل النوبة، وهم نصارى، ضد رضوان[2]. وقد بعث رضوان، الذي تولى الوزارة فور دخوله القاهرة، جيشاً على رأسه أخيه ناصر الدين الأوحد إبراهيم لمطاردة بهرام[3]. ولكن حصل اتفاق ودي بين الخلفية وبهرام أمّنهُ فيه على نفسه وأقاربه وبمساعدة روجر الثاني ملك صقلية، تم صد هذا الحمله ووقفها ، والإقامة في الأديرة البيض بالقرب من إخميم[4] حيث بقي بها إلى سنة (533هـ/1138م)، بينما خير أهله في الإقامة في مصر أو الخروج منها إلى بلدهم تل باشر قلعة حصينة وكورة واسعة شمالي حلب[5]، وللحد من سلطة رضوان، فقد اسكن الخليفة بهرام في قصره وجعله مستشاراً خاصا

---

(1) المقريزي، المقفى، ج2، ص514.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص161؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام، ص412-405.

(3) ابن الأثير ، علي بن أحمد بن أبي الكرم بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، ج11، منشورات دار صادر، بيروت، 1387هـ/1967م، الطبعة الثانية، ص48.

(4) ابن ميسر ، المنتقى من اخبار مصر ، ص126.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص40.

له، مما جعل رضوان يهرب خوفاً على حياته، ويعابر رضوان أول وزير سني يتولى وزارة فاطمية، ولعب دورا مهما في القضاء على احمد بن بدر الجمالي سنة 526هـ/ 1131م[1].

وكان قد ترقى في سلك الدولة الفاطمية حيث تولى ولاية قوص واخميم سنة 528هـ/1134م، ولما كان بهرام الأرمني يخشاه، فأخرجه من مصر سنة 529هـ/1135م وولاه ولاية عسقلان فمنع كثيراً من الأرمن من التوجه منها إلى مصر، مما أثرا غضب بهرام فاستدعاه منها وولاه الغربية. وقد حمد له المصريون تصرفه مع الأرمن ولجأوا إليه عندا ثاروا عليهم[2].

3. فتن الجيش

إن الصراعات السياسية والإدارية على ولاية العهد والوصاية لمنصب الإمامة، أدت إلى صراع بين فئات الجيش كما حدث بين الجيوشة والريحانية، نتيجة لذلك بدأت الصراعات تأخذ طابعا مسلحا وهذا زاد الأمور سوءا، ثم استمر هذا الصراع والانقسام في عهد الآمر بأحكام الله بين النزاريه والمستعلية. هذا أدى إلى انشقاق في الجيش الفاطمي وقد بلغ الانشقاق ذروته سنه 487-524هـ/1094-1130م، بين العسكر التركي والسوداني حيث تم تصفية بعض أفراد العسكر من الفريقين. أما في عهد الحافظ فاستمر الانقسام بين أتباع الحافظ والطيب مما أدى إلى صراع وانقسام في صفوف الجيش، فعمل الحافظ جاهدا لإخماد أتباع الطيبية لتدعيم حقه في

(1) المقريزي، الخطط، ج2، ص203؛ اتعاظ الحنفا، ج3، ص157.

(2) ابن ميسر، المنتقى من اخبار مصر، ص138؛ المقريزي، اتعاظ، ج3، ص184.

الخلافة ولتحقيق هذا الهدف استعان بعدد من كبار قادة الجيش الفاطمي مثل هزار الملوك وبرغش الذين كانا من غلمان الآمر، وعملوا ترسيخ حكم الحافظ .هناك أمر اخر زاد من الخلافات في صفوف الجيش وهو تعيين قائد جديد للجيش الفاطمي ، مما أثار بعض من قواد الجيش الكبار، الذين شعروا بالحسد والغيرة وهذا الأمر أدى إلى غليان وتوتر وصراع وانشقاق في الجيش وسمي هذا الانشقاق بثورة الجند.[1]

4. فتن الاعراب

ثار الأعراب سنه 531هـ/1138م نتيجة لجور النصارى على المسلمين بمسانده الوزير بهرام الارمني، الذي شيد الكنائس والأديرة واهتم لرعيته بصوره ملحوظة ، فهذا أدى إلى خوف أهل مصر ومن ضمنهم العربان أن يغير ملة الإسلام .وكثرت الشكاوى نتيجة لجوره وظلمه، فاضطر العربان وأمراء مصريين أن يبعثوا إلى رضوان بن ولخشي والي المنطقة الغربية يستحثونه على المسير للأمراء والعربان لإنقاذهم من جور وظلم بهرام الارمني وأنصاره[2].

فاستجاب رضوان وخطب خطبه مشهورة حث الناس فيها على الجهاد ،فتجند العربان وغيرهم بعدد لا يقل عن ثلاثين ألف فارس، وساروا لمحاربه بهرام الارمني واتباعه، ولما التقى الفريقان، سارع رضوان بن ولخشي إلى رفع المصاحف على رؤوس الرماح، مما حدا بجنود بهرام الارمني المسلمين إلى ترك بهرام الارمني، والانضمام إلى رضوان وأتباعه من العربان والأمراء. من نتائج هذه الفتنه هروب بهرام الارمني إلى قوص مع طائفة من أقربائه، أما رضوان فقد استأذن الخليفة الحافظ لدين الله بما يفعله، فوافق الحافظ على ما فعله رضوان،

---

(1) ابن ميسر ، المنتقى من أخبار مصر ، ص120؛ المقريزي ،اتعاظ، ج3،ص137؛ محاميد، تطورات، ص86-91.

(2) ابن ميسر ، المنتقى من أخبار مصر ، ص123؛

وانزلـه إلـى دار الـوزارة وعينـه وزيـرا. أمـا بهـرام الارمنـي فـتم تجريـده مـن كـل صـلاحياته الإداريـة والقضائية للتخلص من جوره ونهبه للناس وإذلالهم، ثم قتله فيما بعد .[1]

ونرى هنا تناقضا في الروايات بين تقريب بهرام وإبعاده، وتقريب رضوان وهروبه، وهذا يؤكد إن العلاقة بين الخلفاء والوزراء كانت متوترة إلى ابعد حد وبعيدة عن الاستقرار، وأن سياسة الخلفاء تجاه الوزراء والعكس صحيح كانت تحكمها الأحداث والظروف، فكل فعل له ردة فعل ايجابي أو سلبي.

ثالثاً: العلاقات الخارجية (موقف الدولة الفاطمية من الغزو الفرنجي)

يشكك ابـن الأثيـر فـي روايـة اسـتدعاء الفـاطميين للصـليبيين لغـزو الشـام لأضـعاف السـلاجقة ويقـول: "الله أعلـم"[2]، وهنـاك سـجلات عديـدة بتقليـد وتوليـة أمـراء مصـر الجهـاد ضـد الفرنجـة[3]، كمـا أنهم أكثروا من أفراد الجند الصبيان ومن أولاد العامة ليتعلموا الفنون الحربية ويكونوا جاهزين للقتال عند أول إشارة[4]

شـهد عهـد "المسـتعلي" ووزيـره "الأفضـل" تقـدم السـلاجقة فـي سـاحل بـلاد الشـام الـذي أدى إلـى قطـع دعـوة الفـاطميين مـن أغلـب مدنـه[5]. ثـم قـدوم الحملـة الصـليبية الأولـى واسـتقرارها فـي سـاحل

(1) ابن ميسر، المنتقى من اخبار مصر، ص124-125.
(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص148.
(3) المصدر نفسه، ص186.
(4) القلقشندي، صبح الأعشى، ج10، ص406.
(5) ابن ميسر، المنتقى، ص69.

الشام بلاد الشام، بسبب ضعف السيادة الفاطمية، حيث استولى الصليبيون على بيت المقدس وبقية مدن الشام الساحلية خلال الفترة الممتدة بين سنتي 49–503هـ[1].

1. في عهد الخليفة الآمر

لا بد من الحديث عن الحملة الصليبية الأولى فقد تجمعت القوات الصليبية التي تحركت من مختلف أنحاء أوروبا في القسطنطينية، لاحتلال بيت المقدس من المسلمين ومساعدة الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنيوس لاسترداد ما فقد من أملاك في آسيا الصغرى على يد السلاجقة وفقاً لشروط المعاهدة المبرمة ما بين الإمبراطور وقادة الحملة الصليبية الذين تمكنوا من دخول نيقية عاصمة الدولة السلجوقية وإعادتها إلى حظيرة الدولة البيزنطية سنة 490هـ/ 1079م[2].

تحرك الجيش الصليبي من نيقيا مخترقاً آسيا الصغرى جنوباً وبعد أن وصل مدينة هرقلة واستراح بها مدة أربعة أيام افترق عن الجيش بعض الأمراء وتوجهوا إلى كليكيا واستولوا عليها، ثم توجه بلدوين شرقاً وتمكن أن يقيم أول إمارة صليبية هي إمارة الرها[3]. أما الجيش الرئيسي فقد تحرك من الشمال الشرقي إلى الجنوب الشرقي واستولى على العديد من المدن وتسليمها إلى حكام بيزنطيين[4]. ثم وصل الجيش إلى مدينة المعرة ثم سلك الطريق المؤدية إلى أنطاكية فوصلها في السنة ذاتها (490هـ/1097م) [5].

---

(1) الجنزوري، علية، الحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1959م، ص259؛ ابن خلكان، وفيات، ج1، ص79؛ ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص82؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج5، ص179–178.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص331؛ رنسيمان ستفن، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ترجمة الباز العريني دار الثقافة، بيروت، 1980، ص186.

(3) الباز، الشرق الأوسط، ص210.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص185.

(5) ويست، الحرب الصليبية، ص60..

وعندما وصل الجيش الصليبي إلى الجسر الحديدي خاض معركة خاطفة بعدها تمكن من اجتياز النهر والجسر ووصل في أواخر (490هـ/1097م) إلى أسوار أنطاكية وكان على مقدمة الجيش بوهمند النورماندي تلاحقت في إثره القوات الصليبية[1]، فاتحة بذلك الطريق إلى استيلاء الفرنج (الصليبيين) على بيت المقدس في سنة 492هـ/1099م حافزاً للفاطميين على حفظ ما تبقى لهم من ممتلكات في جنوب فلسطين، فاهتموا بإيجاد حامية قوية في عسقلان تجرد إليها العساكر والأساطيل في شكل إبدال تتوالى على حمايتها كل ستة أشهر[2].

اغتيل الوزير الأفضل في سنة (515هـ/1121م). ويرى أيمن فؤاد سيد أن الأفضل يتحمّل وحده وزر سقوط مدن الشام الساحلية التي كانت للفاطميين في أيدي الفرنج، فقد "اتصف موقفه تجاه ما كان يحدث باللامبالاة المتناهية، وأدى هذا التهاون إلى استيلاء الفرنج على عكا وطرابلس وجبيل وعرقة وبانياس، وبيروت، وصيدا، وتبنين وأخيراً صور ... بل بلغ الأمر إلى أن وصل بُلْدوين، ملك بيت المقدس، على رأس حملة على الأراضي المصرية حتى الفرما، واضطر الأفضل إلى مهادنته لعجزه عن مواجهة قواته سنة 509هـ/1115م"[3]. مع إن هناك روايات أخرى تذكر إن الأفضل أغار سنة 501هـ/1107م على طريق يافا بيت المقدس، وقتل قرابة 500 من الصليبيين ووصل قواته إلى الرملة وقتلوا قوة استطلاعية[4].

ورغم إن هناك نقد كبير للجهود الفاطمية ضد الصليبيين، إلا انه هناك رزوايات عن أن سفينة بحرية فاطمية استطاعت عام 502هـ/ 1108م أن تنزل هزيمة منكرة بالسفن الإيطالية

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص184.

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ج3، ص41.

(3) أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، 2000، ص300-229؛ المقريزي، اتعاظ، ج3، ص129؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص170، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص53.

(4) عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص307.

الوافدة من بيزا جنوة والبندقية والتي كانت قد ساعدت بلدوين في حصار صيدا برا، مما اضطر بلدوين إلى الانسحاب إلى عكا[1].

كما رأى الأمر، أن يسترضي المسلمين في مصر، فأنفذ حملة كبيرة من عسقلان لحصار يافا، وتمكنت هذه الحملة من إحكام الحصار على يافا من البر والبحر، ولكن وصول النجدات الصليبية إلى يافا جعل الفاطميين يفكرون في الانسحاب إلى يبنى(بين يافا وعسقلان). وفي يبنا دارت بين الفاطميين والصليبيين معركة انهزم فيها الفاطميون، واقتفى الصليبيون أثرهم، يقتلون ويأسرون، وينهبون ما تصل إليهم أيديهم[2].

يبدو إن الفاطميين كانوا غير قادرين على الاستمرار في المقاومة، فسارعوا إلى مسالمة الصليبيين، وعندما رأى أهل صور عجز الدولة الفاطمية عن حمايتهم من الصليبيين، توجهوا إلى حاكم دمشق السلجوقي طغتكين، طالبين حمايته بوصفه أكبر قوة إسلامية قريبة منهم[3].

استجاب طغتكين إلى طلب أهالي صور، وأرسل إليهم جنوداً سنة (518هـ/ 1017م)، وجعل عندهم والياً من قبله اسمه مسعود، وبعث معه المؤن والأموال، فوزعها على أهل صور حتى طابت أنفسهم، وخلال تلك الفترة ظلت الخطبة للآمر، ولم يغير طغتكين العملة، إذ كان الهدف هو المساعدة في حماية صور من الصليبيين، لا منازعة الفاطميين فيها، وكتب طغتكين إلى الأفضل، وزير الفاطميين آنذاك، يعرفه صورة الحال، ويقول له: متى وصل إليها من مصر من يتولاها، ويذب عنها، سلمها إليه، فشكره الأفضل على ذلك[4].

---

(1) محمود، علي عبد الحليم، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ط1، دار التوزيع والنشر، القاهرة، 1993، ص259-258؛ ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص 63؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص17.

(2) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص430-428.

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص179.

(4) ابن ميسر، المنتقى من اخبار مصر، ص75-70. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص473.

أما أهل صور، فقد أوضح لهم طغتكين سبب قدومه إليهم قائلاً: أنا فعلت ما فعلت لوجه الله تعالى، لا رغبة في حصن ومال، ومتى دهمكم عدو جئتكم بنفسي ورجالي[1]. قرر الفاطميون في عهد خليفتهم الآمر ووزيرهم البطائحي، في سنة (516هـ /1022م) استرداد صور من قوات دمشق السلجوقية، بدلاً من مساعدتهم في حمايتها ضد الصليبيين، وأرسل الفاطميون أسطولاً إلى صور، قام بإلقاء القبض على واليها سيف الدولة مسعود، وتعيين وحشي بن طلائع والياً عليها من قبل الفاطميين[2].

لما علم الصليبيون بالأمر، وجدوا الفرصة سانحة لحصار صور ومهاجمتها، فأيقن واليها المعين من قبل الفاطميين، أنه لا قبل له بالدفاع عنها، لقلة الجند والمؤن، وأرسل إلى خليفة الفاطميين، الآمر، يقترح عليه إعادة صور إلى طغتكين، فوافق، فعادت إلى طغتكين، الذي رتب إليها العدد اللازم من الجند والسلاح[3]. اشتد حصار الصليبيين لصور، فحث أهلها حكام القاهرة، ودمشق (طغتكين)، على النهوض لنجدتهم، ولكن رسائله لم تجد حماساً كما كان يأمل[4].

وأبدى المؤرخ النويري استياءه من تفريط الفاطميين، وموقفهم المائع واللامسؤول من تهاونهم في الدفاع عن مدنهم . فقال: "وما أبقى أهل صور، رحمهم الله تعالى، ممكناً في قتالهم مع الفرنج في هذه السنين الطويلة مع عدم المنجد لهم من مصر"[5]. ويقول ابن الأثير (وكان فتحه وهناً عظيماً على المسلمين فإنه من أحصن البلاد وأمنعها) [6].

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص474.

(2) المقريزي، الخطط، ج1، ص359-357؛ طقوش، تاريخ الفاطميين، ص467.

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص179.

(4) المصدر نفسه، ص181-180.

(5) النويري، نهاية الأرب، ج28، ص248-247.

(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص639.

2. في عهد الخليفة الحافظ

وفي سنة (524هـ/1130م) اغتيل (الخليفة الفاطمي) الآمر بأحكام الله، وتولى الحكم بدلاً منه، الحافظ لدين الله، وكان الحافظ هذا من أشد المتحمسين لمسالمة الصليبيين. وظلت الدولة الفاطمية على هذا الحال، لا تستجيب لأي نداء بضرورة الوحدة الإسلامية، والجهاد ضد الصليبيين، وكانت تقف عقبة في طريق ذلك، وكان الخلفاء الفاطميون يتخلصون من الوزراء الذين ينادون بفكرة الجهاد على وجه السرعة وفهم الأفضل الذي اغتيل عام 515هـ/ 1121م[1].

وعندما تولى رضوان الوزارة في عهد الحافظ سنة 531هـ/1137م استجد (ديوان الجهاد) واهتم بتقوية الثغور واستعد لتعمير عسقلان بالعدد والآلات، وهيأ الناس للخروج إلى الشام وغزو الفرنج[2].

وقد اتصل رضوان بعماد الدين زنكي- وهو يحاصر بعلبك- وذلك سنة (531هـ/ 1137م) وطلب إليه أن يمده بمعونة عسكرية تساعده على دخول القاهرة كقائد منتصر. ولكن الخطر الذي كان من الممكن أن يمثله تحالف رضوان مع عماد الدين زنكي على البوريين[3] حكام دمشق، فاقترح معين الدين انر على رضوان الحضور إلى دمشق، حالما تصله رسالة بذلك، غير أن كمشتكين كان يتعجل عودة رضوان الى مصر "لما وقد وعده به وأطمعه فيه"[4].

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص181-180.

(2) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص129؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص164-163.

(3) البوريون. أسرة تركية حكمت دمشق في الفترة من سنة 497هـ/1041م، وحتى سنة 549هـ/1154م، ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ج1، ص226 وما بعدها.

(4) ابن منقذ، أسامة، (ت584هـ/1188م)، الاعتبار تحقيق قاسم السامراي، دار الأصالة، 1987م، ص54.

رابعاً: النظم الإدارية

1. الوظائف الإدارية

وقد كانت الوظائف الإدارية في الدولة الفاطمية على النحو التالي:

أ. أرباب السيوف.

أ. الوزارة، وتكون أحياناً في أرباب السيوف وأحياناً في أرباب الأقلام.

ب. صاحب الباب، وهو الذي ينظر في المظالم.

ج. الأسفهسلارية، وإليه أمر الأجناد والتحدث فيهم.

د. حامل المظلة، ويدعى امين المظلة، ويحظى بمنزلة رفيعة عند الخلفاء.

هـ. حامل سيف الخليفة.

و. حامل رمح الخليفة.

ي. حارس الخليفة[1].

ب. أرباب الوظائف الدينية:

أ. قاضي القضاة، وهو من أجل أرباب الوظائف وأعلاهم شأناً وأرفعهم قدراً.

ب. داعي الدعاة، وهو يقرأ مذاهب البيت بدار العلم ويهتم بالمذهب.

ج. المحتسب، ويده مطلقة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قاعدة الحسبة.

د. وكيل بيت المال، ويهتم بالشؤون المالية.

هـ. القراء بحضرة الخليفة ويزيدون في العدد على عشرة أنفس[2].

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص554-553.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص560-554.

جـ. أرباب الوظائف الديوانية

أ. ديوان الإنشاء ويتولاه شخص يسمى "كاتب الدست الشريف، وإليه تسلم المكاتبات الواردة إلى الخليفة فيعرض عليه، من أمراء الشيوخ وله مرتبة عظيمة.

ب. ديوان الجيش، ولا يكون صاحبه إلا مسلماً وله مكانة جليلة ورتبة رفيعة في هذا الديوان كانت تعمل أوراق الجرايات والارتزاق لأفراد الجيش، ويساعد صاحب الديوان خازنان مسؤولان عن هذا الأمر.

ج. ديوان الرواتب، ويشتمل على اسم كل مرتزق في الدولة.

د. ديوان الإقطاع ويختص بما هو مقطع للأجناد [1].

هـ. نظارة الدواوين، وهي المسؤولة عن عملية الإشراف على جميع الدواوين والتنسيق بينها.

2. المناصب الإدارية

الخليفة

انقسم العهد الفاطمي في حكم مصر إلى دورين تاريخيين اختلفا اختلافاً كلياً في قوة السلطة السياسية، فالدور الأول هو دور حكم الخلفاء الأقوياء: المعز لدين الله، والعزيز بالله بن المعز لدين الله، والحاكم بأمر الله ابن العزيز بالله والظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بأمر الله، أما الدور الثاني، فهو دور الخلفاء الضعفاء الذين حكموا اسمياً وكان منهم الخليفتين الأمر الحافظ موضوع الدراسة[2].

---

(1)القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص566-560.

(2) ولم يتول الأمر من ليس أبوه صاحب الأمر من بيتهم سواه (الحافظ) وسوى العاضد عبد الله، وكان سبب توليته، أن الأمر لم يخلف ولداً وخلف ولداً وخلف امرأة حاملاً، فماج أهل مصر، وقالوا: هذا البيت، لا يموت إمام منهم حتى يخلف ولدا ذكراً وينص عليه بالإمامة، وكان الأمر قد نص على الحمل، فوضعت له المرأة بنتاً. ولهذا السبب بويع الحافظ بولاية العهد. شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشافعية ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ص237-236.

وساهمت عدة عوامل في ضعف الخلفاء، وبالتالي سيطرة الوزراء على مقاليد الأمور، وقد بدأ الأمر في عهد المستنصر بالله، عندما استنجد بأمير الجيوش بدر الجمالي لإصلاح الأمور وإعادة البلاد إلى حالتها الطبيعية، بسبب الجفاف ولخروج جند الخليفة من الأتراك عن إرادته، فتسلط أمير الجيوش عليها[1]. وأفضل وصف لحالة الخلفاء في الدور السياسي الثاني، ما قاله السيوطي[2]: "أنه لم يكن للمستنصر بالله ومن بعده من الخلفاء سوى الاسم فقط، لاستيلاء وزرائهم على السلطة، وكافة الأمور، وحجرهم على الخلفاء. وتلقبهم بألقاب الملوك"، فمنذ تولي أمير الجيوش بدر الجمالي السلطة، ضعفت سيطرة الخلفاء الفاطميين[3].

وقد حاول الآمر، ومن بعده الحافظ استعادة سلطتهم، وانتزاعها من أيدي الوزراء الذين تلقبوا بألقاب، فإنه لم يكتب النجاح لهذه المحاولات فترة طويلة. إذ سرعان ما استعاد الوزراء سلطاتهم التي اكتسبوها بفضل ما أثقل كاهل الخلافة الفاطمية في هذه الفترة التاريخية، من أعباء سياسية وفكرية ودينية[4]. وقد جاءت هذه الأعباء نتيجة للحروب التي لم تنقطع ضد الدولة من طرف الدولة العباسية والقرامطة والسلاجقة الأتراك. وأخيراً للصليبيين، بسبب زعامتها الشيعية في القاهرة[5].

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص23-22.

(2) السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص609.

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص230-229، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر سورية وبلاد العرب، منشورات مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1934، ط3، ص150.

(4) حمادة، محمد، الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكة والأيوبية، دراسة ونصوص (نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت، 1980-1400م، ص43-42.

(5) سعد، أحمد، تاريخ مصر الاجتماعي-الاقتصادي، (مصر الفرعونية، الهيلنية، الإمبراطورية المصرية، الفاطمية، من المغرب إلى مصر، عهد المماليك)، منشورات دار بن خلدون، ط1، بيروت، 1979م، ص28.

ويبدو أن من الأمور التي أضعفت الدولة الفاطمية هو فشل سياستها في حل الازمات ما قامت به الدولة لوقف الحركات الشعبية خلال المجاعات والأوبئة، فكانت النتيجة، ضعف سيطرتها، وفلتان حبل الأمن الذي تسبب في نقص الموارد المالية وبالتالي عجزها عن دفع رواتب الجند، وتقلص سيطرتها خارج الأراضي المصرية[1].

الوزارة

كان يعقوب بن كلس أول وزير للعزيز بالله سنة 368هـ/978[2]. وكانت الوزارة في العهد الفاطمي، نوعان هما، وزارة تنفيذ: ذات الصلاحيات المحدودة في المجالات المدنية والمالية وتحولها إلى وزارة تفويض منذ وزارة بدر الدين الجمالي وما بعده. فألقاب الوزراء في العصر الفاطمي الأول تدل على مكانة و مرتبة الوزير وقدرته على تنفيذ الأمور الصادرة من الخليفة. ووزارة التفويض[3]. يستوزر الخليفة، رجلاً يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وعلى اجتهاده، فيتولى الوزير كل شيء بسلطات واسعة، ويفوض في أمور الدولة، والتصرف في شؤونها دون الرجوع إلى الخليفة[4].

وكان يتولى الوزير كل شيء يمضيه من الخليفة إلا ثلاثة أشياء:

1. ولاية العهد، فإن للخليفة إن يعهد إلى من يرى، وليس ذلك الوزير.
2. العزل: للخليفة الحق أن يعزل من قلده الوزير وليس للوزير أن يعزل من قلده الخليفة.

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، ج6، ص463-458.

(2) السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص129، وإن كان ابن كلس، وعسلوج بن الحسن قد حصلا من المعز لديه الله سنة 363هـ/973م، على بعض صلاحيات الوزير، وذلك عندما عهد إليها بالخراج وجميع وجه الأموال والحسبة والسواحل والأعشار والجوالي والأحباس والمواريث والشرطتين.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص449.

(4) السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص123-121.

3. الإعفاء من الإمامة: للخليفة أن يعفى الأمة من الإمامة وليس ذلك للوزير"[1]، لكن نرى إن الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي كان له المشورة في هذه الأمور بعض الأحيان [2].

ومع أواخر عهد المستنصر بالله، تمكن قادة العسكر في الدولة الفاطمية من الوصول إلى السلطة، عندما كتب سنة 467هـ–1074م، إلى أمير الجيوش بدر الجمالي وهو يومئذ بعكا، يستدعيه للقدوم لنجدته وإعانته، ويعده بتملك البلاد، والاستيلاء عليها، فاشترط عليه أن يأتي بعسكره معه وأن لا يبقى أحداً من عساكر مصر ولا وزرائهم في عكا، فوافقه المستنصر بالله على ذلك[3].

واستأثر بالسلطة كاملة بعد أن قضى على أمراء الدولة ومقدميها بنهاية وليمة أقامها لهم، فكان أول وزير جمع إليه السلطتين العسكرية والمدنية بما فيها حق التعيين في أكبر مناصب الدولة كقاضي القضاة وداعي الدعاة، التي كانت من حق الخليفة فيما سبق. واستمرت هذه الظاهرة حتى سقوط الدولة الفاطمية في نهاية سنة (567هـ/1171م)، ولأول مرة تصبح الوزارة وراثية لأن بدراً عهد بها إلى ولده الأفضل ليتولاها بعد وفاته[4].

---

(1)السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص125.

(2) المقريزي ،الخطط،ج2،ص184؛ زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، ج1، لا ت، ص161.

(3) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/1405م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج4، منشورات مؤسسة الإعلامي، بيروت، 1971م، ص64؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص311.

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص312.

وأصبح أيضاً بمقدور الوزراء العظام أمر تعيين الخليفة الفاطمي أو الحجر عليه، وحتى عزله فانقلبت بذلك الأوضاع السياسية في البلاد. وظهر هذا واضحاً خلال فترة الدراسة، في عهد الخليفة الآمر، ومن بعده الخليفة الحافظ [1].

ومن مهام الوزير الخاصة أحياناً مرافقة الخليفة داخل القصر وأحياناً يتنزه مع غيره من الأمراء والقاضي والمقربين، على باب القصر إذا أراد الخروج، أو يرافقه في كسر الخليج، والاحتفالات العامة، ويلازمه في الاحتفالات الدينية داخل المسجد، وإذا لم يحضر الوزير سماط رمضان ويجلس في صدره، كان عليه أن ينيب أخاه، وإلا تصدر صاحب الباب، السماط.[2]

كانت الوزارة تعتبر ارفع المناصب واسماها، واعتبرت من مميزات الدولة الفاطمية ،وكان للوزير حق تصريف الأمور بعد الرجوع إلى الخليفة، لم يفرق الفاطميون بين وزرائهم وكان من بينهم ذميون الذين أسلموا حديثاً طمعاً في الوزارة أو أية وظيفة إدارية، فمثلاً عهد الحافظ لدين الله بالوزارة، إلى بهرام الأرمني (النصراني) سنة 529هـ/1134م، ولما مات حزن عليه الخلفية حزناً شديداً.[3]

كما تولاها من المسلمين السنة، مثل رضوان بن ولخش على أيام الحافظ لدين الله[4].

ويقتضي على الوزير بحكم منصبه التقيد بلباس معين، كما كان عليه ملازمة الخليفة في قصره، ومرافقته عند ركوبه في أول العام، وأيام الجمع، وصلاة عيدي الفطر والأضحى، وكافة الاحتفالات والاعياد الدينية، ويتصدر الوزير، صاحب السيف، القاعة، إذا جلس للمظالم، ويجلس

---

(1)المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 316.

(2) الصيرفي، علي أبو القاسم ابن منجب، تاريخ الوفاة (542هـ/1148م) الإشارة إلى من نال الوزارة، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، 1924، ص21.

(3) ابن مسير، المنتقى من أخبار مصر، ج2، ص58-56؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص267.

(4) الصيرفي، الإشارة، ص49-48.

قاضي القضاة تجاهه، وعن جانبيه شاهدان من المعتبرين، ويليه صاحب ديوان المال، وبين يديه صاحب الباب، وقائد الجيش، والنواب، والحجاب على طبقاتهم، وذلك يومين في الأسبوع[1].

ومثال على ذلك أدرج اسم وصفت الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي وزير الآمر بأحكام الله على طراز الخلافة من الملابس والفرش والآنية. وتظهر مكانة الوزراء الممتازة من استعراض ألقاب الوزراء. حيث تلقب بهرام الأرمني بـ "تاج الدولة"[2].

وتسمى بعض الوزراء بأسماء الملوك وألقب الخلفاء، فهذا رضوان بن ولخش وزير الحافظ لدين الله، يلقب بـ "الملك الأفضل" سنة 530هـ/1136م، (ولم يلقب قبله وزير بهذا اللقب)[3].

إن هذه الألقاب، إن دلت على شيء فإنما تدل على استبداد أصحابها بالسلطة دون الخلفاء الفاطميين، مما أدى إلى إضعاف الخلافة، التي عملت على تشجيع منح هذه الألقاب، فكانت السبب في الصراع بين الخلفاء وابنائهم الوزراء والخلفاء وانتقل هذا النزاع إلى ولايات الأقاليم، وخاصة ولاة إقليم قوص حيث تمر طرق التجارة مع البحر الأحمر، والذين زحفوا على القاهرة، وفرضوا أنفسهم وزراء، وتكررت أمثال هذه الحوادث بعد ذلك، ولكن على أيدي رجال الجيش، بمعاونة جندهم، فقبضوا على زمام السلطة، وتدخلوا في سياسة الخلفاء، وفي تغيير مجرى اتجاهها، بحكم مراكزهم، كصاحب السيف، وصاحب الرمح، وصاحب المظلمة، وصاحب المجلس، وصاحب الباب (الحاجب) الذي كان يمنع الدخول إلى الحضرة على من يشاء، ويسمح بالدخول إلى من يريد، وهو صاحب السلطة في ذلك، كيف لا، ومركزه في الخلافة الفاطمية، يلي مركز الوزير

---

(1) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج5، ص70.

(2) ابن منجب الصيرفي، الإشارة، ص63. السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص118.

(3) ابن ميسر ، المنتقى من أخبار مصر ، ج2، ص94؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص293.

مباشرة.[1] فاستطاع بعضهم أن يتبوأ مركز الصدارة، ويصبح وزيراً أمثال: يأنس الذي بقي وزيراً للحافظ لدين الله مدة تسعة أشهر، وتنسب له محلة اليانسية خارج باب زويله[2].

الوالي

ومن أجل تحسين سير العمل الإداري، وتسهيلاً لمراقبة الخلفاء وأشرافهم، فقد قسمت البلاد المصرية إلى أقاليم على رأس كل إقليم والي يعمل على ضبط الأمن، وإقامة العدل فيه، وعليه أن يقيم في مركز الإقليم حتى يشرف عليه إشرافاً تاماً، وينفذ الأوامر التي تصل إليه من الخلفاء أو الوزراء بكل دقة، ويعلم بكل شاردة وواردة، وإلا كان نصيبه العزل من مركزه لأنه المسؤول أولاً وأخيراً عن إدارته أمام الخليفة. هو يقوم بجمع الضرائب المفروضة على سكان الأقاليم بالإضافة إلى ما يقومون به من أعمال السخرة، وتقديم أنفسهم للخدمة العسكرية، ويمكن أن يجمع الوالي في علمه الإشراف على أكثر من إقليم وكانت مصر تقسم في العصر الفاطمي إلى أربع ولايات وهي القاهرة، وولاية قوص والولاية الشرقية ما بين دمياط والرشيد وولاية الاسكندرية[3].

الدواوين

الحق جوهر الصقلي الدواوين بقصر الخلافة، عندما استقل بحكم مصر نيابة عن مولاة الخليفة، ولما جاء المعز لدين الله إلى مصر ونزل في قصره، أبقى دواوين دولته كما أنشأها جوهر الصقلي في القصر، أما يعقوب بن كلس طائفة من الحجاب، ارتدوا الملابس الحريرية،

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص81؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص261-370.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص195، 264؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص240، 346.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص88.

وتقلدوا السيوف، وتمنطقوا بالمناطق[1]. ولما مات ابن كلس سنة 380هـ/990م، أعادها العزيز بالله إلى قصر الخلافة حيث بقيت إلى أن استوزر الحاكم بأمر الله أبو الفتح مسعود بن طاهر الوزان سنة 409هـ/1018م، فنقل هذا الدواوين إلى داره[2]. وكان يعمل في تلك الدواوين موظفون تزيوا بزي يخالف لباس العلماء والفقهاء الذين لبسوا الطيلسان، فلبس الكتاب في الدواوين الدراعة، وكانت العطلة الأسبوعية يوم الجمعة[3]، فتقفل جميع الدوائر الدولة دواوينها لتأدية الصلاة الواجبة دينياً. ولم يمنع هذا من غلق الدواوين وتعطيل الأعمال أياماً متلاحقة عند وفاة أحد العظماء[4]. فمثلاً عند وفاة الوزير بهرام الأرمني سنة 535هـ/1150م، تمّ إغلاقها لفترة طويلة أيام الشدة العظمى[5]، وهي الشدة المستنصرية التي وقعت في سنوات عدة من حكم المستنصر بالله في (444هـ/ 1052م)، و(446هـ/ 1054م) و(447هـ/ 1055م) و(448هـ/ 1056م) [6].

ديوان البريد: أولى الفاطميون عنايتهم الزائدة بمؤسسة البريد، فجعلوه وسيلة اتصال بين الإدارة المركزية في العاصمة، وسائر الولايات البعيدة، كما جعلوا من البريديين (سعاة البريد) عيوناً للخليفة أو الوزير لتزويدهما بأخبار الموظفين وأحوال الإدارات الرسمية والولايات وتحرك الولاة، وتولى نقل البريد فرسان للمسافات البعيدة، أو بواسطة الحمام الزاجل، عبر خطوط محددة،

---

(1) مشرفة، عطية مصطفى، نظام الحكم بمصر في عصر الفاطميين، منشورات دار الفكر العربي بمصر، ط2، (د ت)، ص124.

(2) ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص33.

(3) مشرفة، نظم الحكم في مصر في عصر الفاطميين، ص125.

(4) ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص21، السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص116.

(5) المقريزي، إغاثة الأمة في كشف الغمة، نشر مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980، ص60.

(6) ابن ميسر، المنتقى، ص6-7.

وربطت سائر أطراف الدولة الفاطمية بالقاهرة، لنقل الأوامر والتعليمات الرسمية فقط، في حين كانت مراسلات الرعية على نفقة أصحابها[1].

وكان يتم اختيار البريديين من بين الأشخاص المشهود لهم بأخلاقهم وكفاءاتهم وإخلاصهم للخلافة، لما يؤتمنون عليه من رسائل شفوية قد يحمّلها إليهم الحلفاء، أو تكليفهم بمهام مراقبة الولاة والتجسس عليهم، فذكر القلقشندي أن من صفات البريدي "أن يكون قديراً على تنميق الكلام، وتحسين العبارة... صحيح الفكرة والمزاج، ذا بيان وعارضة ولين ... صدوقاً بريئاً من الطمع"[2]. وكان صاحب ديوان البريد يشرف على البريديين والبراجين، ويعتني بمراقبة المراسلات الصادرة والواردة من جميع الأقاليم، ويتم عرض "عرض كتب أصحاب البريد في جميع النواحي على الخليفة". ومن أهم الواجبات المناطة بأمير البريد أو صاحب ديوان البريد، السهر على تامين إرسال بريد الخليفة بالسرعة، وتقديم التقارير الخاصة بالأعمال الإدارية للحضرة، وإعطاء أذونات السفر التي تجيز لحاملها الحصول من المحطات المختلفة على الخيول اللازمة[3].

وخضع البريديون للتجربة أولاً، فكان رجل البريد يجرب بتكلفة حمل البريد العادي إلى الولاة أو النواب، حتى إذا لمسوا إخلاصه في العمل، سمحوا له بنقل الرسائل الهامة إلى من هم أرفع مقاماً كالملوك[4]. وتمييزاً له عن سائر الموظفين، كان رجل البريد يحمل "شارة" من الفضة أو النحاس الأحمر في حجم الكف، منقوش على أحد وجهيها بعض العبارات الدينية واسم الخليفة،

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص115.

(2) المصدر نفسه، ص115.

(3) ابن خرداذبه، أبو القاسم عبد الله (ت280هـ/ 893م)، المسالك والممالك، ليدن، 1889م، ص184.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص115.

فتكسبه مكانة محترمة، وتجعله موضوع الرعاية والتفكير[1]. ويفترض في البريدي أن يكون ذا معرفة تامة بالطرق ووعورتها فيتجنب سلوك الجبال والوهاد ومجاري الأنهار، فيؤدي مهمته بأسرع وقت على أحسن وجه ولم يذكر استخدام البريد النهري زمن الفاطميين.[2].

واستعمل الفاطميون الحمام الزاجل في نقل أوامرهم ومخاطباتهم السريعة عبر المسافات البعيدة. لذلك أناطوا إدارة بريد الحمام بحكام الأقاليم، فعينوا أشخاصاً (براجين) مهمتهم الاعتناء بهذه الأنواع من الحمام وتدريبها على حمل الرسائل بربطها تحت أجنحتها لتوصلها إلى أبراج (محطات) فيتولى نقلها إلى مراكز تليها، طيور أخرى، على أن يعلق برقبة وقوائم الحمامة علامات فارقة تمييزاً لها عن غيرها[3]. واعتمد في الرسائل التي ينقلها الحمام الزاجل على استئجار الحمام ولكن اشترط على البراج إن لا يطير الحمام يطير في جو ممطر أو بعد الغذاء الكافي[4].

ديوان المجلس: وكان هناك ديوان المجلس ويقول ابن الطوير، هو أصل الدواوين وفيه علوم الدولة بأجمعها ويقال لمتوليه صاحب ديوان المجلس ويشرف على إدارته عدد من الكتاب لكل واحد منهم مجلس مفرد ويعاونه معين أو معينان وصاحب هذا الديوان هو المتحدث في الاقطاعات[5]. ومن أهم مهامه عمل الميزانية العامة في نهاية ذي الحجة من كل عام، وقد تولاه

---

(1) المصدر نفسه، ص114.

(2) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص185.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص276-275؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص166.

(4) المقريزي، الخطط، ج1، ص232-231؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص166.

(5) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص75.

في فترة الدراسة الشيخ ابو الفضل بن الاسقف. ومن بعده تولاه جعفر بن غسان المعروف بابي العساف . [1].

ديوان النظر: وهناك ديوان النظر وصاحبه يرأس دواوين الأموال وكان له العزل والولاية وهو الذي يتولى عرض الأوراق في أوقات معروفة على الخليفة أو الوزير، ولم يكن يتولى هذا الديوان سوى المسلمين فيما عدا الأحزم "الأكرم" النصراني الذي توصل إلى ولايته بالضمان سنة 530هـ/1136م[2].

ديوان التحقيق: وديوان التحقيق الذي استحدثه الوزير الأفضل سنة 501هـ/1107م وكان لا يتولاه من كان ذو ذخيرة ويلحق بمتولي النظر وكان أول من تولاه ولي الدولة أبو البركات يوحنا بن أبي الليث وأطلق عليه ابن ميسر اسم ديوان المملكة[3]. وقد زال هذا الديوان بسقوط الفاطميين، وإلى جانب هذه الدواوين هناك ديوان يعرف بـ "ديوان الخاص" يشرف على نفقات الخليفة والقصر وكان يتبع إلى ديوان المجلس فيقال: "ديواني المجلس والخاص السعيدين أو ديوان الخاص والمجلس[4]. وعادة ما كانت هذه الدواوين تنسب إلى الخليفة الحاضر كأن يقال "الديوان الخاص الآمري" أو ديوان المجلس الفائزي، أو ديوان النظر[5].

---

(1) ابن ميسر ،المنتقى من أخبار مصر ،ص119: السيد، الدولة الفاطمية، ص35.

(2) ابن الطوير ، نزهة المقلتين، ص80-79؛ محاميد، التطورات، ص 149.

(3) ابن ميسر ، المنتقى، ص90.

(4)المقريزي، الخطط، ج1، ص84؛ السيد، الدولة الفاطمية، ص355.

(5) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص249؛ السيد، الدولة الفاطمية، ص355.

ديوان الإنشاء والمكاتبات: ويتألف هذا الديوان من رئيس الديوان ويقال له متولي الديوان[1]. وكان يخاطب بالأجل ويلقب كاتب الدست الشريف[2]. يعتبر ديون الانشاء ديوان مشترك لكافة الاقاليم الإسلامية وسمي فيما بعد قانون ديوان الرسائل من مهامه كتابة مكاتبات رجال الدولة وكبرائها من الولاة والأخبار والقضاة والكتاب والمشارفين، وكاتب يكتب المناشير، ونحوها وكاتب مبيض برسم الإنشاءات والسجلات وتقليدات ومكاتبات الملوك وناسخ يتولى نسخ الكتاب[3].

ديوان الاستخراج: مكلف بجباية الضرائب، أسس في أواخر عهد الخليفة الأمر بأحكام الله وقد شغل هذا المنصب موظف مسلم يدعى ابن قيراط، وظيفته تدبير شؤون المال ومراقبتها في الدولة. أما في عهد الخليفة الحافظ لدين الله فتولاه الاخرم النصراني[4].

ديوان الاحباس: يتولى هذا الديوان شؤون الأموال والأملاك الموقوفة المحبوسة على الأماكن المقدسة والمساجد. كان القضاة عادة يدير شؤون هذا الديوان، واظهر الفاطميون تناقضات في أدارة أموال الاحباس حيث أوكل أحيانا إلى كتاب من النصارى لإدارة هذا الديوان مثل ابن نسطوروس وأبو غالب الضبي النصراني.[5]

ديوان الجيش: يؤدي صلاحيات واسعة في الشؤون العسكرية والإمدادات الحربية ورواتب الجيش ويراقب تنظيمها وترتيبها ويهتم بعرض العساكر امام باب القصر ،وبحضور الخليفة وقادة

---

(1) ابن الصيرفي، علي بن منجب بن سلمان (ت 542هـ / 1148م) القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق أيمن السيد، الدار المصرية اللبنانية القاهرة 1990، ص7

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص84، القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، 103.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص318.

(4) ابن ميسر، المنتقى من اخبار مصر، ص140؛ محاميد، تطورات، ص148.

(5) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص161.

الجيش وموظفي الديوان، وكان نقيبه سنة 517هـ/1123م، القائد حسام الملك. ترأسه سنة (517هـ/1123م) القائد حسام الملك. [1]

ديوان الصعيد: يعالج هذا الديوان مسألة جباية الخراج والأمور المالية المتعلقة بهذا الشأن[2].

ديوان أسفل الأرض: عالج مسألة جباية الخراج نظرا لأهمية هذا الأمر، وكان يديره موظف أطلق علية اسم مشرف ديوان أسفل الأرض[3].

ديوان المواريث الحشرية: يختص بالموارد المالية والعقارية لمن يموت وليس له وارث. كان يتولى هذا الديوان شاهد عدل[4].

ديوان الرواتب: مكلف بدفع الرواتب إلى الأجناد والموظفين بانتظام شهري[5].

ديوان الترتيب: مختص بأمور الرسائل داخل القصر، ثم نقلها إلى الخليفة والجلوس معه والتمعن في البرقيات والرسائل المرسلة للخليفة، لذلك لقب صاحب هذا الديوان بجليس أمير المؤمنين. وفي زمن الحافظ لدين الله أصبح هذا الديوان همزة وصل بين ديوان البريد وديوان الإنشاء[6].

---

(1) ابن المأمون، أخبار مصر، ص61.

(2) القلقشندي، صبح الاعشي، ج3، ص495.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة

(4) نفس المصدر، ص496.

(5) المقريزي، الخطط، ج1، ص499.

(6) نفس المصدر ص 151.

ديوان المكاتبات: أسس زمن خلافة الأمر بأحكام الله نتيجة للإحداث السياسية التي حدثت في الدولة، وترأسه أبو الحسن بن أبي أسامة أمين سر الخليفة([1]).

ديوان الكتامين: يدير هذا الديوان شؤون الجيش الذي ينتمي لقبيلة كتامة المغربية التي لعبت دورا هاما في الجيش الفاطمي[2].

ديوان الإقطاع: يرتبط هذا الديوان في الاقطاعات التي منحها الوزير الأفضل بن بدر الجمالي إلى شيوخ القبائل البدوية في الدلتا لكسب تأييدهم في الصراعات الداخلية. لقد عالج هذا الديوان شؤون الاقطاعات الخاصة في جميع إنحاء مصر[3].

ديوان الجهاد: تم إنشاء ديوان الجهاد لخدمة شؤون الأسطول وتنظيمه سنة 531هـ/1136م، على يد الوزير رضوان بن ولخشي للمجابهة وللجهاد ضد الفرنجة في بلاد الشام وسواحل مصر. لقد أطلق على هذا الديوان "ديوان العمائر" و"ديوان صناعة مصر" بسبب المهمة التي أوكلت إليه وهي اعمار وصناعة السفن [4].

القضاء في الدولة الفاطمية

لقد دأب الفاطميون على أن يكون القضاء أحد الدعائم الهامة في نظامهم الاداري، وذلك لنشر دعوتهم في الأقاليم التابعة لهم. فكان القاضي الفاطمي يتصدر الوظائف الدينية في الدولة، والتي ترتكز على دعامتين رئيسيتين، وهما: نظام القضاء ونظام الدعوة. عندما سيطر الفاطميون

---

(1) ابن ميسر، المنقى من أخبار مصر، ص90.

(2) نفس المصدر، ص172.

(3) المقريزي، اتعاظ، ج3، ص14.

(4) ناصر خسرو، سفر نامة، ص 443؛ محاميد، التطورات، ص 140.

على مصر وجدوا نظاما قضائيا سنيا يتمشى حسب أنظمة الدولة العباسية. فعندما فتح جوهر الصقلي مصر وضمها لسلطة الدولة الفاطمية. اتسمت سياسة الفاطميين في مصر في بداية عهدهم بالحكمة واتخاذ القرارات بالتروي وعدم إثارة مشاعر المصريين.(1)

وكان منصب القضاء أحد هذه المؤسسات وأهمها للسيطرة عليه من أيدي أهل السنة، فالسيطرة على منصب القضاء تمنح الفاطميين دعما لسلطتهم وبناء الدولة حسب عقيدة الشيعة الإسماعيلية، وعندما قدم الإمام المعز إلى مقره الجديد في القاهرة أدخل تجديدات على نظام القضاء في مصر. حينها عين القاضي المغربي الموالي للفاطميين، أبا سعيد بن أبي ثوبان قاضيا. كان منصب القضاء في بداية العهد الفاطمي ذا مركز هام يتحلى بصلاحيات واضحة ومحددة تمنح له من قبل الخليفة. حيث كان القاضي يدير شؤون القضاء في إصدار الأحكام الشرعية. (2)

كان في الدولة الفاطمية للقاضي أهمية ومكانة عالية عند الخلفاء، وكان القاضي يشارك في المواكب والاحتفالات الرسمية ويدرس بدور العلم مثلما حدث مع القاضي هبة الله عبدالله بن الحسين المعروف بابن الأزرق سنة 534 هـ/1140 م.(3)

كان القاضي يختار من بين الأشخاص المشهود لهم بحفظ القران والحديث. "إذا جلس القاضي للحكم فلا يسلم على الخصوم، ولا هم يسلمون عليه، ولا يقوم لأحد وهو جالس في مجلس القضاء مطلقاً مهما سمت منزلة القادم". لهذا وجب على القاضي أن يحافظ على سيادته وكرامته،

---

(1) المقريزي، الخطط، ج 1، ص 86؛ محاميد، تطورات، ص 176

(2) ابن ميسر، المنتقى من اخبار مصر، ص 131

(3) المقريزي، اتعاظ، ج 3، ص 172.

يبعث الهيبة في النفوس ويكون محاطاً بالاحترام والإجلال، فتصان كرامته، ويبقى رمزاً للعدالة بين العدل[1].

وتبقى كرامة القاضي والقضاء ما دام صاحبها محافظاً عليها، وإذا أخطأ تعرض للعزل، ويحدثنا ابن ميسر: أنه لما أسند الخليفة الحافظ لدين الله، رتبة قاضي القضاة للقاضي فخر الأمناء هبة الله بن حسين الأنصاري المعروف بابن الأزرق[2] قد أضيف إليه تدريس في دار العلم، ومضى إليها، وكان كذلك من مدرسيها الفقيه أبو الحسن علي بن إسماعيل، فجرت بينهما مجادلات أدت إلى الخصام والتلاكم، وخرج بنتيجتها ابن الأزرق إلى القصر ماشياً، وقد تمزّقت ثيابه وسقطت عمامته عن رأسه، ولما علم الخليفة بذلك استعظم خروج القاضي ماشياً في الأسواق على تلك الهيئة، فصرفه عن القضاء، وغرمه مائتي دينار وألزمه داره[3].

وكان للقاضي برسم ركوبه على الدواب بغلة شهباء تخرج له من الاصطبلات الخليفية، وهو مخصوص بهذا اللون من البغال دون أرباب الدولة، وكانت تأتيه في المواسم الأطواق ويخلع عليه الخلع المذهبة[4]. وإذا حضر القاضي المجلس لا يتقدم عليه أحد من أرباب السيوف أو الأقلام ولا يحضر عقود الأنكحة أو الجنائز إلا بإذن، ولا سبيل إلى قيامه لأحد وهو في مجلس الحكم ولا يعدل شاهده إلا بأمره، وكان للقاضي مكان متميز في الاحتفالات والمواكب[5].

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص487؛ حسن، الدولة الفاطمية، ص308-307.

(2) هو القاضي هبة الله بن عبدالله بن الحسين، درس بدار العلم بالقاهرة سنة 534هـ/1140م. (ابن حجر، رفع الأسر، ص267).

(3) ابن ميسر، المنتقى، ج3، ص84-83.

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص108؛ محاميد، التطورات، ص 178.

(5) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص108؛ السيد، الدولة الفاطمية، ص366، 367.

وقد غلب إضافة النظر في المظالم والحسبة إلى أعمال القاضي، وكان للمظالم ديوان خاص يشرف عليه صاحب المظالم وسلطته أكبر من سلطة القاضي، كما كان صاحب المظالم يفصل أيضاً في الشكاوى العامة لجمهور الناس[1].

أما الحسبة فكانت تستهدف الأشراف المباشر على الأسواق وما تضمه من محال وصناع ومواد وموازين ومكاييل وأسعار، وكان من صلاحيات توقيع العقوبة فوراً على المخالفين، وهو ما لا يتيسر في القضاء[2].

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص280-277.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، 97، 117، 277.

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية

أولاً: الزراعة (الأراضي، المزروعات الصيفية والشتوية، شق الترع والقنوات وبناء الجسور، الثروة الحيوانية)

ثانيا: الصناعة (أنواع الصناعات ومصادرها، النقابات والطوائف الحرفية، السكة الفاطمية)

ثالثا: التجارة (المراكز التجارية، نظام المعاملات المالية، ألازمات الاقتصادية، النشاط التجاري الخارجي).

رابعا: الموارد المالية للدولة الفاطمية

أولاً: الزراعة

1. أنواع الأرض

انقسمت الأراضي الزراعية في مصر إلى:

أ. **ارض الملك:** لم يحدث تغيير على ملكية الأراضي في فترة الدراسة، ولم يجر تغيير على الأرض المملوكة وكان لأصحابها الحق في التصرف بحريه بأملاكهم.(1)

ب. **الإقطـاع** : قـام الـوزير الأفـضل بـن بـدر الجمـالي، قـام بحـل جميـع الاقطاعـات وإعـادة توزيعها بسبب شكاوى صـغار المقطعين من قلة دخل اقطاعاتهم .وقد كان أكثر الاقطاعين في هذه الفترة من الجند، إذ استغلوا اقطاعاتهم لمدة30 سنه. وعند نهاية المدة يجب أن يرد الأرض المقطوعة كما تسلمها بدون نقل المنشئات التي أقيمت عليها. (2)

ج. **الوقف:** بقيت أراضي الأوقاف بأيدي مستحقيها أو نظار الوقف بدون تدخل السلطة بهذا الأمـر. وكـان القضاة يتولـون النظـر فـي شـؤون الأوقـاف وحفظهـا وصـرف ريعهـا علـى المحتـاجين والفقراء والمؤسسات الدينية، بمساعدة ديوان الاحباس برئاسة قاض. يعتبر هذا الديوان المسؤول عن الأموال والأراضي الموقوفة للمصالح العامة. وفي سنة 519هـ/1123م تولى القاضي ابن الحجاج ابن أيوب المغربي إدارة ديوان الاحباس، إضافة لمنصبه في القضاء وفي أخر عهد الحافظ لدين الله تم تحويل إدارة شؤون الاحباس إلى إدارة القضاء.(3)

---

(1) المقريزي، الخطط، ج1، ص83سرور، الدولة الفاطمية، ص137.

(2) نفس المصدر، ص 84.

(3) المقريزي، اتعاض، ج3، ص151سرور، الدولة الفاطميه،ص154.

لقد شملت الأوقاف في عهد خلافة الأمر بأحكام الله أراضي زراعيه مثل بركة الحبش جنوب مدينه الفسطاط وسميت بهذا الاسم بسبب غمرها بماء النيل عند فيضانه لذلك سميت ببركة الحبش [1].

أما بعد وفاة الخليفة الأمر بأحكام الله واستيلاء أبو علي الأفضل كتيفات حفيد بدر الجمالي على السلطة، فقد أعاد جميع الحبس إلى الملاك حتى نهاية وزارته.

وعندما تم تعيين الخليفة الحافظ لدين الله، حل الاحباس واستولى على جميع الأملاك لكنه عدل عن ذلك وتراجع بعد تدخل وزيره يأنس الأرمني[2].

أن أقدم حجة وقف وصلت إلينا من مصر الفاطمية، هي حجة وقف الوزير طلائع بن رزيك سنة 544هـ/1159م. أوقف بعض الرباع ونصف بركة الحبش وناحية بلقس الأشراف[3]. على الأشراف الحسينيين المقيمين بالقاهرة واستمر العمل بأراضي الوقف حتى زوال الدولة الفاطمية[4].

توقف نجاح الزراعة على عاملين هما : فيضان النيل وتوفير الإمكانيات اللازمة للاهتمام بزراعه مثل شق الطرق وتحسين طرق الري وترميم القنوات والجسور على ضفاف نهر النيل. وفي عهد الأمر بإحكام الله بلغ التقدم الزراعي أعلى درجه بفضل وزيره الأفضل بن بدر

---

(1) المقريزي، خطط، ج2، ص152؛سيد الدولة الفاطمية 365.

(2) ابن دقمان:الانتصار ،ج4،ص55:ايمن سيد، الدولة الفاطمية، ص 360-361

(3) بلقس الاشراف: قرية قديمة من بين قرى محافظه القليوبية ابن مماتي، قوانين، ص110.

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص115؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص294؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص 360.

الجمالي، فتم زراعة أنواع جديدة من القمح واستغلت جميع الأراضي الزراعية، مما زاد الأرباح وارتفع الخراج .[1]

2. الأراضي الشجرية

أعتبرت الأراضي في مصر منذ الفتح الإسلامي وحتى العصر الفاطمي، أراض تعود ملكيتها للدولة [2]، وتُمسح الأرض الخراجية في كل ثلاث سنين مرة وبالتالي أرض مصر هي وقف للأمة وقد أشار ابن عبد الحكم إلى ذلك بقوله:

وتثبت مساحة الأرض، وأنواع الأشجار الموجودة وعددها والجدران المحيطة بالبساتين[3] ويؤخذ الخراج إذا بلغ ماء النيل ستة عشر ذراعا زاد الخراج (100.000) دينار [4].

اعتبرت هذه الأراضي ملكاً للخليفة يتصرف فيها كيفما يشاء، وله حق إقطاع الأرض لمن يريد من الجند، ففي عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، أَقْطَعَ الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، القائد العسكري شمس الخلافة أسد أرضًا بعسقلان وأقر عليه إقطاعه بمصر وذلك في 504هـ/1115م[5]. كما مُنح تاج المعالي مختار أرض خاص وذلك سنة 501هـ/1108م[6]. وبخصوص الأراضي الوقفية في العهد الفاطمي، فقد أوقفت على المساجد والبيمارستانات في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله، وذلك بهدف استمرارها، وتقديم الأموال اللازمة للعاملين فيها، ولتنظيم

(1) وثائق الجيزا، وثيقة رقم 5، FN1256B؛ المقريزي، الخطط،ج1، ص 83؛ سرور، الدولة الفاطمية، ص137.

(2) المقريزي، الخطط، ج3، ص195؛ ابن عبد الحكيم، فتوح مصر والمغرب، ص122؛ محاميد، تطورات، ص154.

(3) المخزومي، المنهاج، ص61-62.

(4) ابن مماتي، القوانين، ص76.

(5) ابن نجيم، الرسائل الزينية، ص239-241.

(6) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص168.

ذلك أنشأت الخلافة الفاطمية ديوان "الأحباس"، والنتيجة أنه في مصر الفاطمية مُنح وقف الأراضي الزراعية [1].

3. المحاصيل الزراعية

يمكث تقسيم المحاصيل الزراعية إلى موسمين أساسيين وهما :

المحاصيل الزراعية الشتوية:

كانت تبدأ زراعة المحاصيل الزراعية الشتوية في شهر كيهاك (ايلول)، وتنتهي بشهر بؤونه (آذار).

هنا لا بد من الإشارة أن مواعيد مواسم الزراعة كانت حسب التقويم القبطي.

أن الزراعة الشتوية كانت تدر محصول زراعي وفير على المزارعين.[2]

أهم المحاصيل الزراعية الشتوية:

أ. **الحبوب:** شكلت زراعة الحبوب كالقمح والشعير أهم محصول زراعي شتوي، لان القمح عنصر أساسي لطعام المواطن المصري. وفي عهد الآمر بحكام الله اهتم وزيره الأفضل بن بدر الجمالي بحرث الأرض البور، وزرعها بنوع جديد من القمح مما أدى إلى ارتفاع المنتوج والخراج، وكانت زراعة الحبوب تشمل الجزء الأكبر من الأراضي المصرية الخصبة.[3]

---

(1) أمين، الأوقات والحياة الاجتماعية، ص53-59.

(2) البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص 66؛ سيد الدولة الفاطمية، ص292/293.

(3) البراوي، حالة مصر، ص71؛ سرور، الدولة الفاطمية ص292.

انتشرت زراعة القمح والشعير [1] في كافة أرجاء مصر الفاطمية[2] في بلاد الصعيد والوجه البحري وذلك لاعتماد السكان عليهما في غذائهم اليومي[3]، وخاصة أنّ سكان القرى كانوا يأكلون خبز الشعير، ويعملون الفطير من الشعير و النخالة، كما زرع في مصر الترمس الذي يقبل الناس على أكله مسلوقًا[4].

ب. الأزهار والرياحين: يجتمع في أواخر فصل الشتاء على أرض مصر كل من: النرجس والبنفسج، والريحان والنارنج*، والياسمين، والنسرين، والورد النصيبي[5]، ونبات الريحان الملكي وشقائق النعمان والتي قال فيها الشاعر ظافر الحداد:

وللشقائق جَمرٌ في جوانبها

بقية الفحم لم تَسْتَره باللهب[6]

والأقحوان "الحبق ذو الرائحة الطيبة، ومنه عدة أنواع هي حبق: القرنفل، والصعتري، والكافور[7]، وبخصوص نبات النيلوفر فهو نبات قمري يزيد بزيادة القمر، وينقص بنقصانه، ومن صفاته في النهار أنّه يحوّل وجهه باتجاه الشمس[8]. وفيما يتعلق بنبات البشنين فينبت في المستنقعات المائية على نهر النيل[9].

---

(1) ابن ميسر، أخبار مصر، ص83؛ سلطان، المجتمع المصري، ص240.

(2) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص187.

(3) ابن مماتي، قوانين، ص250.

(4) الشربيني، هز القحوف، ص91،59؛ سلطان، المجتمع المصري، ص242.

(5) ابن زولاق، أخبار الدول المنقطعة، ص22. خسرو، سفرنامة، ص103،101.

(6) الحداد، ديوان، ص19.

(7) السيوطي، حسن المحاضرة،ج2، ص374؛ ابن مماتي، قوانين، ص250، 272.

(8) السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص370؛ المخزومي، المنهاج، ص 6-7.

(9) السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص 372.

كما زرع قرب نبات البشنين والأشجار ما بين القصور، ويُسقى من ماء الآبار، وفي قصر الخليفة بساتين لا نظير لها وقد نصب السواقي لها[1].

ج. **أشجار الغابات:** اهتمت دولة الخلافة الفاطمية بزراعتها في قرى الصعيد ومنها: البهنسا، وأنسنا، ورشين، ومنبال، وشبطال، والأشمونين، وأسيوط، وأخميم، وقوص ومن أهم أشجارها[2] "السنط" و" اللبخ" الذي يُستخدم لصناعة السفن المصرية[3]، والبلوط للأكل.

د. **البقول:** ويشمل هذا المفهوم: الفول والعدس والبازلاء واللوبيا والحمص، وزرعت في كافة أنحاء مصر في العهد الفاطمي، وذلك لحاجة الناس اليومية إليها في غذائهم وخاصة في الأرياف[4]، فالفول مثلاً يؤكل أخضرا أو مسلوقا أو مطبوخا بالسمن واللبن، ومن المناطق التي زرع بها: ضواحي القاهرة[5]ويحتاج الفدان من الأرض إلى ثلاث ويبات من بدار العدس[6]. ويستخدم الفول مجروشًا كطعام للناس فيسمى الديشة أو كعلفٍ للدواب [7].

هـ. **الكتان:** زرع في الأراضي المغمورة في المياه مده طويلة من الزمن، مثل منطقة الدلتا والفيوم[8] لأنهما مناطق خصبه ومنخفضة ووفيرة.[9]

---

(1) خسرو، سفر نامة، ص91.

(2) ابن مماتي، قوانين، ص347-348.

(3) سعاد ماهر، البحرية، ص169.

(4) ابن مماتي، قوانين، ص238، 254، 258.

(5) خسرو سفر نامة، ص103. الشربيني، هز القحوف، 12-13، 34-35.

(6) المخزومي، المنهاج، ص 3، 8.

(7) سلطان، المجتمع المصري، ص242.

(8) الفيوم، محافظة الفيوم هي إحدى محافظات مصر وعاصمتها مدينة الفيوم، تقع في إقليم «شمال الصعيد» الذي يضم ثلاث محافظات هي الفيوم وبني سويف والمنيا. وتعد محافظة الفيوم صورة مصغرة لمصر حتى أن البعض يطلقون عليها «مصر الصغرى». يوجد بالفيوم مجتمع زراعي ومجتمع صناعي . (الحموي، معجم البلدان، ج4، ص261)

(9) القلقشندي، صبح، ج 3، ص 306؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج2، ص261.

و. **الجلبان والبرسيم:** يعتبران من المحاصيل الشتوية الهامة بسبب وفرة الانتاج الزراعي. يستعمل البرسيم كغذاء هام للمواشي وخاصة المواشي المنتجة للحليب.[1]

المحاصيل الصيفية: من اهم المحاصيل الصيفية

أ. **قصب السكر:** شكلت زراعة قصب السكر جانبا هاما في المحصول الزراعي، حيث تحسنت طرق تكرير عصير قصب السكر في مدن وقرى مصريه عديدة وقد شكل هذا المنتوج طابع رأسمالي خاص در أموال طائلة على الفلاحين والصناع.[2] زرع المصريون قصب السكر، في مناطق عديدة في مصر أهمها جرجا، وقرشوط، وأخميم حيث تم استنتاج العسل والسكر بكميات كثيرة في مصر[3].

ب. **الأرز:** يقوم المصريون ببذر الأرز في منتصف شهر برمهات من كل عام و يُحصد في الشهر الثاني (توت) حسب التقويم القبطي[4]، وهو من محاصيل المزروعات الصيفية[5]، وهو من الأطعمة الرئيسية لسكان السواحل في مصر، واشتهرت الفيوم[6] ورشيد بزراعته[7].

ج. **النيلة:** ويزرعها المصريون فيما بين شهري نيسان وتموز أو في شهر برمودة حسب التقويم الخاص بهم[8] أي أنها من المحاصيل الزراعية الصيفية ويزرعها الأغنياء في مزارعهم

---

(1) المقريزي، الخطط، ج1، ص271؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص293.

(2) البراوي، حالة مصر، ص71؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص 293 .

(3) عبد الرحيم، الريق المصري، ص202.

(4) المخزومي، المنهاج، ج1، ص6،8.

(5) عبد الرحيم، الريف المصري، ص197، 202.

(6) المقدسي، حسن التقاسيم، ص208.

(7) سلطان، المجتمع المصري، ص243.

(8) ابن مماتي، قوانين، ص249.

بصعيد مصر، وذلك لارتفاع تكلفة زراعتها عند اكتمال كل مائة يوم ويحصد نبات النيلة أربع مرات في السنة[1]، وتستخدم أوراقه في صباغة الأقمشة باللون الأزرق[2].

د. السمسم: اعتبرت زراعة السمسم زراعه صيفيه ناجحة إذ در المنتوج أموال طائلة على المزارعين. زرع السمسم في الأراضي الخصبة والموفرة.[3]

هـ. الفواكه: اشتهرت مصر الفاطمية بزراعة كروم الرمان والخوخ والبطيخ والليمون والسفرجل وشجر النخيل. زرعت أشجار الفواكه في منطقه الجيزة والفيوم والقليوب، وشكلت عنصرا هاما في المحصول الزراعي المصري، يشار إلى أن أشجار النخيل كانت مغروسة على شاطئ نهر النيل وفي منطقة اسوان وقد بلغ محصول التمر السنوي 36 ألف دينار.[4]

من الجدير بالذكر انه يوجد مزروعات مستديمة او سنوية التي يمتد موسم انتاجا الى سنه زراعيه كامله مثل محصول قصب السكر ومحاصيل الفاكهة والاشجار الخشبية.[5] وأشجار العنب وانتشرت في معظم أراضي مصر، وخاصة في قوص والصعيد[6]. كما زرع المصريون التين، والزيتون، والنخيل الذي زُرع في بلاد الصعيد على جانبي نهر النيل كما زرع في : أسوان، وأسنا، وقوص، وأخميم [7].

---

(1) ابن مماتي، قوانين، ص253.

(2) عبد الرحيم، الريف المصري، ص 197-203.

(3) البراوي، حالة مصر، ص 68.

(4) القلقشندي، صبحي الاعشى، ج3، ص304

(5) المقريزي، خطط، ج2، ص83؛ سرور، الدولة الفاطمية، ص153-154 בת יאור ، יהודי מצרים ، ספרית מעריב ، רמת גן ،1974،עמ'12.

(6) المخزومي، المنهاج، ص6-10.

(7) ابن جبير، رحلة، ص36.

كذلك زرع الفلاّح المصري التفاح بنوعية القاسمي والمسكي، والرمان[1]، والخوخ الزهري[2]، والليمون[3]، والسفرجل وأشجار المشمس واللوز والتوت، والعناب، وقصب السكر، والبنجر، والموز [4].

كما زرع المصريون: البصل والثوم والجزر والخس، والفجل، واللفت، والسمسم، والكرنب، والقرع، والترمس، والباذنجان، والخيار، والفقوس، والبطيخ الأحمر والأصفر، وتزرع الخضروات في كافة أنحاء مصر، ويستخدمها الناس في طعامهم اليومي[5].

ويعلل الرحالة ناصر خسرو اجتماع أنواع مختلفة في الثمار الصيفية والشتوية في مصر بسبب تعدد أنواع المناخ في مصر، ولاتساع أراضيها. [6]

3. الترع والقنوات وبناء الجسور

اهتم الفاطميون بتوفير المياه لري المزروعات ومما ميّز فترة حكمهم الاهتمام بالجوانب التقنية التي تساعد في تطوير الزراعة مثل بناية الجسور وشق الترع وصيانتها وتنظيف قنوات الري وتطهيرها والاعتناء بها، وبلغ عدد قنوات الري البحرية والقبلية حوالي 117 ترعة، وعدد الخلجان التي تسهل عملية استيراد وتصدير المنتوجات الزراعية 8 خلجان، وعدد الأبحر 25

---

(1) ابن زولاق، تاريخ مصر، ص22؛ خسرو، سفر نامة، ص103.

(2) ابن زولاق، تاريخ مصر، ص20.

(3) ابن مماتي، قوانين، ص234-237، 271-272.

(4) المقدسي، حسن التقاسيم، ص201. מנחם בן ששון،צמיחת הקהילה היוהדית בארצות האיסלאם،ירושלים 1996עמ' 380-383.

(5) خسرو، سفر نامة، ص103.

(6) ابن مماتي، قوانين ص248، 469، المخزومي، المنهاج، ج2، ص7.

بحرًا. كل ما ذكر أعلاه ساهم في تحسين الوضع الزراعي في الدولة الفاطمية خاصة بعد اجراء تعديلات على نظام الإقطاع[1].

4. الثروة الحيوانية

اهتم الفلاحون بتربية الدجاج والأوز والحمام في بيوتهم [2]، وهذا يوفر لهم نوعا من الأمن الغذائي مثل التزوّد في: اللحوم والبيض، كما وجد في مصر طير السماني مَنْ أكلَ منه قوى مفاصله[3]، وكذلك حيوانات للنقل وللحراسة مثل: الجمال والبغال والحمير والكلاب[4]، كما استخدمت الثيران والخيول والجواميس لإدارة سواقي الماء ومطاحن القمح والشعير [5]. لقد استخدم الفاطميون مصطلح الفدان وهو مقدار ما يحرثه رأسين من البقر في اليوم الواحد في الأرض اللينة، ويحتاج كل خمسة وعشرين رأساً من البقر إلى رجل يقوم على خدمتها [6]، أما بالنسبة للأبقار الخيسية فهي المخصصة لإدرار الحليب فصنع من حليبها الأجبان[7]، كما رُبيت الأغنام والماعز، وخاصة في قرى الصعيد.

كما قام المصريون بتربية النحل لاستخراج العسل وكان أغلب العاملين بتربية النحل من الأقباط في ناحية أسيوط[8]، كذلك اهتم الفاطميون بتربية دودة القز لتنشيط صناعة الحرير في

---

(1) د. علي حسني الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، مكتبة الأنجلومصرية، الجيزة، مارس، 1963، ص224-226.

(2) الشربيني، هز القحوف، ص58.

(3) ابن مماتي، قوانين، ص239. לסטר אילה ،היבטים טיפולוגיים מן התקופה הפאטמית ، חיפה 2011،עמ' 23.

(4) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص209.

(5) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص209.

(6) المسبحي، أخبار مصر، ص91.

(7) عبد الرحيم، الريف المصري، ص210.

(8) المخزومي، المنهاج، ص6.

مصر، وأخيراً نستطيع القول أن الفّلاح المصري أوجَدَ لأسرته الأمن الغذائي بشقيه الحيواني والنباتي في العهد الفاطمي كما اعتنى بالأسماك بأنواعها المختلفة مثل: الأبرميس والراي[1]، ومَنْ يواظب على أكل السمك يصاب بمرض الجرب[2].

الحمير: كانت وسيلة مهمة للركوب آنذاك، ويذكر أن الراهب أبو نجاح الذي عُيّن في الديوان في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله سنة 520هـ/ 1126م يركب الحمير الفارهة بالسروج المحلاة بالذهب والفضة واستمر إلى أن قُتل سنة 523ه/1129م. [3]

---

(1) الشربيني، هز القحوف، ص62.

(2) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص186؛ ابن ظافر، الدول المنقطعة، ص92.

(3) المقدسي، حسن التقاسيم، ص201. .

ثانياً: الصناعة

إن التطور في تجارة مصر خارجيا وداخليا أديا إلى ازدهار الصناعة المصرية، وهذا أدى إلى ظهور صناعات جديدة ومراكز اقتصاديه لم تكن سابقا. لقد استعان الفاطميون بمهنية أهل الذمة والعمال الأجانب ومهاراتهم وخبراتهم الصناعية للارتقاء في مجال الصناعة، كذلك استخدمت أساليب جديدة في الصناعة المصرية الفاطمية وتنوعت أنواعها وتأسست نقابات حرفيه للدفاع عن حقوق العاملين والفلاحين والصناع[1].

1. أنواع الصناعات ومصادرها

أ. الصناعات النباتية

اعتمدت الصناعات النسيجية في مصر على ما كان يزرع فيها من الكتان على ضفاف النيل مثل الفيوم أو في الدلتا، ومن القرى القبطية التي زرعته: الفيوم ودرنكة[2]، ودمياط[3] وابنوب وبوصير[4]، وقرية شطا[5]، كانت الخلافة الفاطمية تشرف على المغازل والمناسج التي يعمل فيها

---

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 141؛ البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص 120.

(2) قرية درنكة هي إحدى القرى التابعة لمركز أسيوط في محافظة أسيوط في جمهورية مصر العربية، ومن أشهر معالمها دير العذراء الذي يمثل آخر نقطة في رحلة العائلة المقدسة ومنها بدأوا طريق عودتهم إلى فلسطين (عبد الرحيم، الريف المصري، ص213؛ سرور، الدولة الفاطمية، ص156.)

(3) مدينه بأقصى شمال مصر تشتهر بزراعة النخيل وبسواحلها المطلة على نهر النيل وتشتهر بصناعه الاثاث والجلود والحلويات والاجبان. (ويلز، الموسوعة الحرة، جزء 3، ص20.)

(4) **أنبوب**: مدينه مصريه تقع بمحافظة اسيوط تقع على الضفة ا لشرقيه لنهر النيل. **بصير**: مدن مصريه تبعد14 كيلومتر من الجيزة فيها 4 أهرامات ومعابد للشمس. (ويلز، الموسوعة الحرة، جزء 3، ص22.)

(5) تعد قرية شطا واحدة من أهم قرى مركز دمياط نظرا لكونها أخر حدود المحافظة مع محافظة بورسعيد، كما تحوي هذه القرية عددا غير قليل من المشروعات التنموية بالمحافظة. (المقدسي، أحسن التقاسيم، ص213-202.)

الأقباط رجالاً ونساءً، ولا يمكن لأي قبطي من التصرف بالقماش إلاّ تحت إشراف الدولة، للتأكد من صحة دباغته[1].

صنع من الكتان قماش البروكار: وهو عبارة عن خيوط رفيعة من الكتان محاطة بطبقة رقيقة من أمعاء الخراف، ومغطاة بقشرة من الذهب[2]. ومن الليف صُنعِتْ الحبال[3]، أما أشجار الحلفا والنخيل فصنع منها الحصر التي كانت تستخدم كمفروشات في المنازل الريفية، ومن القرى التي اشتهرت بذلك: طمية[4] وسنورس[5]، ومنوف[6]. من الجدير بالذكر أن الصناعات الصوفية اعتمدت على أصواف الأغنام التي صنع منها: الألبسة الصوفية البيضاء، والبطائن الحمر، والبسط، والأردية، وكان بعضاً من الألبسة الصوفية لرجال الدولة يُصنع بدار الطراز، ومثال ذلك ملابس: الراهب أبو نجاح بن قنا والذي قتله الخليفة الآمر بأحكام الله سنة 523هـ/1129م[7].

دار الطراز: هي بناء معد لصنع الملابس الخاصة بالخليفة والأمراء ورجال الدولة وفيها تصنع الملابس الحريرية وكسوة الكعبة المعظمة[8] واشتهرت دار الطراز بقرية دبيق بصناعة

---

(1) ابن مماتي، قوانين، ص337.

(2) فهمي، طرق التجارة، ص247-248.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص203. סטילמן ، יהודי ארצות ערב ירושלים 1997עמ' 53-40.

(4) جبل مخروطي الشكل، يقع في منطقة القصيم في مصر وارتفاعه 1300 متر. يعتقد العلماء أنه بركاناً خامداً، فمكانه الذي يوجد فيه وشكله لا يوحي بأنه جبل بل هو أقرب للبركان رغم ارتفاعه، ويقول العلماء أنه سينفجر ويصبح بركاناً في عام 1435هـ/2014م. (الحموي، معجم البلدان، ج4، ص42)

(5) هو أحد المراكز الستة لمحافظة الفيوم بمصر، وتبلغ المساحة المنزرعة بها (51555) فدان. (الحموي، معجم البلدان، ج4، ص260)

(6) هو مركز يتبع لمحافظة المنوفيه في مصر .(مصيلحي، المنوفيه، ص48؛) عبد الرحيم، الريف المصري، ص21.

(7) ابن ظافر، الدول المنقطعة، ص89.

(8) المقريزي، حسن المحاضرة، ج2، ص289. فهمي، طرق التجارة، ص245.

الأقمشة المزركشة: الحريرية والصوفية والديباج المزركشة والموشاة بخيوط الذهب[1]، كما صنعت فيها العمائم الموشاة بكتابات منسوجة بالذهب وكذلك صنع فيها الأثواب المصمتة ذات اللون الأبيض[2]. يشرف على دار الطراز، ناظر مسؤول عن: الآلات والعمّال[3]، وصباغة الألبسة: باللون الأزرق، واستخدم لذلك النيلة التي تزرعُ في واحات مصر[4]، أو الشب الذي يستخرج من أسوان في الصعيد ويستخدم في تثبيت الألوان والصبغات على الأقمشة وخاصة اللون الأحمر[5].وحملت الأصباغ على دور الطراز التي وجدت في كل من: تنيس ودمياط، والإسكندرية، ويحمل ناتجها ويوضع في خزانة الكسوة في قصر الخليفة الفاطمي. وقد أنشأ الوزير الأفضل بن بدر الجمالي في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله دار الديباج الواقعة بسويقة الصاحب[6].

سكن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله في دار الديباج وعُرفت في عهده بدار الديباج لأنه يعمل بها الحرير والديباج. وممن تولاها الطبيب أبو سعيد بن قرقة متولي خزائن السلاح وخزائن السروج وظلت تعمل إلى أن زالت الدولة الفاطمية[7]

---

(1) ابن خلدون، العبر، ج2، ص708؛ المسبحي، أخبار مصر، ص6.

(2) ابن ظافر، الدول المنقطعة، ص89.

(3) ابن مماتي، قوانين، ص230.

(4) فهمي، طرق التجارة، ص236.

(5) ابن مماتي، القوانين، ص328؛ المرجع نفسه ص 237-238. מחאמיד חאתם،החיאת הסונה במצרים וסוריה، תל אביב،2009،עמ' 22

(6) المسبحي، أخبار مصر، ص6؛ ابن مماتي، قوانين، ص257.

(7) المقريزي، الخطط، ج1، ص464

صناعة السكر والعسل: تركزت زراعة قصب السكر في بلاد الصعيد، ومنها: فرشوط[1] وأخميم[2]، وكان القصب يُنقل على ظهور الجمال أو بالمراكب إلى المعاصر التي تعرف بالمعاصر الديوانية[3]، حيث تنظف سيقانه من الورق ثُم يعصر القصب وبعدها يُغلى على النار ليصاغ إلى تنقيته، وعمل قوالب السكر أو رؤوس السكر، حيث ينقل جزء من الناتج إلى مطابخ السكر في قصور الخلفاء الفاطميين، وهو من المنتوجات التي صدرتها مصر إلى أوروبا[4].

الصناعات الفخارية والخزفية: يحمل ماء النيل معه الطمي أثناء جريانه، وبالتالي انتشرت صناعته في بلاد الصعيد، فمنه صنعت الأدوات الفخارية المنزلية مثل: أباريق الماء، والقلل المستخدمة لتبريد الماء، والقدور الفخارية، وجرار العسل، وأدوات تعبئة النيلة. ويتم تجهيز الطمي ومزجه بالقش، ثم يوضع في قوالب بالأفران حتى ينشف، ثم ينقل إلى مدن مصر الفاطمية[5].

أما الصناعات الخزفية فانتشرت في مصر الفاطمية نتيجة لوجود مقاطع الطين الأصفر والأحمر بمنطقة العدوية، فصنعت منه الأدوات الخزفية[6].

---

(1) منطقة قديمة جداً تعرف أيضاً بالأسماء التالية، فرجود – فرجوط – برشوط ثم فرشوط ومنه اسمها الحالى فرشوط. تقع على شاطئ غربي النيل من الصعيد بمصر وهي بلدة عامرة بالخيرات الكثيرة، تضم مدينة فرشوط تسع قرى، معظم، محاصيلها الزراعية هي قصب السكر. (الحموي، معجم البلدان، ج4، ص251.)

(2) هي مدينة في محافظة سوهاج بصعيد مصر تقع على الشاطئ الشرقي للنيل. توجد بها آثار إغريقية قديمة (الحموي، معجم البلدان، ج4، ص262؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص203؛ ابن مماتي، قوانين، ص451،367.)

(3) أبو صالح الأرمني، تاريخ، ص26؛ المهزومي، المنهاج، ص3.

(4) فهمي، طرق التجارة، ص242–243.

(5) عبد الرحيم، الريف المصري، ص214–216.

(6) أبو صالح الأرمني، تاريخ، ص52. סטילמן ، יהודי ארצות ערב ירושלים 1997עמ' 40-53.

صناعة الزجاج: انتشرت في مصر الفاطمية صناعة الزجاج الشفاف المذهب الملون[1]، فمنه صُنعت القناديل تُضاء بها المساجد، أو وضعت على شبابيك" المنظرة"، أو "الجواسق"، أي القصور، ومن مدن صناعته: الفيوم، والفسطاط والإسكندرية[2].

الصناعات الخشبية: انتشرت صناعة الأخشاب في مصر نتيجة لانتشار زراعة الأشجار الحرجية[3] مثل: السدر، السرو، السنط، النبق، اللبخ والجميز، والتي زرعت في كل من: أسيوط، قوص، أخميم، الأشمونين، السنط، والبهنسا، كما استوردت مصر الفاطمية أخشاب، الأبنوس، والأرز، والساج من بلاد الشام وآسيا الصغرى[4]. وقد كانت مصر الفاطمية بحاجة ماسة للأخشاب وذلك لاستخدامها في بناء المراكب، ومنه خشب السنط الذي كان يزرع في بهنسا ولا يحق لأحد التصرف بالأخشاب سوى مستخدمي الديوان[5]، وارتبط بالأخشاب حرفة التجارة حيث قام النجارون بإصلاح السواقي، وصناعة الصناديق المزخرفة في تنيس ودمياط[6].

صناعة الورق والتجليد: تطورت صناعة الورق في مصر عبر العصور وذلك بسبب زراعة نبات الحلفا، وورقه معروف بورق البردي وعُرفت الأوراق المصنعة بالقراطيس أو الطوامير[7]،

---

(1) أبو صالح الأرمني، تاريخ، ص131.

(2) جمال الدين، تاريخ مصر، ج3، ص629؛ سرور، الدولة الفاطمية، ص156.

(3) ماهر، البحرية، ص101-169.

(4) ماهر، البحرية، ص101-169.

(5) المخزومي، المنهاج، ص6. جمال الدين، تاريخ مصر، ج3، ص625.

(6) ابن مماتي، قوانين، ص348-347؛ ماهر، البحرية، ص169. سرور، الدولة الفاطمية، ص153. יעקוב לב ،יהודים במצרים ،אוניברסיטת חיפה 1980 עמ' 142.

(7) السيوطي، حسن الحاضرة، ج2، ص290.

والتي استخدمت لعلم المساحة، الفلك، الحساب القبطي والطب. وارتبط بصناعة الورق، حرفة تجليد الكتب، وقد كانت دكاكين المجلدين في سوق الورّاقين القريب من سوق النحاسين القديم[1].

ب. صناعات من الثروة الحيوانية

صناعة تفريخ الدجاج: انتشرت حرفة تفريخ الدجاج في القرى القبطية في العصر الفاطمي، وهي حرفة صناعةٍ، ومعيشةٍ للأقباط منذ آلاف السنين[2]. ويتكوّن بناء معمل "الفروج" من عشر إلى عشرين بيتاً(غرفة) ويتراوح عدد البيض في الغرفة الواحدة ما بين (300–2000) بيضة. ويحتاج البيض إلى أثنين وعشرين يوماً حتى يفقس[3]. ومعامل الفروج تشبه في حرارتها نار الطبيعة في حضانة الدجاجة للبيض[4]، وتمر البيضة بالمراحل التالية: الترقيد، الذواق، السماع الأول، التلويح، الحضانة، التطريح ويه وتكون الفراريج قد خرجت من البيض[5]. تنتج إدارة معمل الفروج نسبة من البيض والباقي يأخذه الفلاّح[6].

الصناعات الجلدية: وتتمثل هذه الصناعات في صناعة الأحذية الخفيفة والثقيلة، ودباغة الجلود وصناعة الأحزمة، وسروج الخيل أما الأحذية الخفيفة كالبوابيج (نعل بلا دائر، رقيق، مكشوف، بداخله قطعة جوخ[7]) فصنعت من الجلود المدبوغة، قامت بتصنيعها طائفة البوابيجية.

أما بالنسبة لصناعة الأحذية الثقيلة فقد استخدمت طائفة الأساكفة القوالب الخشبية، في صناعة: الحدوة للفلاحين (جلدة على قدر القدم لها خيوط الجلد يلبسها الحراثون أثناء حراثة

---

(1) المسبحي، أخبار مصر، ص98.

(2) زكريا محمد، معمل الفروج"، ص1. عن الانترنت .www,faisal.ps/print-php?ar tld=1203

(3) زكريا محمد، معمل الفروج، ص1-2.

(4) السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص295.

(5) ابن مماتي، قوانين، ص245-246؛ زكريا محمد،" معمل الفروج"، ص1-2.

(6) عبد الرحيم، الريف المصري، ص215.

(7) القاسمي، الصناعات الشامية، ج2، ص57-58؛ الشربيني، هز القحوف، ص16.

الأرض[1])، كما صنعوا وأصلحوا النعال المصنوعة من جلد البقر المستورد من الحبشة[2]. أما صناعة الأحزمة (السيور) وهي: جلود خفيفة ينقعها الدباغون بماء الشيد ثم تُفصل ويجعل لها بطانة ثم تخيط معاً، ثم يبيعها الأساكفة لطائفة ألسيورية[3]، وبالنسبة لسروج الخيل المذهبة فقام بتصنيعها طائفة السروجية[4].

ج. الصناعات المعدنية

الصناعات الحديدية: اعتمدت الصناعات الحديدية في مصر على خام الحديد الموجودة في جبل المقطم وأسوان[5]، وقام المعلمون والصنّاع والأُجراء بصناعة حذوات الخيل، وأخفافٍ لها فقد ضُبِطَ في تركة الأفضل بن بدر الجمالي 515هـ/1122م[6]، ثلاثون راحلة صُنعت لها أخفاف من ذهب عراقي[7]. كما صنّع الحدادون ألجمة للحيوانات، فقد قام ثلاثمائة حداد قبطي بتصنيع ألجمة الخيل في ديرٍ بناحية دلاص[8]، كما قاموا بصناعة الأبواب المصفحة[9]، والمهاميز المذهبة للخيول وذلك في سوق " اللجميين"[10].

---

(1) الشربيني، هز القحوف، ص68.

(2) سلطان، المجتمع المصري، ص78؛ القاسمي، الصناعات الشامية، ج1، ص28؛ ساويروس، تاريخ الكنيسة،م2،ج2، ص95.

(3) الشربيني، هز القحوف، ص16؛ القاسمي، الصناعات الشامية، ج2، ص242.

(4) المقريزي، الخطط، ج2، ص96؛ أيوب، التاريخ الاجتماعي، ص80.

(5) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص209.

(6) السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص291.

(7) اليافعي، مرآة الجنان، ج3، ص161.

(8) هي إحدى القرى التابعة لمركز ناصر في محافظة بني سويف بمصر. (حموي ، معجم البلدان، ج3، ص120.) أبو صالح الأرمني، تاريخ، ص116-128.

(9) أبو صالح الأرمني، تاريخ، ص91.

(10) المقريزي، الخطط، ج2، ص96؛ أيوب، التاريخ الاجتماعي، ص80.

صناعة المعادن والعاج: برع الفاطميون في صناعة المعادن والعاج والفسيفساء المزخرفة التي نالت أهمية كبرى في الصناعة المصرية ومن بين الصناع الذين برعوا في ذلك صناع من السنّة وأهل الذمة. لقد اشتهرت مدينة الفسطاط المصرية بصناعة الحديد الذي تم استيراده من شمال أفريقيا وصقليا[1].

استمر تطور صناعة المعادن والعاج في أواخر الدولة الفاطمية في عهد الخليفتين الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله، وذلك لأن الوزراء الأفضل بن بدر الجمالي ومأمون البطائحي اهتموا بهذه الصناعة لأنها تدر أموالاً طائلة على خزينة الدولة ولأنها تخدم أهل الذمة المحسوبين على هؤلاء الوزراء. ويذكر المقريزي أن هذه الصناعة استمرت حتى بداية العصر الأيوبي، كما صنعت السروج والمصاحف الذهبية والأحجار الكريمة والسكاكين والسيوف والحلي والذهب، وقد اشتهرت مدينة تنيس بصناعة المقصبات والسكاكين والحلي والذهب والسيوف[2].

2. النقابات الحرفية

النقابات هي مجموعات من الأفراد ينشأ بينها اتحاد على أساس تطوعي أو اجباري لكي تضم من يعملون في مهنة واحدة أو تخصص واحد، وهدف النقابات تحقيق مصالح أعضائها المتنوعة، وتدور حول العديد من الموضوعات منها:

1. رفع مستوى المهنة التي ينتمي اليها الأعضاء.
2. الدفاع عن أعضاء النقابة وضمان نظام لرواتبهم وتوفير نظام تأمين صحي لهم ولأسرهم ولضمان كرامتهم عند الشيخوخة أو المرض.

---

(1) حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية، ص593.

(2) المقريزي: الخطط، ج1، ص243-242.

3. هذه النقابات تعمل على ثلاثة محاور وهي مهنية وخدمية وقومية[1].

نظام عمل النقابات الحرفية

هذه النقابات كان أعضاؤها ينتخبون رئيساً أو نقيباً لهم للفصل بأمور المنازعات والقضايا المتعلقة بالحرفة وقد اهتم الخلفاء والوزراء بشأنهم ومنصبهم وهذا يدل على مكانتهم ورفعة شأنهم، حتى أنه كثيراً ما كان يعهد إليهم رعاية الحج وديوان المقام، لقد قام النقيب والنقابة بتأسيس دساتير لتنظيم عملها ونشاطها خاصة في العصر الفاطمي، حيث لعبت النقابات دوراً هاماً في النشاط التجاري، وتم الاعتراف بها من قبل الدولة حيث تفرغت إلى مجالات أخرى غير مهنية، وخاصة عندما أنشئت نقابة طلاب وأساتذة جامع الأزهر [2].

لقد أشار المقريزي إلى نقابة المعلمين أيام الدولة الفاطمية، ويصنف المراتب التنظيمية بدقة عندما اتخذوا من التربية الأخلاقية أساساً لرفع مكانة المجتمع الفاطمي، تمتع النقيب بأسماء أخرى كشيخ المهنة أو شيخ الكبار(وجيه) وكان له حقوق لا يمكن تجاهلها، وكان يتمتع باحترام ومركز مرموق لدى جميع أصحاب المهنة[3].

كانت للنقابات الحرفية آلية تنظيمية لترتيب شؤونها مثل الجمعية التأسيسية التي تعلن تأسيس النقابة والجمعية العامة وهي صاحبة السلطة العليا في تحديد أمور وبرامج وأنظمة وأهداف النقابة، ومجلس إدارة النقابة التي يتم انتخاب أعضائه من الجمعية العمومية بالترشيح ومكتب النقابة الذي ينتخب الرئيس وأمين السر وكافة المسؤولين في النقابة[4].

---

(1) أماني قنديل، النقابات المهنية، المكتب العربي للمصارف، 1995، ص 6-3.

(2) أوراق الجنيزا، وثيقى رقم 14، ENANS2IF.6.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج 2، ص 100.

(4)المصدر نفسه، ص 103.

نشأت النقابات الحرفية في العصر الفاطمي على شكل طوائف وأصحاب الحرفة الواحدة، وازدهرت في المجتمع الإسلامي خلال فترتي الخلافة العباسية والفاطمية، ويرى الأستاذ جمال البنا في مجلده عن الحركة النقابية المصرية أن أوروبا اقتبست النقابات المهنية ونظم الطوائف من العالم الإسلامي[1].

من أهم النقابات الحرفية أيام الخليفتين: نقابة الحدادين، النحاسين، الحمالين، الصائغين، الزجاجيين، النساجين، النوالين، الصوافين والخبازين. اهتمت هذه النقابات بمساعدة أعضائها والحفاظ على المهنة وأسرارها وتطويرها وتنظيم انتاجها ودقة صناعتها وتقدير أسعارها والأجور وأيام العمل. بالإضافة لذلك عملت هذه النقابات على إحياء المناسبات والأعياد وتقديم المساعدة لأعضائها ورعاية الأيتام والمرضى والمصابين والأرامل. واهتمت بنشر العدالة الاجتماعية والألفة والمساواة وذلك تحقيقاً للعدل الاجتماعي لتوزيع الثروة[2].

إن النقابات الحرفية وصلت إلى مكانة مرموقة مكّنتها من مراقبة الأسواق والورش والمعامل والإشراف على الصناعات والمنتوجات. لقد حاربت النقابات المهنية عملية الغش والتلاعب بالأسعار، وتمتعت بسلطات إدارية مالية، اقتصادية وقضائية واسعة اعترفت بها الدولة الإسلامية الفاطمية [3].

---

(1) جمال البنا، النقابات المهنية المصرية، حركة البقاء، القاهرة، 1976، ص 109.

(2) البنا، النقابات المهنية، ص 180.

(3)المصدر نفسه، ص 109.

ثالثاً: التجارة

نشطت التجارة في عهد الخليفتين حيث تم الاهتمام بالطرق التجارية وإصلاحها وحمايتها، كم تم الاهتمام بأمن التجار وحمايتهم من اللصوص. لعب النيل دوراً كبيرا في نقل التجارة صيفا وشتاء[1].

ازدادت الحركة التجارية في القاهرة والفسطاط، حيث يقيم أصحاب رؤوس الأموال والإقطاعيين، لذلك كثرت المتاجر والأسواق التي تتوفر فيها جميع أنواع البضائع والتحف. من أهم مراكز التجارة الداخلية: مدينة دمياط، لموقعها الاستراتيجي، ومدينة قوص لنفس السبب. كما يشار إلى مدينة أسوان التجارية بسبب قربها لتجارة السودان[2].

1. المراكز التجارية

لعبت مصر الفاطمية دورا هاما في ألتجاره المتجهة إلى أوروبا وبيزنطة، وكان المستفيد الأول من ذلك مدينه الفسطاط عاصمة مصر ألتجاريه في زمن الفاطميين ،ومنا أهم المراكز ألتجاريه:

الفسطاط والإسكندرية وقوص: لقد ساهمت الاضطرابات السياسية في العراق والخليج العربي إلى بروز مكانة مصر الفاطمية خاصة، وأصبحت مدن الفسطاط والإسكندرية مراكز للتصدير والاستيراد بسبب الموقع الجغرافي .

لقد ساد الرخاء والثراء هذه المدن وعمرت الأسواق في جميع الجهات بالسلع الفاخرة ومتعددة الأجناس كالمنسوجات والجلود والمعادن والتوابل والعطور . أما مدينه قوص فتمتعت في

---

(1) حسين محمد ربيع، دليل وثائق الجنيزا الجديدة، جامعة حيفا، 1993، ص 65 (وثيقة رقم 190).

(2) نفس المصدر، ص 59.

النصف الثاني من القرن الخامس هجري/الحادي عشر ميلادي بمكانه أساسيه في نقل حركه التجارة الشرقية نتيجة لإصلاحات أداريه ادخلها الوزير بدر الجمالي، مما ازداد رخاء سكانها وحظيت بموارد ماليه نتيجة جمع المكوس والضرائب على البضائع الواردة أليها[1].

الأسواق

يتكون السوق من مجموعة من المحال التجارية المتجاورة وتتاجر كل فئة من التجار بسلع متشابهة ومن أهم الأسواق: السوق الكبير الذي يتوصل إليه من درب باب الحديد[2]، وسوق الطيور، ويقع بالقرب من باب زويلة[3]، وسوق الغزل، وسوق الغرائين[4]، وسوق الرواسين (الاغنام) [5]، وسوق المغاربة[6]، وسويقة أمير الجيوش في القاهرة وبها حوانيت: الحيّاكين والفرائين والخياطين البزازين والخلعيين، ويباع فيه سائر الثياب والأمتعة من الفرش[7]، وسوق العطارين في الإسكندرية ويبا ع فيه البهارات والفلفل [8].

يشرف على إدارة الأسواق: المحتسب ومجموعة من المعاونين له من: نواب وعرفاء. يجلس المحتسب على دكة الحسبة الواقعة بجوار سوق القصارين والفحامين يوماً بعد يوم[9]، ويقوم معاونوه بالتفتيش على أصحاب المهن ليتأكدوا من صحة "موازينهم وسنجهم ومكاييلهم ومَن

(1) ايمن سيد، الدولة الفاطميه،ص300، Coitein, S.D. op, cit, p. 193.

(2) ساويروس، تاريخ البطاركة، م2، ج2، ص95.

(3) الأصفهاني، البستان الجامع، ص322.

(4) ابن دقماق، الانتصار، ص83.

(5) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص9.

(6) ابن دقماق، الانتصار، ص34، 81.

(7) المقريزي، الخطط، ج2، ص101.

(8) فهمي، طرق التجارة، ص281.

(9) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص116.

وجدوا سنجه زائدة أو ناقصة استهلكوها وباعوا عليه غيرها"[1] ومَن يضبط بعد المهلة يُعاقب، كما يقومون بالتفتيش على قدور الهراسين[2].

أمّا عرفاء الأسواق، فلكل واحد منهم دكان في سوق حرفته فهم الأكثر معرفة وخبرة بأصحاب الحرفة وأسرار المهنة[3]، فيمنعون الغش والخداع ومنهم: عريف الخبازين وعريف السقائين[4]، كما لعب العرفاء دوراً أمنياً في الأسواق، إذ شاركوا في التحقيق والكشف على جثث القتلى، وبناء عليه فقد كان، العريف هو حلقة الوصل بين الحرفيين والدولة [5].

كانت الأسواق محلية وأخرى موسمية. فالمحلية منها أسواق دائمة تُعقد في أيام محددة في الأسبوع[6]، أهمها: أسواق الجيزة والتي تعقد في يوم الأحد[7]، وأسواق قليوب، وهناك أسواق ارتبطت بالمحاصيل الزراعية كالقمح الذي يُباع إلى تجار مصر من منفلوط[8]، والأغنام التي تُباع على اللحّامين القادمين إليها من القاهرة ومنها قرى: البهنساوية، وأنشاص، وسنبو، وأبا. والموسمية من الأسواق تُعقد في الأعياد أو وقت وصول السفن للموانئ في الإسكندرية أو عيذاب، وأهم بضائعها الفلفل، وهناك أسواق تعقد بمناسبة عيدي: الفطر والأضحى ومثال على ذلك سوق مدينة قوص والذي يُعقد قبيل موسم الحج، تميزت الأسواق بأنها متسعة المرافق، كثيرة الخلق[9]، لكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار: اليمنيين، الهنود، المصريين، الإسكندرانيين،

---

(1) ابن مماتي، قوانين، ص333-334.

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص116.

(3) المقريزي، إغاثة الأمة، ص19.

(4) المصدر نفسه، ص18-19.

(5) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص24-25.

(6) ابن جبير، رحلة، ص30؛ فهمي، طرق التجارة، ص281-282.

(7) عبد المنعم سلطان، الأسواق، ص49.

(8) المصدر نفسه، ص32.

(9) عبد الرحيم، الريف المصري، ص221-222.

المغاربة، وتجار أرض الحبشة[1]. كما تُقام أسواق عند أضرحة الأولياء والقديسين[2]، ويكون للبضائع المعروضة نوع من القدسية. فالأقباط المسيحيون، تُعقد أسواقهم عند الأديرة ومنها: عيد دير شعران في خامس يوم جمعة من الصوم وعيد بئر دير أيسوس والذي يُعقد بوفاء ماء النيل المقدس في 25/ أيلول من كل عام[3].

أشارت المصادر كذلك إلى: القياسر ومنها قيسارية ابن ميسر الكبرى والتي يُباع بها: القماش من الكتان الأبيض والأزرق والطرح، ويأتي إليها التجار يومي: الأحد والأربعاء لشراء البضائع ولها خمسة أبواب واستمرت عامرة إلى عصر المقريزي[4].

أما بالنسبة للوكالات التجارية[5]، فقد أمر الخليفة الآمر بأحكام الله ببناء دار وكالة في القاهرة وخصصت للتجار الشوام والعراقيين وذلك في سنة 516هـ/1122م[6]. ويشير هذا إلى أنَّ القاهرة بدأت تشارك مدينة الفسطاط في النشاط التجاري منذ مطلع القرن 6هـ/12م[7].

---

(1) ابن جبير، رحلة، ص37، 39.

(2) عبد الرحيم، الريف المصري، ص249.

(3) قاسم، أهل الذمة، ص283-284.

(4) المقريزي، الخطط، ج2، ص91.

(5) المقريزي، اتعاظ، ج1، ص300؛ ابن دقماق، الانتصار، ص81.

(6) المقريزي، المصدر نفسه، ج2، ص203.

(7) سيد، الدولة الفاطمية، ص163؛ سرور، الدولة الفاطمية، 153.

2. نظام المعاملات المالية

النقود

وجد في مصر في عهد الخليفتين نوعين من دور ضرب النقود[1] هما: الذهبية والفضية، وتدار كل واحدة منها بمجموعة من الصنّاع المهرة وهم: ضارب الذهب، ومتولي العيار، والسبّاك والمشارف، ونقّاش السكة، والصانع، والوقّاد[2] وتقاضى كل واحدٍ منهم أجراً، فضارب الذهب، بلغت أجرته (3.5) دينار في عهد الحافظ، ووقّاد فرن دار الضرب، بلغت أجرته الشهرية(1/2) دينار[3].

وبالنسبة للذهب الذي تزوّد به دور الضرب فمصادره متعددة: أولها مناجم الذهب المصرية الموجودة في جبل المقطم[4] وفي الصحراء وما بين أسوان وعيذاب، وأشهر مدن إنتاجه العلاقي[5]، وثانيهما" السبائك" والدنانير، والحشر والمصاغ[6]" الموجود في المجتمع" والأخير ما وُجدَ عن طريق التبادل التجاري، فوجدت في السوق المصرية الدنانير الطرابلسية، والمهدية، والصقلية، والعدنية، والرومية[7]. وفيما يتعلق بكيفية ضرب النقود، فتصهر في الفرن حتى تصير مائعة[8] كماءُ، فتؤخذ قضباناً ثُمَّ تُسبك وتجمع في صنوج فخارية أو زجاجية فإذا تساوت أوزانها، تتم إجازتها، وإذا صحَّ العيار تختم بخاتم السكة (الدولة) [9]. وبالنسبة لدار ضرب الفضة، ففيها

---

(1) المسبحي، أخبار مصر، ص90.

(2) المخزومي، المنهاج، ص31.

(3) المصدر نفسه، ص31.

(4) السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص291.

(5) فهمي، طرق التجارة، ص253.

(6) المخزومي، المنهاج، ص30.

(7) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص203.

(8) زناتي، معجم مصطلحات التاريخ، ص409.

(9) المخزومي، المنهاج، ص30؛ هنتش، المكاييل، ص9.

تُخلط الفضة، مع النحاس بنسبة (300) درهم فضة إلى (700) درهم نحاس[1] ويتم سبكها، وبالتالي فإنّ نسبة الفضة بلغت 43% من وزن " الفضة النقرة"[2].

في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله تمّ بناء دارين جديدتين للضرب وذلك في سنة 516هـ/1122م الأولى منهما: في القاهرة، قرب الجامع الأزهر " الخرّاطين" قُبالة بيمارستان القشاشين[3]، والثانية في قوص حيث أشْرفَ على بنائها الأمير مؤيد الملك، وبعث معه الخليفة الآمر بأحكام الله (20.000) دينار، و(20.000) درهم، فضُربت دنانير ودراهم في قوص باسم الخليفة الآمر بأحكام الله[4]، كما خُصصت لضرب الدنانير العدنية القادمة من الحجاز واليمن[5].

وأخيراً فإنّ دور الضرب في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله هي: القاهرة، والإسكندرية، وقوص، ومصر، وعسقلان، وصور[6]. وعرفت مصر الدنانير الذهبية[7] طوال تاريخها، وعُرفَ منها: الغُرّة: وهي دنانير رباعية، بأمر الخليفة الفاطمي بضربها في العشر الأواخر من ذي الحجة بتأريخ السنة، وتوزع على أرباب السيوف والأقلام على حُكمِ البركةِ من الخليفة في غرة شهر محرّم[8]. كما عرفت مصر الدراهم الفضية[9] ومنها الخراريب (مفردها خروبة)[10]، وقد ضُربت في سنة 516هـ/ 1122م في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله بمناسبة عيد خميس العدس عند

---

(1) المخزومي، المصدر نفسه، ص31.

(2) المخزومي، المصدر والصفحة نفسيهما.

(3) أحمد عيسى، البيمارستانات، ص75.

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص203.

(5) المصدر نفسه، والجزء والصفحة نفسيهما.

(6) المصدر نفسه.

(7) المناوي، النقود والمكاييل، ص89-92.

(8) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص167؛سرور، الدولة الفاطمية، ص171.

(9) ابن نجيم/ الرسائل الزينية، ص138.

(10) نجم، معجم المصطلحات التاريخية، ص219.

الأقباط حيث ضُرِبَ (1000) دينار ذهبي وكانت نسبة الذهب إلى الفضة 5%، مع الإشارة إلى أنّ نسبتها قبل ذلك العهد 1/2 2% فقط[1]، كذلك عُرفت مصر: النقرة[2]، والمدورة المقشقلة[3]، والسوداء (المسوّدة) [4] وهذه ضُربت في بداية عهد الخليفة الآمر بأحكام الله سنة 497هـ/1104م، وسُميت بذلك لارتفاع نسبة النحاس فيها[5] وقد استمر استعمالها إلى نهاية العهد الفاطمي، أمّا مدينة الإسكندرية فسادت بها العملة الورقية[6].

ومما يذكر في هذا المجال أنّ الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل "كتيفات"، وزير الخليفة الحافظ لدين الله، قام بضرب الدرهم سنة 525هـ/1130م ونقش عليها" الله الصمد، الإمام محمّد"[7].

وأخيراً فإنّ السلع اليومية للسكان والتي يقلُّ سعرها عن الدرهم فقد خصصت لها الخلافة الفاطمية الفلوس النحاسية. [8]

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص196؛ ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص94.

(2) المخزومي، المنهاج، ص31.

(3) المقريزي، إغاثة الأمة، ص65-66.

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص167.

(5) السيوطي، حُسن المحاضرة، ج2، ص253.

(6) المقريزي، إغاثة الأمة، ص65.

(7) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص232؛ ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص94.

(8) المقريزي، إغاثة الأمة، ص66.

3. الأزمات الاقتصادية

بلغت ألازمه الاقتصادية ذروتها سنة 360هـ/970م، لعدة أسباب أهمها: تفشي الإمراض مثل مرض الطاعون، وهجرة المواطنين وهروبهم من الداء وقلة الأيدي العاملة وتلويث مياه النيل وانتشار الفوضى والاضطراب الأمني وتأخر وسائل العلاج.[1]

أما في عهد الأمر بإحكام الله فعاشت الدولة مجاعتين : الأولى زمن وزارة الأفضل بن بدر الجمالي، إذ ارتفعت أسعار القمح نتيجة لنقص مياه النيل والقحط، ومما زاد الطين بله هبوب ريح سوداء دامت ثلاثة أيام أدت إلى هلاك الناس والحيوانات.[2]

لقد تم تفادي هذه ألازمه باستخراج القمح من المخازن وتحديد الأسعار بأمر من الوزير مأمون البطائحي مما أدى إلى انخفاض الأسعار بعد ستة أشهر .[3]

أما المجاعة الثانية فحدثت أواخر خلافة الأمر بإحكام الله ،حيث لا يوجد تاريخ محدد لها وأدت إلى زيادة الأسعار بسبب انخفاض مستوى مياه النيل.[4]

اما في عهد الحافظ لدين الله فحدثت مجاعة سنة 534هـ/1138م،وسببها تأخر زيادة النيل وعدم استغلال الأراضي الزراعية، فأمر الخليفة الحافظ لدين الله وزيره الأفضل بن ولخشي بفتح المخازن الزراعية وإتاحة الفرصة للناس للشراء بسعر رخيص ، لكن الوزير لم يمتثل لتعليمات الخليفة، مما أثار سخط الخليفة وهذا الأمر أدى لقتله فيما بعد .[5]

---

(1) المقريزي، الخطط، ج2، ص339:البراوي،حالة مصر الاقتصاديه،ص80.

(2) المقريزي، اغاثة الامه،ص26:الصاوي،مجاعات،ص68.

(3) ابن اياس، بدائع الزهور ،ج1،ص63:الصاوي،مجاعت ،ص69

(4) المقريزي، الخطط،ج1،ص291:الصاوي ،مجاعات ،ص70.

(5) المقريزي، اتعاظ،ج3،ص166:الصاوي،مجاعات،ص70 .

وقع غلاء عظيم في عهد الآمر بأحكام الله حتى وصل سعر كل أردب قمح إلى ثلاثين دينارًا، إلا أن سياسة الوزير البطائحي المتزنة اقتصاديًا أدت إلى تراجع في أسعار القمح الذي يعتبر عنصرا أساسيا في غذاء المواطن المصري (1). أما في زمن خلافة الحافظ لدين الله الذي اتصف بالتسامح والحلم واللين فقد امتنع الفلاحون عن وزن الخراج مما أثر سلبًا على واردات الدولة الفاطمية في عهده، ومما زاد الطين بلة سيطرة الفرنج على البلاد مما أدى إلى فوضى وكثرة الرشاوى والفساد (2).

إن آخر مجاعة زمن خلافة الحافظ استمرت 3 سنوات بين (536هـ-583هـ/1141-1143م) وتجلت بارتفاع الأسعار وانتشار الأمراض وقلة المياه وضعف المنتوج الزراعي[3]، نتيجة لما ذكر سابقاً قامت الدولة بمعالجة مشكلة الأراضي في الصعيد الأعلى، إذ قام الفلاحون باغتصاب أراضي الدولة أو وضع اليد على أراضٍ مجاورة لأراضيهم، "فطالبتهم الدولة بخراج الأرض التي اغتصبوها فعجزوا عن ذلك، رغبة من الدولة في "عمارة البلاد"... واستنباط الأراضي وإنشاء الغروس وإقامة السواقي"(4). جاء أمر الوزير المأمون البطائحي كالآتي:

"إقرار جميع الأملاك والأراضي والسواقي بأيدي أربابها... وأن يقرّر عليها الخراج وأنّ مَن عاد من الفلاحين واعتدى على أرض الدولة تضاعفت عليه الغرامة والعقوبة"(5). وقد منحت الدولة مهلة أربع سنوات للفلاحين سنتين لغاية رخائها وسنتين لغاية جدبها وبعدها تبدأ باستيفاء

---

(1) مؤلف مجهول (من يقول إنه ابن زولاق)، تاريخ مصر وفضائلها، القاهرة، 1422هـ/2002م، ص101-100.

(2) بدائع الزهور، ج2، ق1، ص224.

(3) اللقريزي، اتعاظ، ج3، ص 176؛ أحمد صاوي، مجاعات، ص 71.

(4) ماجد، نظم الفاطميين، ص114.

(5) المقريزي، الخطط، ج1، ص153-152. שמעון שותספוקס،היוהדים במצרים הוצאת משרד החינוך ירושלים 1998،עמ' 92.

ضريبة الخراج، وهذه هي مدة ضمان الأرض من الدولة للفلاح أما في سنة 516هـ/1122م فقد نفّذ الوزير المأمون البطائحي أمراً من الخليفة الآمر بأحكام الله يمنع فيه: زيادة الضمان على الضامن الأول ما دام الأول موفياً بعقده مع الدولة[1]"، وكانت الدولة تضمّن "الأبواب، والرباع السلطانية، والبساتين، والحمامات، والقياسر، والمساكن، والكفارات". وهذه أراضٍ زراعية ومؤسسات اقتصادية تُدر دخل للدولة[2].

وصدر أمر في شعبان سنة 517هـ/1123م من الوزير المأمون البطائحي يتضمن: "مسامحة كافة سكان الرباع السلطانية[3] بالقاهرة ومصر من: الأدر، والحمامات، والحوانيت، والمعاصر، والأخونة، والطواحين، والعرس" من أجرة شهر رمضان من كل سنة، وهذا يشجعهم على مضاعفة جهودهم في العمل. أو ليكونوا أقدر على مواجهة الأزمات الاقتصادية [4].

وكجزء من الإجراءات المالية من أجل زيادة المال المتوافر في خزينة الدولة، أصدر الوزير الأفضل بن بدر الجمالي الأمر التالي:" إفراد مال المواريث ومنع أخذ شيء من التركات وحفظها لأصحابها، وقد أدى هذا الإجراء إلى وجود (130.000) دينار ذهب كوديعة (أمانة) في خزينة الدولة[5].

وقد تابع الوزير المأمون البطائحي الإجراءات المالية المتعلقة بالمواريث فأصدر في ذي القعدة 516هـ/1122م أمراً بإعادة تنظيم المواريث الحشرية كالآتي: " فأمّا مَنْ يموت حشرياً

---

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص86.

(2) المقريزي، الخطط، ج1، ص151-150؛ الكفارات، أو الكفور جمع كفر وهي المناطق الزراعية.

(3) **الرباع السلطانية**: هي المساكن المشتركة التي تؤجر لأكثر من مستأجر، ووجدت في الفسطاط، وبلغ عددها 8000 بيت، وتحصل أجرتها حسب التقويم القمري، ويشرف عليها موظف "متولي حماية الرباع السلطانية" انظر: ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص93؛ ابن مماتي، قوانين، ص341؛ المخزومي، المنهاج، ص34.

(4) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص210-208.

(5) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص188.

ولا وارث فتؤول جميع تركته لبيت المال على القوانين المعلومة"[1]. أي حَسب المذهب الاسماعيلي للدولة الفاطمية. ورثة الأموات، فقد حذّرت الدولة موظفيها من: قضاة ونوّاب ومستخدمين من التلاعب... وذلك حفاظاً على مصالح العامة[2].

كما حذّرت "شهود الحكم بالباب" أي (الموظفين الذين يقومون ببيع أموال المواريث مِن أخذ ربع العشر من ثمن المبيع)[3]، لأن ذلك يعود بالضرر على أيتام المسلمين. كما ناقش فقهاء الخلافة الفاطمية في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، ما يُعرف في مصر بالمذهب الدارج أي "توريث الابنة النصف"[4].

واستمرت الأزمة الاقتصادية الخانقة والتي زاد من سوئها كثرة إنفاق الخليفة الآمر على مماليكه: مثل: هزار الملوك فقد دفع لمماليكه: (200.000) مائتي ألف دينار، بالإضافة إلى: مصاغ وكسوات، واقطع كل واحد منها مضافاً إلى ما معه (100.000) مائة ألف دينار، مضافاً لهما: الجواري ورواتب مطابخهما والرسوم المستقرة بأسمائها[5]. يضاف إلى ذلك كثرة مصروفات مطبخ الخليفة الآمر بأحكام الله الشهرية والبالغة (5000) خمسة آلاف رأس غنم ثمن كل واحد منها ثلاثة دنانير[6]. ونتيجة لهذا الوضع المالي المتردي لم يكن أمام الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله إلاّ أن يُضاعف الضرائب على السكان من أهل مصر[7]، وتصف المصادر ذلك بالآتي: " كثرت وقائع أهل القسر على الناس وأُخذت رسوم لم تكن فيما تقدم. وكثرت مصادرات

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج2، ص204-200.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص204-200.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج2، ص202.

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص204-200.

(5) ابن ظافر، الدول المنقطعة، ص90-89.

(6) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص210-208.

(7) المصدر نفسه.

القاطنين بمصر والقاهرة وذلك في سنة 522هـ/1128م، حتى أنها بلغت (100.000) دينار من جماعة من النصارى [1]. هذه السياسة الضرائبية الجائرة، وصفها المؤرخ ابن ظافر (أخبار الدول المنقطعة) بقوله: "فلم يبقَ أحد ألاّ وناله بمكروه من: ضربٍ، ونهبٍ وأخذِ مال"[2] وأدت إلى أن " يعم البلاء جميع بلاد مصر، ويهرب التجار منها[3]" وفي النهاية اعتبر الخليفة الآمر بأحكام الله: سيئ الرأي، وبالغ في ظلم الرعية، وأخذ أموالهم واغتصاب أملاكهم مما أدى في نهاية الأمر إلى أن" ابتهج الخاص والعام بالراحة منه حينما قُتل" [4].

الإصلاحات الاقتصادية

اعتمدت الدواوين في الخلافة الفاطمية نظاماً مالياً يقوم على أساس التنسيق بين السنة القمرية (الهلالية) والسنة الشمسية (الخراجية). فالسنة القمرية يبلغ عدد أيامها (354) يوماً وتُدفع على أساسها "واجبات العسكر وأرزاق المرتزقة"[5] أي الرواتب، أما المداخيل المالية لدولة الخلافة فتجبى استناداً إلى السنة الشمسية (الخراجية) والتي تبدأ في 3/11 من كل سنة والبالغ عدد أيامها (365) يوماً[6].

---

(1) ابن ظافر، الدول المنقطعة، ص89-88.

(2) ابن ظافر، الدول المنقطعة، ص89-88.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 222.

(4) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص88.

(5) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص 223. מנחם בן ששון-צמיחת הקהילה היוהדית בארצות האיסלאם-ירושלים 1996עמ' 380-383.

(6) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص359-358.

نستنتج مما ذكر سابقًا أنّ هناك فرقاً سنوياً (11) يوماً وعدم توافق زمن الأداء مع زمن الجباية ويعلم هذا الأمر: الخليفة الفاطمي، وكبير المنجمين والوزير ورئيس الديوان[1]. والسؤال هنا كالآتي:

هل رصدت الوزارة الفاطمية مصاريف (11) يوماً في موازنتها كل سنة لتجابه مصاريف هذه الأيام؟ وهذا يقودنا للآتي: أن عدد أيام33 سنة قمرية ميزانية صرف يساوي عدد أيام 32 سنة شمسية ميزانية دخل. أي 32×11=352 يوما وهذا يساوي سنة قمرية حتمية (صرف رواتب) لا وجود لرصيد لها في خزانة الدولة وهذه الحالة " مضرة على بيت المال"[2]، وهذا يعني أن الدخل على السنة القمرية بينما الصرف الشمسية، وهذا يعني أن الدولة تدفع مصروفات 11 يوماً من الخزينة، وهي لم تدخل في الخزينة أساساً.

نستنتج مما تقدم أن هناك حاجة لمواجهة المشكلات الاقتصادية في مصر، لذلك أصدر الوزير الأفضل بن بدر الجمالي في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله أوامره: " أن سنة 499م الخراجية موافقة لسنة 501هـ الهلالية، ويستمر هذا التعديل إلى سنة 534هـ/1139م([3]). أي بعد مرور 33 سنة قمرية تكون دولة الخلافة بحاجة إلى مقاربة جديدة بين التقويمين. وأوضحت الدولة أنّ هدفها "عمارة الأعمال وتوفير الأموال، والاعتناء برجال الدولة وأجنادها"[4].

وصدر أمر في 515هـ/1123م " من قبل الوزير المأمون البطائحي بمسامحة[5] العاجزين عن دفع الخراج ابتداء من سنة 501-510هـ/1107-1116م. وذلك لما أصاب الضمناء من

---

(1) المخزومي، المنهاج، ص8.

(2) الساحلي، سنو الازدلاف، ص145-143.

(3) المرجع نفسة، ص 144

(4) الساحلي، المرجع نفسه، ص154.

(5) المسامحة: يُقصد بها بواقي الخراج عند نقل حساب الدولة من الهلالي إلى الخراجي، ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص90

خسائر بسبب الأزمات الاقتصادية، والهدف هو تشجيع الفلاحين على زراعة الأرض وتحسين الإنتاج، وتعويض خسائرهم، وزيادة الدخل إلى الخزينة[1].

4. الصادرات والواردات

لقد قسم المخزومي واردات الدولة الفاطمية المالية إلى ثلاثة أقسام :

أ) المال الخراجي وهو ضريبة على المنتوج الزراعي عامة ويشمل النخل والكروم والبساتين

ب) المال الهلالي ويشمل الجزية والزكاة والرباع واعتبرت هذه الموارد موارد شرعيه.[2]

ج) ما يستأدى من تجار الروم وفيه حكمان: من ورد في البر وينضم حسابه لمده اولها محرم واخرها ذو الحجه، واما من يرد في البحر فيستحسن لنضم حسابه "ان يكون لحول اوله من الشهور العربي ما وافق افتتاح البحر من شهور القبط".[3] واعتبرت هذه الموارد موارد شرعيه.

تجلى النشاط التجاري في الدولة الفاطمية بمجالين هما:

التجارة الخارجية

نشطت التجارة الخارجية في الدولة الفاطمية في أيام الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله حيث خرجت القوافل التجارية تجاه بلاد الحجاز والشام والمغرب العربي[4]. ثم اتسعت التجارة

---

(1) المقريزي، الخطط، ج2، ص34-31؛ حمادة، الوثائق، ص162-158.

(2) المخزومي، المنهاج، ص34؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص322-321. לסטר אילה ،היבטים טיפולוגיים מן התקופה הפאטמית ، חיפה 2011،עמ' 23.

(3) المقريزي، الخطط، ج1، ص103؛ أيمن سيد الدولة ألفاطميه،ص322.

(4) البراوي، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، ص 199.

الخارجية لتصل إلى بلاد ودول أسيوية وأوروبية، حيث استورد الفاطميون البهارات والفلفل من الهند، كما استوردوا مواد أخرى من الصين لتطوير صناعتهم، أما من الدول الأوروبية فقد استورد الفاطميون مواد الخام المختلفة مثل الحديد والخشب وبضائع وسلع أخرى لازمة للصناعة المصرية، حيث كانت علاقات تجارية بين مصر الفاطمية والدول الأوروبية، فقد تم تصدير الخشب والمنسوجات المصرية للدول الأوروبية، خاصة إيطاليا، من جهة أخرى استوردت الدولة الفاطمية الحديد ومشتقاته عن طريق الموانئ المصرية وأهمها ميناء الإسكندرية الذي شهد حركة تجارية كبيرة في تلك الفترة (1).

لا بد من الإشارة إلى العلاقات التجارية بين مصر وبين الدولة البيزنطية في العصر الفاطمي الثاني. رغم اختلاف المواقف السياسية والتباين في وجهات النظر بين الدولتين، حيث استورد البيزنطيون المنسوجات الصوفية المصرية من مصانع دمياط وتنيس، وصدروا لها بعض السلع والبضائع(2). ومن الجدير ذكره، أن الدولة الفاطمية وفّرت الحماية والأمن والاستقرار للتجار الأوروبيين والروم والبيزنطيين وأقامت لهم وللتجار القادمين من الشرق الإسلامي الفنادق والقياسر وهذا ساهم في تطور التجارة الخارجية وانتعاشها[3].

ذكرت وثائق الجنيزا أن التجارة الخارجية في عهد الخليفتين تطورت بفضل تطور أسطول مصر التجاري وأوردت هذه الوثائق أنواع السلع المستوردة من خارج مصر مثل: البخور، العطور، الفلفل، النبيذ، المستكا، العسل، الزيت، الجبن والألومنيوم(4).

دور الوكالة والضرب

---

(1)البراوي، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، ص 214.

(2) المقريزي، خطط، ج 2، ص 95؛ سرور، الدولة الفاطمية، ص 157.

(3) أوراق الجنيزا قسم المخطوطات والوثائق، جامعة القدس، وثيقة رقم: TS13JT8.8.

(4) أوراق الجنيزا قسم المخطوطات والوثائق، جامعة القدس، وثيقة رقم: TS12.290.22.

لقد تم انشاء دور وكالة وضرب أيام الخليفتين: الأولى أنشأها الوزير مأمون البطائحي في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله سنة 516هـ/1122م، في القاهرة قرب الجامع الازهر، وقد خدمت هذه الدار التجار العراقيين والشاميين في أمور المعاملات الاقتصادية والتجارية [(1)].

كما أنشئت الدار الأمرية، وامتازت بأن دينارها يعتبر أعلى عيارا من جميع ما يضرب في الأقطار الإسلامية. وقد تم بناء الدار الأمرية في مدينة القاهرة، كونها مقرًا للخلافة الفاطمية [(2)].

وأنشئت دور أخرى على يد الوزير مأمون البطائحي في قوص والإسكندرية والفسطاط وعسقلان وصور، واستمرت دور الضرب هذه بالعمل حتى سقوط الخلافة الفاطمية [(3)].

وكذلك أقيمت في مصر في نفس الفترة الوكالات، وهي كالفنادق في عصرنا هذا لكن أقل تطورًا وأبسط عمرانًا، واستخدمت هذه الوكالات كدور سكن ينزل بها التجار القادمون من الدول الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية وإيطاليا والدول الأوروبية الأخرى وقد أقيمت هذه الوكالات في المدن الرئيسية كالقاهرة والإسكندرية سنة 516هـ/1122م [(4)].

التجارة الداخلية

شهدت التجارة الداخلية نشاطاً ملحوظاً في عهد الخليفتين تجلت في كثرة الأسواق وتعددها، إذ اعتبرت مدن: دمياط، قوص وأسوان من أهم مراكز التجارة الداخلية، حيث تم تعيين عرفاء للأسواق وتنظيم ومراقبة الأسعار والمكاييل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر الأمان

---

(1) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص 92؛ ايمن سيد، الدولة الفاطمية، ص 169.

(2) المقريزي، اتعاظ، ج3، ص 54؛ أيمن سيد، الدولة الفاطمية، ص 17.

(3) المقريزي، اتعاظ، ج3، ص 92.

(4) المقريزي، خطط، ج2، ص 93؛ سرور، الدولة الفاطمية، ص 159. לב יעקב ،המדינה הפאטמית،הוצאת הקובוץ המאוחד،תשע"ז עמ 143-150.

والعدل في الدولـة وتشجيع أصـحاب رؤوس الأمـوال، كـل ذلـك أدى إلـى انتعـاش التجـارة الداخليـة، وتحسن الأوضاع الاقتصادية وتطور الأسواق وزيادة ثروات الدولة[1].

إن التجـارة الداخليـة تجلت فـي تعـدد الانتـاج مثـل منتوجـات النسيج والزيـت والبهـارات والكتـب والجواهر والفضة والبخور وتنوع السلع والحاجيات والفواكـه والخضراوات والحبـوب والأجـران وأوانـي الفخـار، إن تعدد الأسواق ميزت التجارة فـي مصر حيث ذكر ابن المـأمون أن عدد الأسـواق فـي العصر الفاطمي الثاني بالمئات [2].

القياسر (القيسرية)

القياسر هي مجموعة من المباني العامة، وبها حوانيت ومخـازن وسكن، وفي بعض القياسر مساجد وأماكن إقامة للتجار والصناع[3].

قيسارية ابن أبي أسامة: شيدت سنة 518هـ/1124م، تقع بجوار الجملون الكبير، علـى يسار طريق ما بين القصرين[4] وقد أوقفها: ألشيخ الأجل علي بن أحمد بن الحسن بن أبي أسامة صـاحب ديـوان الإنـشاء فـي أيـام الخليفـة الآمـر بأحكـام الله، وتـوفي ابـن أبـي أسـامة سـنة 522هـ/1128م[5].

---

(1) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص 30.

(2) ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، القاهرة، 1983، ص29.

(3) المقريزي، خطط، ج2، ص 11؛ سرور، الدولة الفاطمية، ص 159.

(4) المقريزي، الخطط، ج2، ص 86؛ محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية،ص 61.

(5) السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص184.

5. الأوزان والمكاييل

الأوزان: تنوعت وحدات وزن وكيل البضائع في مصر في العهد الفاطمي، فوحدات الوزن كالآتي: الرطل المصري[1] ويساوي (12) أوقية ويساوي كذلك 100/1 من القنطار[2]، أي (437.5)غم وخصص لوزن: النحاس الأصفر، والأحمر والكبريت الأصفر، والزئبق . عرفت مصر الفاطمية الرطل الجروي، ووُزِنَ به كلّ من: الفستق، والجوز، والسكر، والثوم، والمحلب، والسوس، والعسل، والكتان المغزول والصوف المنفوش المندوف ولبان العلك[3]. كما استخدم الفاطميون في مصر وزن القنطار الجروي ويساوي (100) رطل جروي[4]. وفيما يتعلق بزهر البنفسج، والزعفران، وزر الورد واللازورد، فوُزِن بالمنّ[5] الذي يساوي (814) رطل[6].

المكاييل: استخدم المصريون المكاييل في العصر الفاطمي لكيل الحبوب: القمح والشعير والطحين، والبقول. ومن وحدات الكيل المستخدمة(الحِمل): وقد بلغ وزن القمح منه والطحين (300) رطل=(135) كغم[7]، في حين بلغ وزن حمل الفلفل (500) رطل (225) كغم وحمل القطن المندوف بلغ وزنه(1/3 الـ 553) رطل يساوي (249) كغم، وحمل الكتان وخشب الصباغة (600) رطل يساوي 270 كغم[8].

---

(1) المخزومي، المنهاج، ص 29؛ ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص9؛ المناوي، النقود والمكاييل، ص41.

(2) ابن مماتي، قوانين، ص362؛ هنتش، المكاييل، ص19، 30-31

(3) المصدر نفسه، ص361.

(4) هنتش، المكاييل، ص40.

(5) ابن مماتي، قوانين، ص362.

(6) المسبحي، اخبار مصر ص 13-ص 17؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 5، ص 33؛ هنتش، المكاييل، ص 27.

(7) هنتش، المكاييل، ص46.

(8)هنتش المكاييل، ص27 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص33.

كما استخدم فلاحو مصر: التليس للقمح والشعير[1] يساوي ويزن (150) رطلا مصريا، وكذلك أُستخدمت القُفّة[2] للقمح والبَطة للطحين وتساوي (17 1/2)كغم[3].

وبالنسبة للإردب فهو مكيال مصري للقمح والشعير[4] فاستخدم للكيل وبلغ وزنه في العصر الفاطمي (73.125) كغم من القمح، ويقل وزن الأردب في مادتي الشعير والذرة[5].

كما استخدم المصريون الوقية وهي تزن (37.5) غم أي: (10) دراهم+ (1/2+1/3) أقل من 11 درهما في حين استخدمت "الكيلة" لوزن الشعير أو نخالته وتساوي (716.83) غم[6]. أمّا السوائل كماء الشرب فكان يتم نقله بواسطة القرب الجلدية على البغال أو الجمال[7]، لسقاية الناس في المدن والقرى، كما نُقل القُطران بها حيث بلغ وزن الواحدة منها (280) رطل جروي.

أمّا بالنسبة للزيوت والعسل فاستخدم لكيله: زير العسل[8]، الظرف ويزن (5) أرطال، أمّا الوقيّة[9] فتساوي (11.6) كغم قمح، و(150) رطل رومياً[10].

وفيما يتعلق بالتبن النقي والخيش، فكان يُكال ويوزن بالشلف[11]، وبلغ وزن الواحدة (360) رطل مصري، كما وُجِدَ كيلٌ يُسمى الغرارة وهي: العدل من صوف أو شعرٍ ويساوي

---

(1) المسبحي، أخبار مصر، ص73.

(2) ابن مماتي، قوانين، ص365؛ هنتش، المكاييل، ص60.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص197؛ هنتش، المكاييل، ص58-59.

(4) المخزومي، المنهاج، ص29؛ المسبحي، أخبار مصر، ص72؛ هنتش، المكاييل، ص19.

(5) الشربيني، هز القحوف، ص36، 90؛ هنتش، المكاييل، ص65، 72.

(6)المصدر نفسه، ص 70.

(7) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص207-208؛ المسبحي، أخبار مصر، ص63؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص33.

(8) المقرزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص382.

(9) ابن مماتي، قوانين، ص277.

(10) هنتش، المكاييل، ص80.

(11) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص382.

(1/2 1) أردب من القمح كما كان يُكال بها زِبلُ الأفران[1]، وفيما يتعلق بوحدات الأطوال: للأرض وللمنسوجات في مصر الفاطمية فاستخدم الجريب كمقياس للأرض المزروعة بكل من: كروم العنب والتين، الرطب، وللزعفران، ويساوي (60×60) ذراعاً، أي يعادل (1592م^2) والفدان هو الأكثر شيوعا كوحدة مساحة في مصر، ويعادل (6368م^2) [2].

وبالنسبة إلى الأرض المحوّطة بجدارٍ وفيها أشجار متفرقة ويتمكن الفلاح من الزراعة في وسطها فهي البساتين[3]. والأرز وأرضه عُرفت بـ"شكارة الأرز" ويبلغ ناتجها خمسة أرطال منه[4].

استخدم الفاطميون في مصر وحدات قياس خاصة للمنسوجات: الباع[5] ويساوي ثلاثة أذرع تجارية، والذراع أساسه مقياس النيل في جزيرة الروضة، ويساوي (54.04سم[6] وقيس به: الأقمشة بأنواعها والرخام والحصر[7]، والحبال المفتولة أما قماش الحرير البز والذي يباع في أسواق القاهرة المعزية، فبلغ طول ذراعه (58.187سم).

وقد شاع في مصر استخدام الذراع العمل في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله وتساوي (66.5 سم[8].

---

(1) الشربيني، هز القحوف، ص93. والفدان هو مقدار ما يحرثه رأسين من البقر في اليوم الواحد في الأرض اللينة.

(2) ابن نجيم، الرسائل الزينية، ص138؛ هنتش، المكاييل، ص96.

(3) المرجع نفسه، ص98

(4) ابن مماتي، قوانين، ص363-364.

(5) هنتش، المكاييل، ص82-83.

(6) المخزومي، المنهاج، ص29.

(7) هنتش، المكاييل، ص84.

(8) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص188؛ هنتش، المكاييل، ص89،91.

رابعاً: الموارد المالية للدولة الفاطمية

من أهم واردات الدولة الفاطمية:

1. الخراج: اعتبر الخراج ضريبة شرعيه أساسيه فرضت على الأراضي الزراعية، للسكان غير مسلمين. وهناك اعتبارات يجب مراعاتها عند تقدير الخراج مثل مساحة الأرض وطرق الري ونوع المنتوج الزراعي ومدى منسوب نهر النيل.[1]

لم تدفع ضريبة الخراج كلها نقدا، فقد دفع بعضها عينا بالحاصلات. وفي فتره المجاعات حدث اضطراب في جباية الخراج في نهاية العصر الفاطمي كانت ثلاثة ارادب لكل فدان من الحبوب.[2] تجدر الإشارة الى ان خراج مصر سنه 515هـ/540هـ (1121-1145م) لم يزد غير، 1,200,000 دينار.[3]

2. العشور: ضريبة يدفعها التجار على بضائعهم، والذين يصلون إلى البلاد الإسلامية بحرا أو برا، وتبلغ 10% من قيمة البضاعة[4] ويدفعها التاجر الواصل لمصر الفاطمية مرة واحدة في الحول (السنة القمرية)، وكانت هذه المعاملة بالمثل بين الفاطميين وغيرهم من دول الغرب أي منْ توجد معهم معاهدات، وإذا أقام التاجر مدة أكثر من الحول فإنه يدفع ضريبة عن بضاعته

(1) الماوردي، الإحكام السلطانية، ص31؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص236.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص452؛ الصاوي، مجاعات، ص134.

(3) المقريزي، الخطط، ج1، ص100؛ الصاوي، مجاعات الدولة الفاطمية، ص141.

(4) يحيى بن آدم، الخراج، ص70.

نصف العشر، والسبب أنّه يتحول من الناحية القانونية من معاهد إلى ذمي[1]. وتؤخذ الضريبة لصالح الديوان، من تجار الروم والحبشة واليمن والمسلمين كافة[2].

3. **الخمس**. يطلق عليها هذا الاسم من قيمتها 5/1 الأصلية وتفرض على جميع بضائع التجار الأجانب الواردين للموانئ المصرية وتتراوح قيمته ما بين (35-100) دينار وقد تخفض إلى (20) دينار. ويلاحظ أن تجار الروم يؤخذ منهم (1/10) بدلاً من (1/5) عن البضائع التي معهم ويشترط وجود اتفاق مسبق[3].

4. **الزكاة (النجوى)**. من الموارد المالية للدولة الفاطمية في مصر، ويدفعها التجار الواصلين في المراكب الرومية والإسلامية من المسلمين عن: عيون التجارة وزكاة الغلات والمواشي[4]. كما أخذتها الدولة من الحجّاج المغاربة عند وصولهم إلى ميناء الإسكندرية دون مراعاة لمرور الزمن الشرعي، اثنا عشر شهراً، واكتفت باكتمال النصاب الشرعي وحلف اليمين من صاحب العلاقة[5]. يلاحظ كذلك أنّ الدولة أخذت الزكاة من الحجّاج أثناء انتقالهم بالمراكب النيلية وصولاً إلى قوص، وقد أزعجت تصرفات أعوان الزكاة الحجاج المغاربة، فيصفهم الرحالة ابن جبير بقوله:" وكان أعوان الزكاة يقومون بإدخال الأيدي إلى أوساط التجار فحصاً... وبيدهم المسال الطويلة، فلا يتركون عكماً ولا غرارة إلاّ ويتخللونها بتلك المسال الملعونة[6].

(1) أبو يوسف، الخراج ص132-137؛ يحيى بن آدم، الخراج، ص172-173.

(2) المخزومي، المنهاج، ص9؛ ماجد، نظم الفاطميين، ص119.

(3) ابن مماتي، قوانين، ص362.

(4) المخزومي، المنهاج، ص42-43؛ ماجد، نظم الفاطميين،، ص، 120.

(5) ابن جبير، رحلة، ص12-13.

(6) ابن جبير، رحلة، ص35.

الزكاة هي ركن من أركان الإسلام يجب في الأموال النامية التي مضى عليها حول كامل، وهذه الاموال تقسم الى قسمين:

أ) المال الظاهر ويشمل المواشي والزروع والثمار

ب) المال الباطن ويشمل أرباح ألتجاره والذهب والفضة.

وفي الدولة الفاطمية تم تعيين نقيب يجمع مال الزكاة ويدفعها للدولة الفاطمية.[1] لقد عرفت الزكاة "بالنجوى" من قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم "يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة".[2]

5. **المواريث الحشرية**. من الموارد المالية لخزينة الدولة الفاطمية، هي تركات مَنْ يموتون من الناس ولا وارث لهم حاضراً أو غائباً فتركتهم جميعاً تؤول لبيت المال، كما يضاف لها أنّ أمناء الحكم بالباب كانوا يأخذون (1/4) العشر من ثمن مبيع التركة، وأول مَن أوجد ذلك أمير الجيوش بدر الجمالي وقد ألحقَ هذا التشريع ضرراً بأهل مصر، مما استدعى تدخل الفقيه المالكي أبو بكر محمد بن محمد القهري الطرطوشي الأندلسي في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، ووزيره الأفضل بن بدر الجمالي وأمرا بضرورة إلغاء ما تقدم، وذلك في شهر شوال 516هـ/1122م[3]، وحينما صدر القرار كان في أمانات ديوان الجوالي والمواريث الحشرية (130.000) دينار، كانت تؤول كلها لصالح خزينة الدولة قبل ذلك التاريخ[4].

---

(1) الماوردي: الأحكام ألسلطانيه،ص98؛سيد،ألدوله ألفاطميه،ص340.

(2) القران الكريم، سورة المجادلة، ايه 12.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص188، 200–201. יהושע פרנקל،חדירת של הבדוים לארץ ישראל כתקופה הפאטמית،חיפה،1987.

(4) ابن ميسر / المنتقى، ص83–84؛ ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص92؛ حمادة، الوثائق السياسية، ص169–171.

6. **المكوس الديوانية**: وتفرض على البضائع الواصلة للدولة وكانت تعتبر مخالفة للشرع الشريف، إذ أنّ الدولة كانت تحتكر الاتّجار بها، وهي ضرائب عالية القيمة، وتفرضها الدولة حينما لا تفي جباية الأموال بنفقاتها، فتُفرض على التجار والأسواق مما يؤدي إلى الكساد وارتفاع أسعار السلع في أسواق الدولة[1]

تحصّل المكوس لصالح الديوان" الخليفة" أو لأصحاب القطاعات ويشرف على جبايتها ديوان الخراجي والهلالي[2] ومنها ما يُحصل في الحدود البرية، أو الموانئ، وقد دفعها التجار القادمين من: انطاكية وجبلة والشام، وتجار الروم، وتجار صقليا، وأقريطش (كريت)، في موانئ عيذاب، وتنيس ودمياط، والإسكندرية، والقلزم[3].

وبالنسبة للبضائع التي أُخذت عليها المكوس، شملت: القمح، والفلفل، والسكر، والملح، والبرغل، والأسماك، والطيور، والنسانيس، والحرير، والصوف، والحديد، والزفت، والمسامير، والأخشاب[4]. أيْ أنّ الدولة الفاطمية أخذت المكوس على كل ما يُباع ويشترى حتى على ماء الشرب في نهر النيل[5].

ويلاحظ أن الفاطميين أخذوا المكوس من حجّاج بيت الله الحرام القادمين من المغرب إلى مصر، فدفع كل حاج منهم (7 1/2) دينار عن نفسه في ميناء عيذاب قُبيل مغادرتهم لميناء جدّة الحجازي[6]. وقد بلغت قيمتها ما بين (10%-25%) من قيمة البضائع[1].

---

(1) ابن خلدون، العبر، ج2، 732؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا،، ج2، ص18، 34

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص93.

(3) ابن جبير، رحلة، ص28-42؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص33.

(4) المخزومي، المنهاج، ص9-22.

(5) ابن جبير، رحلة، ص29.

(6) ابن جبير، رحلة، ص28.

وحينما استقل الخليفة الآمر بأحكام الله بالسلطة في الخلافة عيّن في سنة 519هـ/1125م صاحبي ديوان، لاستخراج ما يجب من: زكاة ومكس، الأول مسلم وهو: جعفر بن عبد المنعم بن أبي قيراط والثاني يهودي سامري أبو يعقوب إبراهيم(2)... وثالث مسيحي راهب مستوفٍ (كاتب في الديوان) وهو أبو نجاح بن قنا[3]، ولقبه الخليفة بـ "الأب القديس، الروحاني، النفيس، أبي الآباء، سيد الرؤساء مقدّم دين النصرانية، وسيد البطريركية، ثمّ صدرت الأوامر بتمكينه من الدواوين وضبط الحواريين، فقام بمصادرة (100.000) دينار من النصارى الأقباط، كما صادر أموال القضاة والكتّاب والشهود، والسوقة. وأحدث رسوم لم تكن موجودة فخرج التجار من البلد، وكانت النتيجة أن ضجّ الناس، فحقّق الخليفة الآمر بأحكام الله بالأمر، ثم أمَرَ والي مصر بأخذه إلى الشرطة وضربه بالنعال حتى الموت، ثم طُرحت جثته في النيل ثم سحبها الماء إلى البحر المتوسط وذلك سنة 523هـ/1129م(4).

7. **الجوالي/ الجزية.** الجوالي جمع جالية ضريبة مفروضة على النصارى واليهود طالما لم يسلموا وقد ذكر غوتين أن الجالية كانت تجبى على من يبلغ 9 سنوات فما فوق، وتعتبر من المواد المالية للدولة الفاطمية.[5] فُرضت الجزية على أهل البلاد التي فتحها المسلمون عنوة أو صلحاً، وأستند الفاتحون في ذلك إلى الآية القرآنية الكريمة:

بسم الله الرحمن الرحيم: "**قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ**

---

(1) ماجد، نظم الفاطميين، ص119 – 121

(2) المقريزي، الخطط، ج2، ص291.

(3) من أشمون طناح قرب دمياط ثم قدم القاهرة واتصل بخدمة يوحنا بن أبي الليث كاتب المجلس. المقريزي؛ اتعاظ الحنفا، ج2، ص223.

(4) سيد، الدولة الفاطمية، ص174 – 175

(5) Cotein, vol. 11, p. 383; أيمن سيد، الدولة الفاطمية، ص 336.

صَاغِرُونَ"[1]، فالجزية دفعها الرجال في شهر المحرّم من كل عام[2]، وأعفي منها النساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم[3]، وقد تدّرج الفاطميون في أخذها من الأقباط في مصر حسب طبقاتهم الاقتصادية فتمّ التفريق بين الأغنياء ومتوسطي الحال، والفقراء من الناس، فبلغت دينار ثُمّ ثلث دينار ، ثُمّ ربع دينار . وذلك سنة 466هـ/1073م[4].

كما قدّم بطاركة الأقباط احتجاجًا على دفعهم للجزية فقالوا: " إنّ مَنْ يرفض العالم، ويسكن بالجبل، لا يجب أنْ يُلزم بخراج ولا جزية"[5]. أمّا في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، فقد جمع أحد موظفي "ديوان الجوالي والمواريث الحشرية"[6] الجزية من الأقباط بما فيهم الرهبان الذين أجبروا على دفع الجزية عن الفقراء من أبناء طوائفهم[7]، وبلغت القيمة المالية لها: دينارين ثُمّ دينار واحد، ثُمّ ثلثي دينار[8]، وقد خصصت الدولة لمشارف الجوالي مبلغاً مالياً شهرياً يتراوح ما بين (20-15) ديناراً[9]. وفي عهد الخليفة الحافظ لدين الله، أمر الوزير رضوان بن ولخشي بأن لا تؤخذ الجزية من النصارى إلاّ على مساطب وهم أسفلها، كما وضاعف عليهم الجزية فبلغت (1/6. 4) دنانير ثم دينارين، ثم ثلاثة دنانير وذلك سنة 531هـ/ 1137م [10].

---

(1) القرآن الكريم، سورة التوبة، آية 29.

(2) ابن مماتي، قوانين، ص317-319.

(3) ابن عبد الحكيم، فتوح مصر ، ص205؛ يحيى بن آدم، الخراج، ص70-73.

(4) ساويروس، تاريخ البطاركة، م2، ج3، ص218؛ المخزومي، المنهاج، ص26.

(5) ساويروس، تاريخ البطاركة، م2، ج1، ص47.

(6) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص20؛ ساويروس، تاريخ البطاركة م2،ج3، ص218.

(7) ساويروس، تاريخ البطاركة،م2، ج2، ص129.

(8) ماجد، نظم الفاطميين، ص119-120.

(9) ابن الطوير ، نزهة المقلتين، ص50-84.

(10) المقريزي، المنهاج، ص35؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2،ص247؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص198-199.

8. **المصادره.** هناك موارد غير منتظمة في مصر الفاطمية وهي المصادرة، بدأت في عهد الخليفة العزيز اذ صودرت أموال الوزير يعقوب بن كلس سنه 373هـ/984م وقدرها خمسمائة ألف دينار .[1]

استمر نظام المصادرة في عهد خلافة الحاكم بأمر الله، وكثرت المصادرات أيضا في عهد الوزير الحسين بن محمد الجرجرائي (سنه439-441هـ/1047-1049م) وشملت الأموال والأملاك. أما في عهد خلافة الأمر بأحكام الله فاستمرت المصادرات على يد الراهب المعروف بابي نجاح بن قنا ،وشملت المصادرات أموال النصارى وغيرهم. واستمر الراهب بهذا العمل حتى قتل بأمر الخليفة سنه543هـ/1129م. [2]

9. **الرباع.** هي مساكن مشتركة يسكنها أكثر من أسرة وكانت تؤجر للسكنى، إن الخليفة الآمر بأحكام الله أصدر منشورًا في شهر رمضان المبارك سنة 517هـ/1123م بإعفاء كافة سكان البا ع السلطانية بالدولة من دفع الأجرة اجلالاً لشهر رمضان.[3]

---

(1) النويري، نهاية الارب، ج26، ص48؛ ايمن سيد، الدولة الفاطمية، ص305.

(2) ابن ميسر، المنتقى من اخبار مصر، ص83-ص115، النويري نهاية الارب، ج26، ص86.

(3) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 92؛ أيمن سيد، الدولة الفاطمية، ص 342.

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية

أولاً: الزراعة (الأراضي، المزروعات الصيفية والشتوية، شق الترع والقنوات وبناء الجسور، الثروة الحيوانية)

ثانيا: الصناعة (أنواع الصناعات ومصادرها، النقابات والطوائف الحرفية، السكة الفاطمية)

ثالثا: التجارة (المراكز التجارية، نظام المعاملات المالية، ألازمات الاقتصادية، النشاط التجاري الخارجي).

رابعا: الموارد المالية للدولة الفاطمية

أولاً: الزراعة

1. أنواع الأرض

انقسمت الأراضي الزراعية في مصر إلى:

أ. **ارض الملك:** لم يحدث تغيير على ملكية الأراضي في فترة الدراسة، ولم يجر تغيير على الأرض المملوكة وكان لأصحابها الحق في التصرف بحريه بأملاكهم.(1)

ب. **الإقطاع** : قام الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، قام بحل جميع الاقطاعات وإعادة توزيعها بسبب شكاوى صغار المقطعين من قلة دخل اقطاعاتهم .وقد كان أكثر الاقطاعين في هذه الفترة من الجند، إذ استغلوا اقطاعاتهم لمدة30 سنه. وعند نهاية المدة يجب أن يرد الأرض المقطوعة كما تسلمها بدون نقل المنشئات التي أقيمت عليها. (2)

ج. **الوقف:** بقيت أراضي الأوقاف بأيدي مستحقيها أو نظار الوقف بدون تدخل السلطة بهذا الأمر. وكان القضاة يتولون النظر في شؤون الأوقاف وحفظها وصرف ريعها على المحتاجين والفقراء والمؤسسات الدينية، بمساعدة ديوان الاحباس برئاسة قاض. يعتبر هذا الديوان المسؤول عن الأموال والأراضي الموقوفة للمصالح العامة. وفي سنة 519هـ/1123م تولى القاضي ابن الحجاج ابن أيوب المغربي إدارة ديوان الاحباس، إضافة لمنصبه في القضاء وفي أخر عهد الحافظ لدين الله تم تحويل إدارة شؤون الاحباس إلى إدارة القضاء.(3)

---

(1) المقريزي، الخطط، ج1، ص83،سرور، الدولة الفاطمية، ص137.

(2) نفس المصدر، ص 84.

(3) المقريزي، اتعاض، ج3، ص151،سرور، الدولة الفاطميه،ص154.

لقد شملت الأوقاف في عهد خلافة الأمر بأحكام الله أراضي زراعيه مثل بركة الحبش جنوب مدينه الفسطاط وسميت بهذا الاسم بسبب غمرها بماء النيل عند فيضانه لذلك سميت ببركة الحبش [1].

أما بعد وفاة الخليفة الأمر بأحكام الله واستيلاء أبو علي الأفضل كتيفات حفيد بدر الجمالي على السلطة، فقد أعاد جميع الحبس إلى الملاك حتى نهاية وزارته.

وعندما تم تعيين الخليفة الحافظ لدين الله، حل الاحباس واستولى على جميع الأملاك لكنه عدل عن ذلك وتراجع بعد تدخل وزيره يأنس الأرمني[2].

أن أقدم حجة وقف وصلت إلينا من مصر الفاطمية، هي حجة وقف الوزير طلائع بن رزيك سنة 544هـ/1159م. أوقف بعض الرباع ونصف بركة الحبش وناحية بلقس الأشراف[3]. على الأشراف الحسينيين المقيمين بالقاهرة واستمر العمل بأراضي الوقف حتى زوال الدولة الفاطمية[4].

توقف نجاح الزراعة على عاملين هما : فيضان النيل وتوفير الإمكانيات اللازمة للاهتمام بزراعه مثل شق الطرق وتحسين طرق الري وترميم القنوات والجسور على ضفاف نهر النيل. وفي عهد الأمر بإحكام الله بلغ التقدم الزراعي أعلى درجه بفضل وزيره الأفضل بن بدر

---

(1) المقريزي، خطط، ج2، ص152؛سيد الدولة الفاطمية 365.

(2) ابن دقمان:الانتصار ،ج4،ص55:ايمن سيد، الدولة الفاطمية، ص 360-361

(3) بلقس الاشراف: قرية قديمة من بين قرى محافظه القليوبية ابن مماتي، قوانين، ص110.

(4) ابن الطوير ، نزهة المقلتين، ص115؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص294؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص 360.

الجمالي، فتم زراعة أنواع جديدة من القمح واستغلت جميع الأراضي الزراعية، مما زاد الأرباح وارتفع الخراج .[1]

2. الأراضي الشجرية

أعتبرت الأراضي في مصر منذ الفتح الإسلامي وحتى العصر الفاطمي، أراض تعود ملكيتها للدولة [2]، وتُمسح الأرض الخراجية في كل ثلاث سنين مرة وبالتالي أرض مصر هي وقف للأمة وقد أشار ابن عبد الحكم إلى ذلك بقوله:

وتثبت مساحة الأرض، وأنواع الأشجار الموجودة وعددها والجدران المحيطة بالبساتين[3] ويؤخذ الخراج إذا بلغ ماء النيل ستة عشر ذراعا زاد الخراج (100.000) دينار [4].

اعتبرت هذه الأراضي ملكاً للخليفة يتصرف فيها كيفما يشاء، وله حق إقطاع الأرض لمن يريد من الجند، ففي عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، أَقْطَعَ الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، القائد العسكري شمس الخلافة أسد أرضًا بعسقلان وأقر عليه إقطاعه بمصر وذلك في 504هـ/1115م[5]. كما مُنح تاج المعالي مختار أرض خاص وذلك سنة 501هـ/1108م[6]. وبخصوص الأراضي الوقفية في العهد الفاطمي، فقد أوقفت على المساجد والبيمارستانات في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله، وذلك بهدف استمرارها، وتقديم الأموال اللازمة للعاملين فيها، ولتنظيم

---

(1) وثائق الجيزا، وثيقة رقم 5، FN1256B؛ المقريزي، الخطط،ج1، ص 83؛ سرور، الدولة الفاطمية، ص137.

(2) المقريزي، الخطط، ج3، ص195؛ ابن عبد الحكيم، فتوح مصر والمغرب، ص122؛ محاميد، تطورات، ص154.

(3) المخزومي، المنهاج، ص61-62.

(4) ابن مماتي، القوانين، ص76.

(5) ابن نجيم، الرسائل الزينية، ص239-241.

(6) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص168.

ذلك أنشأت الخلافة الفاطمية ديوان "الأحباس"، والنتيجة أنه في مصر الفاطمية مُنح وقف الأراضي الزراعية [1].

3. المحاصيل الزراعية

يمكث تقسيم المحاصيل الزراعية إلى موسمين أساسيين وهما :

المحاصيل الزراعية الشتوية:

كانت تبدأ زراعة المحاصيل الزراعية الشتوية في شهر كيهاك (ايلول)، وتنتهي بشهر بؤونه (آذار).

هنا لا بد من الإشارة أن مواعيد مواسم الزراعة كانت حسب التقويم القبطي.

أن الزراعة الشتوية كانت تدر محصول زراعي وفير على المزارعين.[2]

أهم المحاصيل الزراعية الشتوية:

أ. **الحبوب:** شكلت زراعة الحبوب كالقمح والشعير أهم محصول زراعي شتوي، لان القمح عنصر أساسي لطعام المواطن المصري. وفي عهد الأمر بحكام الله اهتم وزيره الأفضل بن بدر الجمالي بحرث الأرض البور، وزرعها بنوع جديد من القمح مما أدى إلى ارتفاع المنتوج والخراج، وكانت زراعة الحبوب تشمل الجزء الأكبر من الأراضي المصرية الخصبة.[3]

---

(1) أمين، الأوقات والحياة الاجتماعية، ص53-59.

(2) البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص 66؛ سيد الدولة الفاطمية، ص292/293.

(3) البراوي، حالة مصر، ص71؛ سرور، الدولة الفاطمية ص292.

انتشرت زراعة القمح والشعير[1] في كافة أرجاء مصر الفاطمية[2] في بلاد الصعيد والوجه البحري وذلك لاعتماد السكان عليهما في غذائهم اليومي[3]، وخاصة أنّ سكان القرى كانوا يأكلون خبز الشعير، ويعملون الفطير من الشعير و النخالة، كما زرع في مصر الترمس الذي يقبل الناس على أكله مسلوقًا[4].

ب. الأزهار والرياحين: يجتمع في أواخر فصل الشتاء على أرض مصر كل من: النرجس والبنفسج، والريحان والنارنج*، والياسمين، والنسرين، والورد النصيبي[5]، ونبات الريحان الملكي وشقائق النعمان والتي قال فيها الشاعر ظافر الحداد:

وللشقائق جَمرٌ في جوانبها

بقية الفحم لم تُشتره باللهب[6]

والأقحوان "الحبق ذو الرائحة الطيبة، ومنه عدة أنواع هي حبق: القرنفل، والصعتري، والكافور[7]، وبخصوص نبات النيلوفر فهو نبات قمري يزيد بزيادة القمر، وينقص بنقصانه، ومن صفاته في النهار أنّه يحوّل وجهه باتجاه الشمس[8]. وفيما يتعلق بنبات البشنين فينبت في المستنقعات المائية على نهر النيل[9].

---

(1) ابن ميسر، أخبار مصر، ص83؛ سلطان، المجتمع المصري، ص240.

(2) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص187.

(3) ابن مماتي، قوانين، ص250.

(4) الشربيني، هز القحوف، ص91،59؛ سلطان، المجتمع المصري، ص242.

(5) ابن زولاق، أخبار الدول المنقطعة، ص22. خسرو، سفرنامة، ص103،101.

(6) الحداد، ديوان، ص19.

(7) السيوطي، حسن المحاضرة،ج2، ص374؛ ابن مماتي، قوانين، ص250، 272.

(8) السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص370؛ المخزومي، المنهاج، ص 6-7.

(9) السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص 372.

كما زرع قرب نبات البشنين والأشجار ما بين القصور، ويُسقى من ماء الآبار، وفي قصر الخليفة بساتين لا نظير لها وقد نصب السواقي لها[1].

ج. **أشجار الغابات:** اهتمت دولة الخلافة الفاطمية بزراعتها في قرى الصعيد ومنها: البهنسا، وأنسنا، ورشين، ومنبال، وشبطال، والأشمونين، وأسيوط، وأخميم، وقوص ومن أهم أشجارها[2] "السنط" و" اللبخ" الذي يُستخدم لصناعة السفن المصرية[3]، والبلوط للأكل.

د. **البقول:** ويشمل هذا المفهوم: الفول والعدس والبازلاء واللوبيا والحمص، وزرعت في كافة أنحاء مصر في العهد الفاطمي، وذلك لحاجة الناس اليومية إليها في غذائهم وخاصة في الأرياف[4]، فالفول مثلاً يؤكل أخضرا أو مسلوقا أو مطبوخا بالسمن واللبن، ومن المناطق التي زرع بها: ضواحي القاهرة[5]ويحتاج الفدان من الأرض إلى ثلاث ويبات من بدار العدس[6]. ويستخدم الفول مجروشًا كطعام للناس فيسمى الديشة أو كعلفٍ للدواب [7].

هـ. **الكتان:** زرع في الأراضي المغمورة في المياه مده طويلة من الزمن، مثل منطقة الدلتا والفيوم[8] لأنهما مناطق خصبه ومنخفضة ووفيرة.[9]

---

(1) خسرو، سفر نامة، ص91.

(2) ابن مماتي، قوانين، ص347-348.

(3) سعاد ماهر، البحرية، ص169.

(4) ابن مماتي، قوانين، ص238، 254، 258.

(5) خسرو سفر نامة، ص103. الشربيني، هز القحوف، 12-13، 34-35.

(6) المخزومي، المنهاج، ص 3، 8.

(7) سلطان، المجتمع المصري، ص242.

(8) الفيوم، محافظة الفيوم هي إحدى محافظات مصر وعاصمتها مدينة الفيوم، تقع في إقليم «شمال الصعيد» الذي يضم ثلاث محافظات هي الفيوم وبني سويف والمنيا. وتعد محافظة الفيوم صورة مصغرة لمصر حتى أن البعض يطلقون عليها «مصر الصغرى». يوجد بالفيوم مجتمع زراعي ومجتمع صناعي . (الحموي، معجم البلدان، ج4، ص261)

(9) القلقشندي، صبح، ج 3، ص 306؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج2، ص261.

و. الجلبان والبرسيم: يعتبران من المحاصيل الشتوية الهامة بسبب وفرة الانتاج الزراعي. يستعمل البرسيم كغذاء هام للمواشي وخاصة المواشي المنتجة للحليب.[1]

المحاصيل الصيفية: من اهم المحاصيل الصيفية

أ. قصب السكر: شكلت زراعة قصب السكر جانبا هاما في المحصول الزراعي، حيث تحسنت طرق تكرير عصير قصب السكر في مدن وقرى مصريه عديدة وقد شكل هذا المنتوج طابع رأسمالي خاص در أموال طائلة على الفلاحين والصناع.[2] زرع المصريون قصب السكر، في مناطق عديدة في مصر أهمها جرجا، وقرشوط، وأخميم حيث تم استنتاج العسل والسكر بكميات كثيرة في مصر[3].

ب. الأرز: يقوم المصريون ببذر الأرز في منتصف شهر برمهات من كل عام و يُحصد في الشهر الثاني (توت) حسب التقويم القبطي[4]، وهو من محاصيل المزروعات الصيفية[5]، وهو من الأطعمة الرئيسية لسكان السواحل في مصر، واشتهرت الفيوم[6] ورشيد بزراعته[7].

ج. **النيلة:** ويزرعها المصريون فيما بين شهري نيسان وتموز أو في شهر برمودة حسب التقويم الخاص بهم[8] أي أنها من المحاصيل الزراعية الصيفية ويزرعها الأغنياء في مزارعهم

---

(1) المقريزي، الخطط، ج1، ص271؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص293.

(2) البراوي، حالة مصر، ص71؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص 293 .

(3) عبد الرحيم، الريق المصري، ص202.

(4) المخزومي، المنهاج، ج1، ص8،6.

(5) عبد الرحيم، الريف المصري، ص197، 202.

(6) المقدسي، حسن التقاسيم، ص208.

(7) سلطان، المجتمع المصري، ص243.

(8) ابن مماتي، قوانين، ص249.

بصعيد مصر، وذلك لارتفاع تكلفة زراعتها عند اكتمال كل مائة يوم ويحصد نبات النيلة أربع مرات في السنة[1]، وتستخدم أوراقه في صباغة الأقمشة باللون الأزرق[2].

د. **السمسم:** اعتبرت زراعة السمسم زراعه صيفيه ناجحة إذ در المنتوج أموال طائلة على المزارعين. زرع السمسم في الأراضي الخصبة والموفرة.[3]

هـ. **الفواكه:** اشتهرت مصر الفاطمية بزراعة كروم الرمان والخوخ والبطيخ والليمون والسفرجل وشجر النخيل. زرعت أشجار الفواكه في منطقه الجيزة والفيوم والقليوب، وشكلت عنصرا هاما في المحصول الزراعي المصري، يشار إلى أن أشجار النخيل كانت مغروسة على شاطئ نهر النيل وفي منطقة اسوان وقد بلغ محصول التمر السنوي 36 ألف دينار .[4]

من الجدير بالذكر انه يوجد مزروعات مستديمة او سنوية التي يمتد موسم انتاجا الى سنه زراعيه كامله مثل محصول قصب السكر ومحاصيل الفاكهة والاشجار الخشبية.[5] وأشجار العنب وانتشرت في معظم أراضي مصر، وخاصة في قوص والصعيد[6]. كما زرع المصريون التين، والزيتون، والنخيل الذي زُرع في بلاد الصعيد على جانبي نهر النيل كما زرع في : أسوان، وأسنا، وقوص، وأخميم [7].

(1) ابن مماتي، قوانين، ص253.

(2) عبد الرحيم، الريف المصري، ص 197–203.

(3) البراوي، حالة مصر، ص 68.

(4) القلقشندي، صبحي الاعشى، ج3، ص304

(5) المقريزي، خطط، ج2، ص83؛ سرور، الدولة الفاطمية، ص153-154 בת יאור ، יהודי מצרים ، ספרית מעריב ، רמת גן ،1974،עמ'12.

(6) المخزومي، المنهاج، ص6–10.

(7) ابن جبير، رحلة، ص36.

كذلك زرع الفلاّح المصري التفاح بنوعية القاسمي والمسكي، والرمان[1]، والخوخ الزهري[2]، والليمون[3]، والسفرجل وأشجار المشمس واللوز والتوت، والعناب، وقصب السكر، والبنجر، والموز [4].

كما زرع المصريون: البصل والثوم والجزر والخس، والفجل، واللفت، والسمسم، والكرنب، والقرع، والترمس، والباذنجان، والخيار، والفقوس، والبطيخ الأحمر والأصفر، وتزرع الخضروات في كافة أنحاء مصر، ويستخدمها الناس في طعامهم اليومي[5].

ويعلل الرحالة ناصر خسرو اجتماع أنواع مختلفة في الثمار الصيفية والشتوية في مصر بسبب تعدد أنواع المناخ في مصر، ولاتساع أراضيها. [6]

3. الترع والقنوات وبناء الجسور

اهتم الفاطميون بتوفير المياه لري المزروعات ومما ميّز فترة حكمهم الاهتمام بالجوانب التقنية التي تساعد في تطوير الزراعة مثل بناية الجسور وشق الترع وصيانتها وتنظيف قنوات الري وتطهيرها والاعتناء بها، وبلغ عدد قنوات الري البحرية والقبلية حوالي 117 ترعة، وعدد الخلجان التي تسهل عملية استيراد وتصدير المنتوجات الزراعية 8 خلجان، وعدد الأبحر 25

(1) ابن زولاق، تاريخ مصر، ص22؛ خسرو، سفر نامة، ص103.

(2) ابن زولاق، تاريخ مصر، ص20.

(3) ابن مماتي، قوانين، ص234-237، 271-272.

(4) المقدسي، حسن التقاسيم، ص201. מנחם בן ששון،צמיחת הקהילה היוהדית בארצות האיסלאם،ירושלים 1996עמ' 380-383.

(5) خسرو، سفر نامة، ص103.

(6) ابن مماتي، قوانين ص248، 469، المخزومي، المنهاج، ج2، ص7.

بحرًا. كل ما ذكر أعلاه ساهم في تحسين الوضع الزراعي في الدولة الفاطمية خاصة بعد اجراء تعديلات على نظام الإقطاع[1].

4. الثروة الحيوانية

اهتم الفلاحون بتربية الدجاج والأوز والحمام في بيوتهم [2]، وهذا يوفر لهم نوعا من الأمن الغذائي مثل التزوّد في: اللحوم والبيض، كما وجد في مصر طير السماني مَنْ أكلَ منه قوى مفاصله[3]، وكذلك حيوانات للنقل وللحراسة مثل: الجمال والبغال والحمير والكلاب[4]، كما استخدمت الثيران والخيول والجواميس لإدارة سواقي الماء ومطاحن القمح والشعير [5]. لقد استخدم الفاطميون مصطلح الفدان وهو مقدار ما يحرثه رأسين من البقر في اليوم الواحد في الأرض اللينة، ويحتاج كل خمسة وعشرين رأساً من البقر إلى رجل يقوم على خدمتها [6]، أما بالنسبة للأبقار الخيسية فهي المخصصة لإدرار الحليب فصنع من حليبها الأجبان[7]، كما رُبيت الأغنام والماعز، وخاصة في قرى الصعيد.

كما قام المصريون بتربية النحل لاستخراج العسل وكان أغلب العاملين بتربية النحل من الأقباط في ناحية أسيوط[8]، كذلك اهتم الفاطميون بتربية دودة القز لتنشيط صناعة الحرير في

---

(1) د. علي حسني الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، مكتبة الأنجلومصرية، الجيزة، مارس، 1963، ص224-226.

(2) الشربيني، هز القحوف، ص58.

(3) ابن مماتي، قوانين، ص239. לסטר אילה ،היבטים טיפולוגיים מן התקופה הפאטמית ، חיפה 2011،עמ' 23.

(4) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص209.

(5) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص209.

(6) المسبحي، أخبار مصر، ص91.

(7) عبد الرحيم، الريف المصري، ص210.

(8) المخزومي، المنهاج، ص6.

مصر، وأخيراً نستطيع القول أن الفّلاح المصري أوجَدَ لأسرته الأمن الغذائي بشقيه الحيواني والنباتي في العهد الفاطمي كما اعتنى بالأسماك بأنواعها المختلفة مثل: الأبرميس والراي[1]، ومَنْ يواظب على أكل السمك يصاب بمرض الجرب[2].

الحمير: كانت وسيلة مهمة للركوب آنذاك، ويذكر أن الراهب أبو نجاح الذي عُيّن في الديوان في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله سنة 520هـ/ 1126م يركب الحمير الفارهة بالسروج المحلاة بالذهب والفضة واستمر إلى أن قُتل سنة 523هـ/1129م. [3]

---

(1) الشربيني، هز القحوف، ص62.

(2) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص186؛ ابن ظافر، الدول المنقطعة، ص92.

(3) المقدسي، حسن التقاسيم، ص201. .

ثانياً: الصناعة

إن التطور في تجارة مصر خارجيا وداخليا أديا إلى ازدهار الصناعة المصرية، وهذا أدى إلى ظهور صناعات جديدة ومراكز اقتصاديه لم تكن سابقا. لقد استعان الفاطميون بمهنية أهل الذمة والعمال الأجانب ومهاراتهم وخبراتهم الصناعية للارتقاء في مجال الصناعة، كذلك استخدمت أساليب جديدة في الصناعة المصرية الفاطمية وتنوعت أنواعها وتأسست نقابات حرفيه للدفاع عن حقوق العاملين والفلاحين والصناع[1].

1. أنواع الصناعات ومصادرها

أ. الصناعات النباتية

اعتمدت الصناعات النسيجية في مصر على ما كان يزرع فيها من الكتان على ضفاف النيل مثل الفيوم أو في الدلتا، ومن القرى القبطية التي زرعته: الفيوم ودرنكة[2]، ودمياط[3] وابنوب وبوصير[4]، وقرية شطا[5]، كانت الخلافة الفاطمية تشرف على المغازل والمناسج التي يعمل فيها

---

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 141؛ البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص 120.

(2) قرية درنكة هي إحدى القرى التابعة لمركز أسيوط في محافظة أسيوط في جمهورية مصر العربية، ومن أشهر معالمها دير العذراء الذي يمثل آخر نقطة في رحلة العائلة المقدسة ومنها بدأوا طريق عودتهم إلى فلسطين (عبد الرحيم، الريف المصري، ص213؛ سرور، الدولة الفاطمية، ص156.)

(3) مدينه بأقصى شمال مصر تشتهر بزراعة النخيل وبسواحلها المطلة على نهر النيل وتشتهر بصناعه الاثاث والجلود والحلويات والاجبان. (ويلز، الموسوعة الحرة، جزء 3، ص20.)

(4) **أبنوب**: مدينه مصريه تقع بمحافظة اسيوط تقع على الضفة ا لشرقيه لنهر النيل. **بصير**: مدن مصريه تبعد14 كيلومتر من الجيزة فيها 4 أهرامات ومعابد للشمس. (ويلز، الموسوعة الحرة، جزء 3، ص22.)

(5) تعد قرية شطا واحدة من أهم قرى مركز دمياط نظرا لكونها أخر حدود المحافظة مع محافظة بورسعيد، كما تحوي هذه القرية عددا غير قليل من المشروعات التنموية بالمحافظة. (المقدسي، أحسن التقاسيم، ص213-202.)

الأقباط رجالاً ونساءً، ولا يمكن لأي قبطي من التصرف بالقماش إلاّ تحت إشراف الدولة، للتأكد من صحة دباغته[1].

صنع من الكتان قماش البروكار: وهو عبارة عن خيوط رفيعة من الكتان محاطة بطبقة رقيقة من أمعاء الخراف، ومغطاة بقشرة من الذهب[2]. ومن الليف صُنعتْ الحبال[3]، أما أشجار الحلفا والنخيل فصنع منها الحصر التي كانت تستخدم كمفروشات في المنازل الريفية، ومن القرى التي اشتهرت بذلك: طمية[4] وسنورس[5]، ومنوف[6]. من الجدير بالذكر أن الصناعات الصوفية اعتمدت على أصواف الأغنام التي صنع منها: الألبسة الصوفية البيضاء، والبطائن الحمر، والبسط، والأردية، وكان بعضاً من الألبسة الصوفية لرجال الدولة يُصنع بدار الطراز، ومثال ذلك ملابس: الراهب أبو نجاح بن قنا والذي قتله الخليفة الآمر بأحكام الله سنة 523هـ/1129م[7].

دار الطراز: هي بناء معد لصنع الملابس الخاصة بالخليفة والأمراء ورجال الدولة وفيها تصنع الملابس الحريرية وكسوة الكعبة المعظمة[8] واشتهرت دار الطراز بقرية دبيق بصناعة

---

(1) ابن مماتي، قوانين، ص337.

(2) فهمي، طرق التجارة، ص247-248.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص203. סטילמן ، יהודי ארצות ערב ירושלים 1997עמ' 53-40.

(4) جبل مخروطي الشكل، يقع في منطقة القصيم في مصر وارتفاعه 1300 متر. يعتقد العلماء أنه بركاناً خامداً، فمكانه الذي يوجد فيه وشكله لا يوحي بأنه جبل بل هو أقرب للبركان رغم ارتفاعه، ويقول العلماء أنه سينفجر ويصبح بركاناً في عام 1435هـ/2014م. (الحموي، معجم البلدان، ج4، ص42)

(5) هو أحد المراكز الستة لمحافظة الفيوم بمصر، وتبلغ المساحة المنزرعة بها (51555) فدان. (الحموي، معجم البلدان، ج4، ص260)

(6) هو مركز يتبع لمحافظة المنوفيه في مصر .(مصيلحي، المنوفيه، ص48؛) عبد الرحيم، الريف المصري، ص21.

(7) ابن ظافر، الدول المنقطعة، ص89.

(8) المقريزي، حسن المحاضرة، ج2، ص289. فهمي، طرق التجارة، ص245.

الأقمشة المزركشة: الحريرية والصوفية والديباج المزركشة والموشاة بخيوط الذهب[1]، كما صنعت فيها العمائم الموشاة بكتابات منسوجة بالذهب وكذلك صنع فيها الأثواب المصمتة ذات اللون الأبيض[2]. يشرف على دار الطراز، ناظر مسؤول عن: الآلات والعمّال[3]، وصباغة الألبسة: باللون الأزرق، واستخدم لذلك النيلة التي تزرعُ في واحات مصر[4]، أو الشب الذي يستخرج من أسوان في الصعيد ويستخدم في تثبيت الألوان والصبغات على الأقمشة وخاصة اللون الأحمر[5].وحملت الأصباغ على دور الطراز التي وجدت في كل من: تنيس ودمياط، والإسكندرية، ويحمل ناتجها ويوضع في خزانة الكسوة في قصر الخليفة الفاطمي. وقد أنشأ الوزير الأفضل بن بدر الجمالي في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله دار الديباج الواقعة بسويقة الصاحب[6].

سكن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله في دار الديباج وعُرفت في عهده بدار الديباج لأنه يعمل بها الحرير والديباج. وممن تولاها الطبيب أبو سعيد بن قرقة متولي خزائن السلاح وخزائن السروج وظلت تعمل إلى أن زالت الدولة الفاطمية[7]

(1) ابن خلدون، العبر، ج2، ص708؛ المسبحي، أخبار مصر، ص6.

(2) ابن ظافر، الدول المنقطعة، ص89.

(3) ابن مماتي، قوانين، ص230.

(4) فهمي، طرق التجارة، ص236.

(5) ابن مماتي، القوانين، ص328؛ المرجع نفسه ص 237-238. מחאמיד חאתם،החיאת הסונה במצרים וסוריה، תל אביב،2009،עמ' 22

(6) المسبحي، أخبار مصر، ص6؛ ابن مماتي، قوانين، ص257.

(7) المقريزي، الخطط، ج1، ص464

صناعة السكر والعسل: تركزت زراعة قصب السكر في بلاد الصعيد، ومنها: فرشوط[1] وأخميم[2]، وكان القصب يُنقل على ظهور الجمال أو بالمراكب إلى المعاصر التي تعرف بالمعاصر الديوانية[3]، حيث تنظف سيقانه من الورق ثُم يعصر القصب وبعدها يُغلى على النار ليصاغ إلى تنقيته، وعمل قوالب السكر أو رؤوس السكر، حيث ينقل جزء من الناتج إلى مطابخ السكر في قصور الخلفاء الفاطميين، وهو من المنتوجات التي صدرتها مصر إلى أوروبا[4].

الصناعات الفخارية والخزفية: يحمل ماء النيل معه الطمي أثناء جريانه، وبالتالي انتشرت صناعته في بلاد الصعيد، فمنه صنعت الأدوات الفخارية المنزلية مثل: أباريق الماء، والقلل المستخدمة لتبريد الماء، والقدور الفخارية، وجرار العسل، وأدوات تعبئة النيلة. ويتم تجهيز الطمي ومزجه بالقش، ثم يوضع في قوالب بالأفران حتى ينشف، ثم ينقل إلى مدن مصر الفاطمية[5].

أما الصناعات الخزفية فانتشرت في مصر الفاطمية نتيجة لوجود مقاطع الطين الأصفر والأحمر بمنطقة العدوية، فصنعت منه الأدوات الخزفية[6].

---

(1) منطقة قديمة جداً تعرف أيضاً بالأسماء التالية، فرجود – فرجوط – برشوط ثم فرشوط ومنه اسمها الحالى فرشوط. تقع على شاطئ غربي النيل من الصعيد بمصر وهي بلدة عامرة بالخيرات الكثيرة، تضم مدينة فرشوط تسع قرى، معظم، محاصيلها الزراعية هي قصب السكر . (الحموي، معجم البلدان، ج4، ص251.)

(2) هي مدينة في محافظة سوهاج بصعيد مصر تقع على الشاطئ الشرقي للنيل. توجد بها آثار إغريقية قديمة (الحموي، معجم البلدان، ج4، ص262؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص203؛ ابن مماتي، قوانين، ص451،367.)

(3) أبو صالح الأرمني، تاريخ، ص26؛ المهزومي، المنهاج، ص3.

(4) فهمي، طرق التجارة، ص242–243.

(5) عبد الرحيم، الريف المصري، ص214–216.

(6) أبو صالح الأرمني، تاريخ، ص52. סטילמן ، יהודי ארצות ערב ירושלים 1997עמ' 40-53.

صناعة الزجاج: انتشرت في مصر الفاطمية صناعة الزجاج الشفاف المذهب الملون[1]، فمنه صُنعت القناديل تُضاء بها المساجد، أو وضعت على شبابيك" المنظرة"، أو "الجواسق"، أي القصور، ومن مدن صناعته: الفيوم، والفسطاط والإسكندرية[2].

الصناعات الخشبية: انتشرت صناعة الأخشاب في مصر نتيجة لانتشار زراعة الأشجار الحرجية[3] مثل: السدر، السرو، السنط، النبق، اللبخ والجميز، والتي زرعت في كل من: أسيوط، قوص، أخميم، الأشمونين، السنط، والبهنسا، كما استوردت مصر الفاطمية أخشاب، الأبنوس، والأرز، والساج من بلاد الشام وآسيا الصغرى[4]. وقد كانت مصر الفاطمية بحاجة ماسة للأخشاب وذلك لاستخدامها في بناء المراكب، ومنه خشب السنط الذي كان يزرع في بهنسا ولا يحق لأحد التصرف بالأخشاب سوى مستخدمي الديوان[5]، وارتبط بالأخشاب حرفة التجارة حيث قام النجارون بإصلاح السواقي، وصناعة الصناديق المزخرفة في تنيس ودمياط[6].

صناعة الورق والتجليد: تطورت صناعة الورق في مصر عبر العصور وذلك بسبب زراعة نبات الحلفا، وورقه معروف بورق البردي وعُرفت الأوراق المصنعة بالقراطيس أو الطوامير[7]،

---

(1) أبو صالح ألأرمني، تاريخ، ص131.

(2) جمال الدين، تاريخ مصر، ج3، ص629؛ سرور، الدولة الفاطمية، ص156.

(3) ماهر، البحرية، ص101-169.

(4) ماهر، البحرية، ص101-169.

(5) المخزومي، المنهاج، ص6. جمال الدين، تاريخ مصر، ج3، ص625.

(6) ابن مماتي، قوانين، ص348-347؛ ماهر، البحرية، ص169. سرور، الدولة الفاطمية، ص153. יעקוב לב ،יהודים במצרים ،אוניברסיטת חיפה 1980 עמ' 142.

(7) السيوطي، حسن الحاضرة، ج2، ص290.

والتي استخدمت لعلم المساحة، الفلك، الحساب القبطي والطب. وارتبط بصناعة الورق، حرفة تجليد الكتب، وقد كانت دكاكين المجلدين في سوق الورّاقين القريب من سوق النحاسين القديم[1].

ب. صناعات من الثروة الحيوانية

صناعة تفريخ الدجاج: انتشرت حرفة تفريخ الدجاج في القرى القبطية في العصر الفاطمي، وهي حرفة صناعةٍ، ومعيشةٍ للأقباط منذ ألاف السنين[2]. ويتكوّن بناء معمل "الفروج" من عشر إلى عشرين بيتاً(غرفة) ويتراوح عدد البيض في الغرفة الواحدة ما بين (300–2000) بيضة. ويحتاج البيض إلى أثنين وعشرين يوماً حتى يفقس[3]. ومعامل الفروج تشبه في حرارتها نار الطبيعة في حضانة الدجاجة للبيض[4]، وتمر البيضة بالمراحل التالية: الترقيد، الذواق، السماع الأول، التلويح، الحضانة، التطريح ويه وتكون الفراريج قد خرجت من البيض[5]. تنتج إدارة معمل الفروج نسبة من البيض والباقي يأخذه الفلاّح[6].

الصناعات الجلدية: وتتمثل هذه الصناعات في صناعة الأحذية الخفيفة والثقيلة، ودباغة الجلود وصناعة الأحزمة، وسروج الخيل أما الأحذية الخفيفة كالبوابيج (نعل بلا دائر، رقيق، مكشوف، بداخله قطعة جوخ[7]) فصنعت من الجلود المدبوغة، قامت بتصنيعها طائفة البوابيجية.

أما بالنسبة لصناعة الأحذية الثقيلة فقد استخدمت طائفة الأساكفة القوالب الخشبية، في صناعة: الحدوة للفلاحين (جلدة على قدر القدم لها خيوط الجلد يلبسها الحراثون أثناء حراثة

---

(1) المسبحي، أخبار مصر، ص98.

(2) زكريا محمد، معمل الفروج"، ص1. عن الانترنت .www,faisal.ps/print-php?ar tld=1203

(3) زكريا محمد، معمل الفروج، ص1–2.

(4) السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص295.

(5) ابن مماتي، قوانين، ص245–246؛ زكريا محمد،" معمل الفروج"، ص1–2.

(6) عبد الرحيم، الريف المصري، ص215.

(7) القاسمي، الصناعات الشامية، ج2، ص57–58؛ الشربيني، هز القحوف، ص16.

الأرض[1])، كما صنعوا وأصلحوا النعال المصنوعة من جلد البقر المستورد من الحبشة[2]. أما صناعة الأحزمة (السيور) وهي: جلود خفيفة ينقعها الدباغون بماء الشيد ثم تُفصل ويجعل لها بطانة ثم تخيط معاً، ثم يبيعها الأساكفة لطائفة ألسيورية[3]، وبالنسبة لسروج الخيل المذهبة فقام بتصنيعها طائفة السروجية[4].

ج. الصناعات المعدنية

الصناعات الحديدية: اعتمدت الصناعات الحديدية في مصر على خام الحديد الموجودة في جبل المقطم وأسوان[5]، وقام المعلمون والصنّاع والأُجراء بصناعة حذوات الخيل، وأخفافٍ لها فقد ضُبِطَ في تركة الأفضل بن بدر الجمالي 515هـ/1122م[6]، ثلاثون راحلة صُنعت لها أخفاف من ذهب عراقي[7]. كما صنّع الحدادون ألجمة للحيوانات، فقد قام ثلاثمائة حداد قبطي بتصنيع ألجمة الخيل في ديرٍ بناحية دلاص[8]، كما قاموا بصناعة الأبواب المصفحة[9]، والمهاميز المذهبة للخيول وذلك في سوق " اللجميين"[10].

---

(1) الشربيني، هز القحوف، ص68.

(2) سلطان، المجتمع المصري، ص78؛ القاسمي، الصناعات الشامية، ج1، ص28؛ ساويروس، تاريخ الكنيسة،م2،ج2، ص95.

(3) الشربيني، هز القحوف، ص16؛ القاسمي، الصناعات الشامية، ج2، ص242.

(4) المقريزي، الخطط، ج2، ص96؛ أيوب، التاريخ الاجتماعي، ص80.

(5) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص209.

(6) السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص291.

(7) اليافعي، مرآة الجنان، ج3، ص161.

(8) هي إحدى القرى التابعة لمركز ناصر في محافظة بني سويف بمصر. (حموي ، معجم البلدان، ج3، ص120.) أبو صالح ألأرمني، تاريخ، ص116-128.

(9) أبو صالح ألأرمني، تاريخ، ص91.

(10) المقريزي، الخطط، ج2، ص96؛ أيوب، التاريخ الاجتماعي، ص80.

صناعة المعادن والعاج: برع الفاطميون في صناعة المعادن والعاج والفسيفساء المزخرفة التي نالت أهمية كبرى في الصناعة المصرية ومن بين الصناع الذين برعوا في ذلك صناع من السنّة وأهل الذمة. لقد اشتهرت مدينة الفسطاط المصرية بصناعة الحديد الذي تم استيراده من شمال أفريقيا وصقليا[1].

استمر تطور صناعة المعادن والعاج في أواخر الدولة الفاطمية في عهد الخليفتين الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله، وذلك لأن الوزراء الأفضل بن بدر الجمالي ومأمون البطائحي اهتموا بهذه الصناعة لأنها تدر أموالاً طائلة على خزينة الدولة ولأنها تخدم أهل الذمة المحسوبين على هؤلاء الوزراء. ويذكر المقريزي أن هذه الصناعة استمرت حتى بداية العصر الأيوبي، كما صنعت السروج والمصاحف الذهبية والأحجار الكريمة والسكاكين والسيوف والحلي والذهب، وقد اشتهرت مدينة تنيس بصناعة المقصبات والسكاكين والحلي والذهب والسيوف[2].

2. النقابات الحرفية

النقابات هي مجموعات من الأفراد ينشأ بينها اتحاد على أساس تطوعي أو اجباري لكي تضم من يعملون في مهنة واحدة أو تخصص واحد، وهدف النقابات تحقيق مصالح أعضائها المتنوعة، وتدور حول العديد من الموضوعات منها:

1. رفع مستوى المهنة التي ينتمي اليها الأعضاء.
2. الدفاع عن أعضاء النقابة وضمان نظام لرواتبهم وتوفير نظام تأمين صحي لهم ولأسرهم ولضمان كرامتهم عند الشيخوخة أو المرض.

---

(1) حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية، ص593.

(2) المقريزي: الخطط، ج1، ص243-242.

3. هذه النقابات تعمل على ثلاثة محاور وهي مهنية وخدمية وقومية[1].

نظام عمل النقابات الحرفية

هذه النقابات كان أعضاؤها ينتخبون رئيساً أو نقيباً لهم للفصل بأمور المنازعات والقضايا المتعلقة بالحرفة وقد اهتم الخلفاء والوزراء بشأنهم ومنصبهم وهذا يدل على مكانتهم ورفعة شأنهم، حتى أنه كثيراً ما كان يعهد إليهم رعاية الحج وديوان المقام، لقد قام النقيب والنقابة بتأسيس دساتير لتنظيم عملها ونشاطها خاصة في العصر الفاطمي، حيث لعبت النقابات دوراً هاماً في النشاط التجاري، وتم الاعتراف بها من قبل الدولة حيث تفرغت إلى مجالات أخرى غير مهنية، وخاصة عندما أنشئت نقابة طلاب وأساتذة جامع الأزهر [2].

لقد أشار المقريزي إلى نقابة المعلمين أيام الدولة الفاطمية، ويصنف المراتب التنظيمية بدقة عندما اتخذوا من التربية الأخلاقية أساساً لرفع مكانة المجتمع الفاطمي، تمتع النقيب بأسماء أخرى كشيخ المهنة أو شيخ الكبار (وجيه) وكان له حقوق لا يمكن تجاهلها، وكان يتمتع باحترام ومركز مرموق لدى جميع أصحاب المهنة[3].

كانت للنقابات الحرفية آلية تنظيمية لترتيب شؤونها مثل الجمعية التأسيسية التي تعلن تأسيس النقابة والجمعية العامة وهي صاحبة السلطة العليا في تحديد أمور وبرامج وأنظمة وأهداف النقابة، ومجلس إدارة النقابة التي يتم انتخاب أعضائه من الجمعية العمومية بالترشيح ومكتب النقابة الذي ينتخب الرئيس وأمين السر وكافة المسؤولين في النقابة[4].

---

(1) أماني قنديل، النقابات المهنية، المكتب العربي للمصارف، 1995، ص 6-3.

(2) أوراق الجنيزا، وثيقى رقم 14، ENANS2IF.6.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج 2، ص 100.

(4)المصدر نفسه، ص 103.

نشأت النقابات الحرفية في العصر الفاطمي على شكل طوائف وأصحاب الحرفة الواحدة، وازدهرت في المجتمع الإسلامي خلال فترتي الخلافة العباسية والفاطمية، ويرى الأستاذ جمال البنا في مجلده عن الحركة النقابية المصرية أن أوروبا اقتبست النقابات المهنية ونظم الطوائف من العالم الإسلامي(1).

من أهم النقابات الحرفية أيام الخليفتين: نقابة الحدادين، النحاسين، الحمالين، الصائغين، الزجاجيين، النساجين، النوالين، الصوافين والخبازين. اهتمت هذه النقابات بمساعدة أعضائها والحفاظ على المهنة وأسرارها وتطويرها وتنظيم انتاجها ودقة صناعتها وتقدير أسعارها والأجور وأيام العمل. بالإضافة لذلك عملت هذه النقابات على إحياء المناسبات والأعياد وتقديم المساعدة لأعضائها ورعاية الأيتام والمرضى والمصابين والأرامل. واهتمت بنشر العدالة الاجتماعية والألفة والمساواة وذلك تحقيقاً للعدل الاجتماعي لتوزيع الثروة(2).

إن النقابات الحرفية وصلت إلى مكانة مرموقة مكّنتها من مراقبة الأسواق والورش والمعامل والإشراف على الصناعات والمنتوجات. لقد حاربت النقابات المهنية عملية الغش والتلاعب بالأسعار، وتمتعت بسلطات إدارية مالية، اقتصادية وقضائية واسعة اعترفت بها الدولة الإسلامية الفاطمية (3).

---

(1) جمال البنا، النقابات المهنية المصرية، حركة البقاء، القاهرة، 1976، ص 109.

(2) البنا، النقابات المهنية، ص 180.

(3)المصدر نفسه، ص 109.

ثالثاً: التجارة

نشطت التجارة في عهد الخليفتين حيث تم الاهتمام بالطرق التجارية وإصلاحها وحمايتها، كم تـم الاهتمـام بـأمن التجـار وحمـايتهم مـن اللـصوص. لعـب النيـل دوراً كبيـرا فـي نقـل التجـارة صـيفا وشتاء[1].

ازدادت الحركـة التجاريـة فـي القـاهرة والفـسطاط، حيـث يقـيم أصـحاب رؤوس الأمـوال والإقطاعيين، لذلك كثرت المتاجر والأسواق التي تتوفر فيها جميع أنواع البضائع والتحف. من أهم مراكز التجارة الداخلية: مدينة دمياط، لموقعها الاستراتيجي، ومدينة قوص لنفس السبب. كما يشار إلى مدينة أسوان التجارية بسبب قربها لتجارة السودان[2].

1. المراكز التجارية

لعبت مصر الفاطمية دورا هاما في ألتجاره المتجهة إلى أوروبا وبيزنطة، وكان المستفيد الأول من ذلك مدينه الفسطاط عاصمة مصر ألتجاريه في زمن الفاطميين ،ومنا أهم المراكز ألتجاريه:

الفسطاط والإسكندرية وقوص: لقد ساهمت الاضطرابات السياسية في العراق والخليج العربي إلـى بـروز مكانـة مـصر الفاطميـة خاصـة، وأصـبحت مـدن الفسطاط والإسـكندرية مراكـز للتـصدير والاستيراد بسبب الموقع الجغرافي .

لقد ساد الرخاء والثراء هذه المدن وعمرت الأسواق في جميع الجهات بالسلع الفاخرة ومتعددة الأجناس كالمنسوجات والجلود والمعادن والتوابل والعطور . أما مدينه قوص فتمتعت في

---

(1) حسين محمد ربيع، دليل وثائق الجنيزا الجديدة، جامعة حيفا، 1993، ص 65 (وثيقة رقم 190).

(2) نفس المصدر، ص 59.

النصف الثاني من القرن الخامس هجري/الحادي عشر ميلادي بمكانه أساسيه في نقل حركه التجارة الشرقية نتيجة لإصلاحات أداريه ادخلها الوزير بدر الجمالي، مما ازداد رخاء سكانها وحظيت بموارد ماليه نتيجة جمع المكوس والضرائب على البضائع الواردة أليها[1].

الأسواق

يتكون السوق من مجموعة من المحال التجارية المتجاورة وتتاجر كل فئة من التجار بسلع متشابهة ومن أهم الأسواق: السوق الكبير الذي يتوصل إليه من درب باب الحديد[2]، وسوق الطيور، ويقع بالقرب من باب زويلة[3]، وسوق الغزل، وسوق الغرائين[4]، وسوق الرواسين (الاغنام) [5]، وسوق المغاربة[6]، وسويقة أمير الجيوش في القاهرة وبها حوانيت: الحيّاكين والفرائين والخياطين البزازين والخلعيين، ويباع فيه سائر الثياب والأمتعة من الفرش[7]، وسوق العطارين في الإسكندرية ويباع فيه البهارات والفلفل [8].

يشرف على إدارة الأسواق: المحتسب ومجموعة من المعاونين له من: نواب وعرفاء. يجلس المحتسب على دكة الحسبة الواقعة بجوار سوق القصارين والفحامين يوماً بعد يوم[9]، ويقوم معاونوه بالتفتيش على أصحاب المهن ليتأكدوا من صحة "موازينهم وسنجهم ومكاييلهم ومَن

---

(1) ايمن سيد، الدولة الفاطميه،ص300؛ Coitein, S.D. op, cit, p. 193.

(2) ساويروس، تاريخ البطاركة، م2، ج2، ص95.

(3) الأصفهاني، البستان الجامع، ص322.

(4) ابن دقماق، الانتصار، ص83.

(5) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص9.

(6) ابن دقماق، الانتصار، ص34، 81.

(7) المقريزي، الخطط، ج2، ص101.

(8) فهمي، طرق التجارة، ص281.

(9) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص116.

وجدوا سنجه زائدة أو ناقصة استهلكوها وباعوا عليه غيرها"[1] ومَن يضبط بعد المهلة يُعاقب، كما يقومون بالتفتيش على قدور الهراسين[2].

أمّا عرفاء الأسواق، فلكل واحد منهم دكان في سوق حرفته فهم الأكثر معرفة وخبرة بأصحاب الحرفة وأسرار المهنة[3]، فيمنعون الغش والخداع ومنهم: عريف الخبازين وعريف السقائين[4]، كما لعب العرفاء دوراً أمنياً في الأسواق، إذ شاركوا في التحقيق والكشف على جثث القتلى، وبناء عليه فقد كان، العريف هو حلقة الوصل بين الحرفيين والدولة [5].

كانت الأسواق محلية وأخرى موسمية. فالمحلية منها أسواق دائمة تُعقد في أيام محددة في الأسبوع[6]، أهمها: أسواق الجيزة والتي تعقد في يوم الأحد[7]، وأسواق قليوب، وهناك أسواق ارتبطت بالمحاصيل الزراعية كالقمح الذي يُباع إلى تجار مصر من منفلوط[8]، والأغنام التي تُباع على اللحّامين القادمين إليها من القاهرة ومنها قرى: البهنساوية، وأنشاص، وسنبو، وأبا. والموسمية من الأسواق تُعقد في الأعياد أو وقت وصول السفن للموانئ في الإسكندرية أو عيذاب، وأهم بضائعها الفلفل، وهناك أسواق تعقد بمناسبة عيدي: الفطر والأضحى ومثال على ذلك سوق مدينة قوص والذي يُعقد قبيل موسم الحج، تميزت الأسواق بأنها متسعة المرافق، كثيرة الخلق[9]، لكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار: اليمنيين، الهنود، المصريين، الإسكندرانيين،

---

(1) ابن مماتي، قوانين، ص333-334.

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص116.

(3) المقريزي، إغاثة الأمة، ص19.

(4) المصدر نفسه، ص18-19.

(5) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص24-25.

(6) ابن جبير، رحلة، ص30؛ فهمي، طرق التجارة، ص281-282.

(7) عبد المنعم سلطان، الأسواق، ص49.

(8) المصدر نفسه، ص32.

(9) عبد الرحيم، الريف المصري، ص221-222.

المغاربة، وتجار أرض الحبشة[1]. كما تُقام أسواق عند أضرحة الأولياء والقديسين[2]، ويكون للبضائع المعروضة نوع من القدسية. فالأقباط المسيحيون، تُعقد أسواقهم عند الأديرة ومنها: عيد دير شعران في خامس يوم جمعة من الصوم وعيد بئر دير أيسوس والذي يُعقد بوفاء ماء النيل المقدس في 25/ أيلول من كل عام[3].

أشارت المصادر كذلك إلى: القياسر ومنها قيسارية ابن ميسر الكبرى والتي يُباع بها: القماش من الكتان الأبيض والأزرق والطرح، ويأتي إليها التجار يومي: الأحد والأربعاء لشراء البضائع ولها خمسة أبواب واستمرت عامرة إلى عصر المقريزي[4] .

أما بالنسبة للوكالات التجارية[5]، فقد أمر الخليفة الآمر بأحكام الله ببناء دار وكالة في القاهرة وخصصت للتجار الشوام والعراقيين وذلك في سنة 516هـ/1122م[6] . ويشير هذا إلى أنَّ القاهرة بدأت تشارك مدينة الفسطاط في النشاط التجاري منذ مطلع القرن 6هـ/12م[7].

(1) ابن جبير، رحلة، ص37، 39.

(2) عبد الرحيم، الريف المصري، ص249.

(3) قاسم، أهل الذمة، ص283-284.

(4) المقريزي، الخطط، ج2، ص91.

(5) المقريزي، اتعاظ، ج1، ص300؛ ابن دقماق، الانتصار، ص81.

(6) المقريزي، المصدر نفسه، ج2، ص203.

(7) سيد، الدولة الفاطمية، ص163؛ سرور، الدولة الفاطمية، 153.

2. نظام المعاملات المالية

النقود

وجد في مصر في عهد الخليفتين نوعين من دور ضرب النقود[1] هما: الذهبية والفضية، وتدار كل واحدة منها بمجموعة من الصنّاع المهرة وهم: ضارب الذهب، ومتولي العيار، والسبّاك والمشارف، ونقّاش السكة، والصانع، والوقّاد[2] وتقاضى كل واحدٍ منهم أجراً، فضارب الذهب، بلغت أجرته (3.5) دينار في عهد الحافظ، ووقّاد فرن دار الضرب، بلغت أجرته الشهرية(1/2) دينار[3].

وبالنسبة للذهب الذي تزوّد به دور الضرب فمصادره متعددة: أولها مناجم الذهب المصرية الموجودة في جبل المقطم[4] وفي الصحراء وما بين أسوان وعيذاب، وأشهر مدن إنتاجه العلاقي[5]، وثانيهما" السبائك" والدنانير، والحشر والمصاغ[6]" الموجود في المجتمع" والأخير ما وُجدَ عن طريق التبادل التجاري، فوجدت في السوق المصرية الدنانير الطرابلسية، والمهدية، والصقلية، والعدنية، والرومية[7]. وفيما يتعلق بكيفية ضرب النقود، فتصهر في الفرن حتى تصير مائعة[8] كماءٍ، فتؤخذ قضباناً ثُمّ تُسبك وتجمع في صنوج فخارية أو زجاجية فإذا تساوت أوزانها، تتم إجازتها، وإذا صحَّ العيار تختم بخاتم السكة (الدولة) [9]. وبالنسبة لدار ضرب الفضة، ففيها

---

(1) المسبحي، أخبار مصر، ص90.

(2) المخزومي، المنهاج، ص31.

(3) المصدر نفسه، ص31.

(4) السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص291.

(5) فهمي، طرق التجارة، ص253.

(6) المخزومي، المنهاج، ص30.

(7) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص203.

(8) زناتي، معجم مصطلحات التاريخ، ص409.

(9) المخزومي، المنهاج، ص30؛ هنتش، المكاييل، ص9.

تُخلط الفضة، مع النحاس بنسبة (300) درهم فضة إلى (700) درهم نحاس[1] ويتم سبكها، وبالتالي فإنّ نسبة الفضة بلغت 43% من وزن " الفضة النقرة"[2].

في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله تمّ بناء دارين جديدتين للضرب وذلك في سنة 516هـ/1122م الأولى منهما: في القاهرة، قرب الجامع الأزهر " الخرّاطين" قُبالة بيمارستان القشاشين[3]، والثانية في قوص حيث أشرفَ على بنائها الأمير مؤيد الملك، وبعث معه الخليفة الآمر بأحكام الله (20.000) دينار، و(20.000) درهم، فضُربت دنانير ودراهم في قوص باسم الخليفة الآمر بأحكام الله[4]، كما خُصصت لضرب الدنانير العدنية القادمة من الحجاز واليمن[5].

وأخيراً فإنّ دور الضرب في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله هي: القاهرة، والإسكندرية، وقوص، ومصر، وعسقلان، وصور[6]. وعرفت مصر الدنانير الذهبية[7] طوال تاريخها، وعُرفَ منها: الغُرّة: وهي دنانير رباعية، بأمر الخليفة الفاطمي بضربها في العشر الأواخر من ذي الحجة بتأريخ السنة، وتوزع على أرباب السيوف والأقلام على حُكمِ البركةِ من الخليفة في غرة شهر محرّم[8]. كما عرفت مصر الدراهم الفضية[9] ومنها الخراريب (مفردها خروبة)[10]، وقد ضُربت في سنة 516هـ/ 1122م في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله بمناسبة عيد خميس العدس عند

---

(1) المخزومي، المصدر نفسه، ص31.

(2) المخزومي، المصدر والصفحة نفسيهما.

(3) أحمد عيسى، البيمارستانات، ص75.

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص203.

(5) المصدر نفسه، والجزء والصفحة نفسيهما.

(6) المصدر نفسه.

(7) المناوي، النقود والمكاييل، ص89-92.

(8) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص167؛سرور، الدولة الفاطمية، ص171.

(9) ابن نجيم/ الرسائل الزينية، ص138.

(10) نجم، معجم المصطلحات التاريخية، ص219.

الأقباط حيث ضُربَ (1000) دينار ذهبي وكانت نسبة الذهب إلى الفضة 5%، مع الإشارة إلى أنّ نسبتها قبل ذلك العهد 1/2 2% فقط[1]، كذلك عُرفت مصر: النقرة[2]، والمدورة المقشقلة[3]، والسوداء (المسوّدة) [4] وهذه ضُربت في بداية عهد الخليفة الآمر بأحكام الله سنة 497هـ/1104م، وسُميت بذلك لارتفاع نسبة النحاس فيها[5] وقد استمر استعمالها إلى نهاية العهد الفاطمي، أمّا مدينة الإسكندرية فسادت بها العملة الورقية[6].

ومما يذكر في هذا المجال أنّ الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل "كتيفات"، وزير الخليفة الحافظ لدين الله، قام بضرب الدرهم سنة 525هـ/1130م ونقش عليها" الله الصمد، الإمام محمّد"[7].

وأخيراً فإنّ السلع اليومية للسكان والتي يقلُّ سعرها عن الدرهم فقد خصصت لها الخلافة الفاطمية الفلوس النحاسية. [8]

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص196؛ ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص94.

(2) المخزومي، المنهاج، ص31.

(3) المقريزي، إغاثة الأمة، ص65-66.

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص167.

(5) السيوطي، حُسن المحاضرة، ج2، ص253.

(6) المقريزي، إغاثة الأمة، ص65.

(7) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص232؛ ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص94.

(8) المقريزي، إغاثة الأمة، ص66.

3. الأزمات الاقتصادية

بلغت ألازمه الاقتصادية ذروتها سنة 360هـ/970م، لعدة أسباب أهمها: تفشي الإمراض مثل مرض الطاعون، وهجرة المواطنين وهروبهم من الداء وقلة الأيدي العاملة وتلويث مياه النيل وانتشار الفوضى والاضطراب الأمني وتأخر وسائل العلاج.[1]

أما في عهد الأمر بإحكام الله فعاشت الدولة مجاعتين : الأولى زمن وزارة الأفضل بن بدر الجمالي، إذ ارتفعت أسعار القمح نتيجة لنقص مياه النيل والقحط، ومما زاد الطين بله هبوب ريح سوداء دامت ثلاثة أيام أدت إلى هلاك الناس والحيوانات.[2]

لقد تم تفادي هذه ألازمه باستخراج القمح من المخازن وتحديد الأسعار بأمر من الوزير مأمون البطائحي مما أدى إلى انخفاض الأسعار بعد ستة أشهر .[3]

أما المجاعة الثانية فحدثت أواخر خلافة الأمر بإحكام الله ،حيث لا يوجد تاريخ محدد لها وأدت إلى زيادة الأسعار بسبب انخفاض مستوى مياه النيل.[4]

اما في عهد الحافظ لدين الله فحدثت مجاعة سنة 534هـ/1138م،وسببها تأخر زيادة النيل وعدم استغلال الأراضي الزراعية، فأمر الخليفة الحافظ لدين الله وزيره الأفضل بن ولخشي بفتح المخازن الزراعية وإتاحة الفرصة للناس للشراء بسعر رخيص ، لكن الوزير لم يمتثل لتعليمات الخليفة، مما أثار سخط الخليفة وهذا الأمر أدى لقتله فيما بعد .[5]

---

(1) المقريزي، الخطط، ج2، ص339:البراوي،حالة مصر الاقتصاديه،ص80.

(2) المقريزي، اغاثة الامه،ص26:الصاوي،مجاعات،ص68.

(3) ابن اياس، بدائع الزهور ،ج1،ص63:الصاوي،مجاعت ،ص69

(4) المقريزي، الخطط،ج1،ص291:الصاوي ،مجاعات ،ص70.

(5) المقريزي، اتعاظ،ج3،ص166:الصاوي،مجاعات،ص70.

وقع غلاء عظيم في عهد الآمر بأحكام الله حتى وصل سعر كل أردب قمح إلى ثلاثين دينارًا، إلا أن سياسة الوزير البطائحي المتزنة اقتصاديًا أدت إلى تراجع في أسعار القمح الذي يعتبر عنصرا أساسيا في غذاء المواطن المصري (1). أما في زمن خلافة الحافظ لدين الله الذي اتصف بالتسامح والحلم واللين فقد امتنع الفلاحون عن وزن الخراج مما أثر سلبًا على واردات الدولة الفاطمية في عهده، ومما زاد الطين بلة سيطرة الفرنج على البلاد مما أدى إلى فوضى وكثرة الرشاوى والفساد (2).

إن آخر مجاعة زمن خلافة الحافظ استمرت 3 سنوات بين (536هـ-583هـ/1141-1143م) وتجلت بارتفاع الأسعار وانتشار الأمراض وقلة المياه وضعف المنتوج الزراعي[3]، نتيجة لما ذكر سابقاً قامت الدولة بمعالجة مشكلة الأراضي في الصعيد الأعلى، إذ قام الفلاحون باغتصاب أراضي الدولة أو وضع اليد على أراضٍ مجاورة لأراضيهم، "فطالبتهم الدولة بخراج الأرض التي اغتصبوها فعجزوا عن ذلك، رغبة من الدولة في "عمارة البلاد"... واستنباط الأراضي وإنشاء الغروس وإقامة السواقي"(4). جاء أمر الوزير المأمون البطائحي كالآتي:

"إقرار جميع الأملاك والأراضي والسواقي بأيدي أربابها... وأن يقرّر عليها الخراج وأنّ مَن عاد من الفلاحين واعتدى على أرض الدولة تضاعفت عليه الغرامة والعقوبة"(5). وقد منحت الدولة مهلة أربع سنوات للفلاحين سنتين لغاية رخائها وسنتين لغاية جدبها وبعدها تبدأ باستيفاء

---

(1) مؤلف مجهول (من يقول إنه ابن زولاق)، تاريخ مصر وفضائلها، القاهرة، 1422هـ/2002م، ص101-100.

(2) بدائع الزهور، ج2، ق1، ص224.

(3) المقريزي، اتعاظ، ج3، ص 176؛ أحمد صاوي، مجاعات، ص 71.

(4) ماجد، نظم الفاطميين، ص114.

(5) المقريزي، الخطط، ج1، ص153-152. שמעון שותספוקס،היוהדים במצרים הוצאת משרד החינוך ירושלים 1998،עמ' 92.

ضريبة الخراج، وهذه هي مدة ضمان الأرض من الدولة للفلاح أما في سنة 516هـ/1122م فقد نفّذ الوزير المأمون البطائحي أمراً من الخليفة الآمر بأحكام الله يمنع فيه: زيادة الضمان على الضامن الأول ما دام الأول موفياً بعقده مع الدولة[1]"، وكانت الدولة تضمّن "الأبواب، والرباع السلطانية، والبساتين، والحمامات، والقياسر، والمساكن، والكفارات". وهذه أراضٍ زراعية ومؤسسات اقتصادية تُدر دخل للدولة[2].

وصدر أمر في شعبان سنة 517هـ/1123م من الوزير المأمون البطائحي يتضمن: "مسامحة كافة سكان الرباع السلطانية[3] بالقاهرة ومصر من: الأدر، والحمامات، والحوانيت، والمعاصر، والأخونة، والطواحين، والعرس" من أجرة شهر رمضان من كل سنة، وهذا يشجعهم على مضاعفة جهودهم في العمل. أو ليكونوا أقدر على مواجهة الأزمات الاقتصادية [4].

وكجزء من الإجراءات المالية من أجل زيادة المال المتوافر في خزينة الدولة، أصدر الوزير الأفضل بن بدر الجمالي الأمر التالي:" إفراد مال المواريث ومنع أخذ شيء من التركات وحفظها لأصحابها، وقد أدى هذا الإجراء إلى وجود (130.000) دينار ذهب كوديعة (أمانة) في خزينة الدولة[5].

وقد تابع الوزير المأمون البطائحي الإجراءات المالية المتعلقة بالمواريث فأصدر في ذي القعدة 516هـ/1122م أمراً بإعادة تنظيم المواريث الحشرية كالآتي: " فأمّا مَنْ يموت حشرياً

---

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص86.

(2) المقريزي، الخطط، ج1، ص151-150؛ الكفارات، أو الكفور جمع كفر وهي المناطق الزراعية.

(3) **الرباع السلطانية:** هي المساكن المشتركة التي تؤجر لأكثر من مستأجر، ووجدت في الفسطاط، وبلغ عددها 8000 بيت، وتحصل أجرتها حسب التقويم القمري، ويشرف عليها موظف "متولي حماية الرباع السلطانية" انظر: ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص93؛ ابن مماتي، قوانين، ص341؛ المخزومي، المنهاج، ص34.

(4) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص210-208.

(5) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص188.

ولا وارث فتؤول جميع تركته لبيت المال على القوانين المعلومة"[1]. أي حَسب المذهب الاسماعيلي للدولة الفاطمية. ورثة الأموات، فقد حذَّرت الدولة موظفيها من: قضاة ونوّاب ومستخدمين من التلاعب... وذلك حفاظاً على مصالح العامة[2].

كما حذَّرت "شهود الحكم بالباب" أي (الموظفين الذين يقومون ببيع أموال المواريث مِن أخذ ربع العشر من ثمن المبيع)[3]، لأن ذلك يعود بالضرر على أيتام المسلمين. كما ناقش فقهاء الخلافة الفاطمية في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، ما يُعرف في مصر بالمذهب الدارج أي "توريث الابنة النصف"[4].

واستمرت الأزمة الاقتصادية الخانقة والتي زاد من سوئها كثرة إنفاق الخليفة الآمر على مماليكه: مثل: هزار الملوك فقد دفع لمماليكه: (200.000) مائتي ألف دينار، بالإضافة إلى: مصاغ وكسوات، واقطع كل واحد منها مضافاً إلى ما معه (100.000) مائة ألف دينار، مضافاً لهما: الجواري ورواتب مطابخهما والرسوم المستقرة بأسمائها[5]. يضاف إلى ذلك كثرة مصروفات مطبخ الخليفة الآمر بأحكام الله الشهرية والبالغة (5000) خمسة آلاف رأس غنم ثمن كل واحد منها ثلاثة دنانير[6]. ونتيجة لهذا الوضع المالي المتردي لم يكن أمام الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله إلاّ أن يُضاعف الضرائب على السكان من أهل مصر[7]، وتصف المصادر ذلك بالآتي: " كثرت وقائع أهل القسر على الناس وأُخذت رسوم لم تكن فيما تقدم. وكثرت مصادرات

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج2، ص204-200.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص204-200.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج2، ص202.

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص204-200.

(5) ابن ظافر، الدول المنقطعة، ص90-89.

(6) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص210-208.

(7) المصدر نفسه.

القاطنين بمصر والقاهرة وذلك في سنة 522هـ/1128م، حتى أنها بلغت (100.000) دينار من جماعة من النصارى [1]. هذه السياسة الضرائبية الجائرة، وصفها المؤرخ ابن ظافر (أخبار الدول المنقطعة) بقوله: "فلم يبقَ أحد ألاّ وناله بمكروه من: ضربٍ، ونهبٍ وأخذِ مال"[2] وأدت إلى أن " يعم البلاء جميع بلاد مصر، ويهرب التجار منها[3]" وفي النهاية اعتبر الخليفة الآمر بأحكام الله: سيئ الرأي، وبالغ في ظلم الرعية، وأخذ أموالهم واغتصاب أملاكهم مما أدى في نهاية الأمر إلى أن" ابتهج الخاص والعام بالراحة منه حينما قُتل" [4].

الإصلاحات الاقتصادية

اعتمدت الدواوين في الخلافة الفاطمية نظاماً مالياً يقوم على أساس التنسيق بين السنة القمرية (الهلالية) والسنة الشمسية (الخراجية). فالسنة القمرية يبلغ عدد أيامها (354) يوماً وتُدفع على أساسها "واجبات العسكر وأرزاق المرتزقة"[5] أي الرواتب، أما المداخيل المالية لدولة الخلافة فتجبى استناداً إلى السنة الشمسية (الخراجية) والتي تبدأ في 3/11 من كل سنة والبالغ عدد أيامها (365) يوماً[6].

(1) ابن ظافر، الدول المنقطعة، ص89-88.

(2) ابن ظافر، الدول المنقطعة، ص89-88.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 222.

(4) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص88.

(5) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص 223. מנחם בן ששון-צמיחת הקהילה היוהדית בארצות האיסלאם-ירושלים 1996עמ' 380-383.

(6) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص359-358.

نستنتج مما ذكر سابقًا أنّ هناك فرقاً سنوياً (11) يوماً وعدم توافق زمن الأداء مع زمن الجباية ويعلم هذا الأمر: الخليفة الفاطمي، وكبير المنجمين والوزير ورئيس الديوان[1]. والسؤال هنا كالآتي:

هل رصدت الوزارة الفاطمية مصاريف (11) يوماً في موازنتها كل سنة لتجابه مصاريف هذه الأيام؟ وهذا يقودنا للآتي: أن عدد أيام33 سنة قمرية ميزانية صرف يساوي عدد أيام 32 سنة شمسية ميزانية دخل. أي 32×11=352 يوما وهذا يساوي سنة قمرية حتمية (صرف رواتب) لا وجود لرصيد لها في خزانة الدولة وهذه الحالة " مضرة على بيت المال"[2]، وهذا يعني أن الدخل على السنة القمرية بينما الصرف الشمسية، وهذا يعني أن الدولة تدفع مصروفات 11 يوماً من الخزينة، وهي لم تدخل في الخزينة أساساً.

نستنتج مما تقدم أن هناك حاجة لمواجهة المشكلات الاقتصادية في مصر، لذلك أصدر الوزير الأفضل بن بدر الجمالي في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله أوامره: " أن سنة 499م الخراجية موافقة لسنة 501هـ الهلالية، ويستمر هذا التعديل إلى سنة 534هـ/1139م([3]). أي بعد مرور 33 سنة قمرية تكون دولة الخلافة بحاجة إلى مقاربة جديدة بين التقويمين. وأوضحت الدولة أنّ هدفها "عمارة الأعمال وتوفير الأموال، والاعتناء برجال الدولة وأجنادها"[4].

وصدر أمر في 515هـ/1123م " من قبل الوزير المأمون البطائحي بمسامحة[5] العاجزين عن دفع الخراج ابتداء من سنة 501-510هـ/1107-1116م. وذلك لما أصاب الضمناء من

(1) المخزومي، المنهاج، ص8.

(2) الساحلي، سنو الازدلاف، ص145-143.

(3) المرجع نفسة، ص 144

(4) الساحلي، المرجع نفسه، ص154.

(5) المسامحة: يُقصد بها بواقي الخراج عند نقل حساب الدولة من الهلالي إلى الخراجي، ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص90

خسائر بسبب الأزمات الاقتصادية، والهدف هو تشجيع الفلاحين على زراعة الأرض وتحسين الإنتاج، وتعويض خسائرهم، وزيادة الدخل إلى الخزينة[1].

4. الصادرات والواردات

لقد قسم المخزومي واردات الدولة الفاطمية المالية إلى ثلاثة أقسام :

أ) المال الخراجي وهو ضريبة على المنتوج الزراعي عامة ويشمل النخل والكروم والبساتين

ب) المال الهلالي ويشمل الجزية والزكاة والرباع واعتبرت هذه الموارد موارد شرعيه.[2]

ج) ما يستأدى من تجار الروم وفيه حكمان: من ورد في البر وينضم حسابه لمده اولها محرم واخرها ذو الحجه، واما من يرد في البحر فيستحسن لنضم حسابه "ان يكون لحول اوله من الشهور العربي ما وافق افتتاح البحر من شهور القبط".[3] واعتبرت هذه الموارد موارد شرعيه.

تجلى النشاط التجاري في الدولة الفاطمية بمجالين هما:

التجارة الخارجية

نشطت التجارة الخارجية في الدولة الفاطمية في أيام الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله حيث خرجت القوافل التجارية تجاه بلاد الحجاز والشام والمغرب العربي[4]. ثم اتسعت التجارة

---

(1) المقريزي، الخطط، ج2، ص34-31؛ حمادة، الوثائق، ص162-158.

(2) المخزومي، المنهاج، ص34؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص322-321. לסטר אילה ،היבטים טיפולוגיים מן התקופה הפאטמית ، חיפה 2011،עמ' 23.

(3) المقريزي، الخطط، ج1، ص103؛ أيمن سيد الدولة ألفاطميه،ص322.

(4) البراوي، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، ص 199.

الخارجية لتصل إلى بلاد ودول أسيوية وأوروبية، حيث استورد الفاطميون البهارات والفلفل من الهند، كما استوردوا مواد أخرى من الصين لتطوير صناعتهم، أما من الدول الأوروبية فقد استورد الفاطميون مواد الخام المختلفة مثل الحديد والخشب وبضائع وسلع أخرى لازمة للصناعة المصرية، حيث كانت علاقات تجارية بين مصر الفاطمية والدول الأوروبية، فقد تم تصدير الخشب والمنسوجات المصرية للدول الأوروبية، خاصة إيطاليا، من جهة أخرى استوردت الدولة الفاطمية الحديد ومشتقاته عن طريق الموانئ المصرية وأهمها ميناء الإسكندرية الذي شهد حركة تجارية كبيرة في تلك الفترة (1).

لا بد من الإشارة إلى العلاقات التجارية بين مصر وبين الدولة البيزنطية في العصر الفاطمي الثاني. رغم اختلاف المواقف السياسية والتباين في وجهات النظر بين الدولتين، حيث استورد البيزنطيون المنسوجات الصوفية المصرية من مصانع دمياط وتنيس، وصدروا لها بعض السلع والبضائع(2). ومن الجدير ذكره، أن الدولة الفاطمية وفّرت الحماية والأمن والاستقرار للتجار الأوروبيين والروم والبيزنطيين وأقامت لهم وللتجار القادمين من الشرق الإسلامي الفنادق والقياسر وهذا ساهم في تطور التجارة الخارجية وانتعاشها3.

ذكرت وثائق الجنيزا أن التجارة الخارجية في عهد الخليفتين تطورت بفضل تطور أسطول مصر التجاري وأوردت هذه الوثائق أنواع السلع المستوردة من خارج مصر مثل: البخور، العطور، الفلفل، النبيذ، المستكا، العسل، الزيت، الجبن والألومنيوم(4).

دور الوكالة والضرب

(1)البراوي، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، ص 214.

(2) المقريزي، خطط، ج 2، ص 95؛ سرور، الدولة الفاطمية، ص 157.

(3) أوراق الجنيزا قسم المخطوطات والوثائق، جامعة القدس، وثيقة رقم: TS13JT8.8.

(4) أوراق الجنيزا قسم المخطوطات والوثائق، جامعة القدس، وثيقة رقم: TS12.290.22.

لقد تم انشاء دور وكالة وضرب أيام الخليفتين: الأولى أنشأها الوزير مأمون البطائحي في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله سنة 516هـ/1122م، في القاهرة قرب الجامع الازهر، وقد خدمت هذه الدار التجار العراقيين والشاميين في أمور المعاملات الاقتصادية والتجارية [1].

كما أنشئت الدار الأمرية، وامتازت بأن دينارها يعتبر أعلى عيارا من جميع ما يضرب في الأقطار الإسلامية. وقد تم بناء الدار الأمرية في مدينة القاهرة، كونها مقرّا للخلافة الفاطمية [2].

وأنشئت دور أخرى على يد الوزير مأمون البطائحي في قوص والإسكندرية والفسطاط وعسقلان وصور، واستمرت دور الضرب هذه بالعمل حتى سقوط الخلافة الفاطمية [3].

وكذلك أقيمت في مصر في نفس الفترة الوكالات، وهي كالفنادق في عصرنا هذا لكن أقل تطورًا وأبسط عمرانًا، واستخدمت هذه الوكالات كدور سكن ينزل بها التجار القادمون من الدول الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية وإيطاليا والدول الأوروبية الأخرى وقد أقيمت هذه الوكالات في المدن الرئيسية كالقاهرة والإسكندرية سنة 516هـ/1122م [4].

التجارة الداخلية

شهدت التجارة الداخلية نشاطاً ملحوظاً في عهد الخليفتين تجلت في كثرة الأسواق وتعددها، إذ اعتبرت مدن: دمياط، قوص وأسوان من أهم مراكز التجارة الداخلية، حيث تم تعيين عرفاء للأسواق وتنظيم ومراقبة الأسعار والمكاييل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر الأمان

(1) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص 92؛ ايمن سيد، الدولة الفاطمية، ص 169.

(2) المقريزي، اتعاظ، ج3، ص 54؛ أيمن سيد، الدولة الفاطمية، ص 17.

(3) المقريزي، اتعاظ، ج3، ص 92.

(4) المقريزي، خطط، ج2، ص 93؛ سرور، الدولة الفاطمية، ص 159. לב יעקב ،המדינה הפאטמית،הוצאת הקובוץ המאוחד،תשע"ז עמ 150-143.

والعدل في الدولة وتشجيع أصحاب رؤوس الأموال، كل ذلك أدى إلى انتعاش التجارة الداخلية، وتحسن الأوضاع الاقتصادية وتطور الأسواق وزيادة ثروات الدولة[1].

إن التجارة الداخلية تجلت في تعدد الانتاج مثل منتوجات النسيج والزيت والبهارات والكتب والجواهر والفضة والبخور وتنوع السلع والحاجيات والفواكه والخضراوات والحبوب والأجران وأواني الفخار، إن تعدد الأسواق ميزت التجارة في مصر حيث ذكر ابن المأمون أن عدد الأسواق في العصر الفاطمي الثاني بالمئات [2].

القياسر (القيسرية)

القياسر هي مجموعة من المباني العامة، وبها حوانيت ومخازن وسكن، وفي بعض القياسر مساجد وأماكن إقامة للتجار والصناع[3].

قيسارية ابن أبي أسامة: شيدت سنة 518هـ/1124م، تقع بجوار الجملون الكبير، على يسار طريق ما بين القصرين[4] وقد أوقفها: ألشيخ الأجل علي بن أحمد بن الحسن بن أبي أسامة صاحب ديوان الإنشاء في أيام الخليفة الآمر بأحكام الله، وتوفي ابن أبي أسامة سنة 522هـ/1128م[5].

---

(1) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص 30.

(2) ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، القاهرة، 1983، ص29.

(3) المقريزي، خطط، ج2، ص 11؛ سرور، الدولة الفاطمية، ص 159.

(4) المقريزي، الخطط، ج2، ص 86؛ محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية،ص61.

(5) السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص184.

5. الأوزان والمكاييل

الأوزان: تنوعت وحدات وزن وكيل البضائع في مصر في العهد الفاطمي، فوحدات الوزن كالآتي: الرطل المصري[1] ويساوي (12) أوقية ويساوي كذلك 100/1 من القنطار[2]، أي (437.5)غم وخصص لوزن: النحاس الأصفر، والأحمر والكبريت الأصفر، والزئبق . عرفت مصر الفاطمية الرطل الجروي، ووُزِنَ به كلّ من: الفستق، والجوز، والسكر، والثوم، والمحلب، والسوس، والعسل، والكتان المغزول والصوف المنفوش المندوف ولبان العلك[3]. كما استخدم الفاطميون في مصر وزن القنطار الجروي ويساوي (100) رطل جروي[4]. وفيما يتعلق بزهر البنفسج، والزعفران، وزر الورد واللازورد، فوُزن بالمنّ[5] الذي يساوي (814) رطل[6].

المكاييل: استخدم المصريون المكاييل في العصر الفاطمي لكيل الحبوب: القمح والشعير والطحين، والبقول. ومن وحدات الكيل المستخدمة(الحِمل): وقد بلغ وزن القمح منه والطحين (300) رطل=(135) كغم[7]، في حين بلغ وزن حمل الفلفل (500) رطل (225) كغم وحمل القطن المندوف بلغ وزنه(1/3 الـ 553) رطل يساوي (249) كغم، وحمل الكتان وخشب الصباغة (600) رطل يساوي 270 كغم[8].

---

(1) المخزومي، المنهاج، ص 29؛ ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص9؛ المناوي، النقود والمكاييل، ص41.

(2) ابن مماتي، قوانين، ص362؛ هنتش، المكاييل، ص19، 30-31

(3) المصدر نفسه، ص361.

(4) هنتش، المكاييل، ص40.

(5) ابن مماتي، قوانين، ص362.

(6) المسبحي، اخبار مصر ص 13-ص 17؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 5، ص 33؛ هنتش، المكاييل، ص 27.

(7) هنتش، المكاييل، ص46.

(8)هنتش المكاييل، ص27 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص33.

كما استخدم فلاحو مصر: التليس للقمح والشعير[1] يساوي ويزن (150) رطلا مصريا، وكذلك أُستخدمت القُفّة[2] للقمح والبَطة للطحين وتساوي (17 1/2)كغم[3].

وبالنسبة للإردب فهو مكيال مصري للقمح والشعير[4] فاستخدم للكيل وبلغ وزنه في العصر الفاطمي (73.125) كغم من القمح، ويقل وزن الأردب في مادتي الشعير والذرة[5].

كما استخدم المصريون الوقية وهي تزن (37.5) غم أي: (10) دراهم+ (1/3+1/2) أقل من 11 درهما في حين استخدمت "الكيلة" لوزن الشعير أو نخالته وتساوي (716.83) غم[6]. أمّا السوائل كماء الشرب فكان يتم نقله بواسطة القرب الجلدية على البغال أو الجمال[7]، لسقاية الناس في المدن والقرى، كما نُقل القُطران بها حيث بلغ وزن الواحدة منها (280) رطل جروي.

أمّا بالنسبة للزيوت والعسل فاستخدم لكيله: زير العسل[8]، الظرف ويزن (5) أرطال، أمّا الوقيّة[9] فتساوي (11.6) كغم قمح، و(150) رطل رومياً[10].

وفيما يتعلق بالتبن النقي والخيش، فكان يُكال ويوزن بالشلف[11]، وبلغ وزن الواحدة (360) رطل مصري، كما وُجِدَ كيلٌ يُسمى الغرارة وهي: العدل من صوف أو شعرٍ ويساوي

---

(1) المسبحي، أخبار مصر، ص73.

(2) ابن مماتي، قوانين، ص365؛ هنتش، المكاييل، ص60.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص197؛ هنتش، المكاييل، ص58-59.

(4) المخزومي، المنهاج، ص29؛ المسبحي، أخبار مصر، ص72؛ هنتش، المكاييل، ص19.

(5) الشربيني، هز القحوف، ص36، 90؛ هنتش، المكاييل، ص65، 72.

(6)المصدر نفسه، ص 70.

(7) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص207-208؛ المسبحي، أخبار مصر، ص63؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص33.

(8) المقرزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص382.

(9) ابن مماتي، قوانين، ص277.

(10) هنتش، المكاييل، ص80.

(11) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص382.

(1/2 1) أردب من القمح كما كان يُكال بها زِبلُ الأفران[1]، وفيما يتعلق بوحدات الأطوال: للأرض وللمنسوجات في مصر الفاطمية فاستخدم الجريب كمقياس للأرض المزروعة بكل من: كروم العنب والتين، الرطب، وللزعفران، ويساوي (60×60) ذراعاً، أي يعادل (1592م^2) والفدان هو الأكثر شيوعا كوحدة مساحة في مصر، ويعادل (6368م^2) [2].

وبالنسبة إلى الأرض المحوّطة بجدارٍ وفيها أشجار متفرقة ويتمكن الفلاح من الزراعة في وسطها فهي البساتين[3]. والأرز وأرضه عُرفت بـ"شكارة الأرز" ويبلغ ناتجها خمسة أرطال منه[4].

استخدم الفاطميون في مصر وحدات قياس خاصة للمنسوجات: الباع[5] ويساوي ثلاثة أذرع تجارية، والذراع أساسه مقياس النيل في جزيرة الروضة، ويساوي (54.04سم[6] وقيس به: الأقمشة بأنواعها والرخام والحصر[7]، والحبال المفتولة أما قماش الحرير البز والذي يباع في أسواق القاهرة المعزية، فبلغ طول ذراعه (58.187سم).

وقد شاع في مصر استخدام الذراع العمل في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله وتساوي (66.5 سم[8].

---

(1) الشربيني، هز القحوف، ص93. والفدان هو مقدار ما يحرثه رأسين من البقر في اليوم الواحد في الأرض اللينة.

(2) ابن نجيم، الرسائل الزينية، ص138؛ هنتش، المكاييل، ص96.

(3) المرجع نفسه، ص98

(4) ابن مماتي، قوانين، ص363-364.

(5) هنتش، المكاييل، ص82-83.

(6) المخزومي، المنهاج، ص29.

(7) هنتش، المكاييل، ص84.

(8) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص188؛ هنتش، المكاييل، ص89،91.

رابعاً: الموارد المالية للدولة الفاطمية

من أهم واردات الدولة الفاطمية:

1. الخراج: اعتبر الخراج ضريبة شرعيه أساسيه فرضت على الأراضي الزراعية، للسكان غير مسلمين. وهناك اعتبارات يجب مراعاتها عند تقدير الخراج مثل مساحة الأرض وطرق الري ونوع المنتوج الزراعي ومدى منسوب نهر النيل.[1]

لم تدفع ضريبة الخراج كلها نقدا، فقد دفع بعضها عينا بالحاصلات. وفي فتره المجاعات حدث اضطراب في جباية الخراج في نهاية العصر الفاطمي كانت ثلاثة ارادب لكل فدان من الحبوب.[2] تجدر الإشارة الى ان خراج مصر سنه 515هـ/540هـ (1121-1145م) لم يزد غير، 1,200,000 دينار.[3]

2. العشور: ضريبة يدفعها التجار على بضائعهم، والذين يصلون إلى البلاد الإسلامية بحرا أو برا، وتبلغ 10% من قيمة البضاعة[4] ويدفعها التاجر الواصل لمصر الفاطمية مرة واحدة في الحول (السنة القمرية)، وكانت هذه المعاملة بالمثل بين الفاطميين وغيرهم من دول الغرب أي منْ توجد معهم معاهدات، وإذا أقام التاجر مدة أكثر من الحول فإنه يدفع ضريبة عن بضاعته

---

(1) الماوردي، الإحكام السلطانية، ص31؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص236.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص452؛ الصاوي، مجاعات، ص134.

(3) المقريزي، الخطط، ج1، ص100؛ الصاوي، مجاعات الدولة الفاطمية، ص141.

(4) يحيى بن آدم، الخراج، ص70.

نصف العشر، والسبب أنّه يتحول من الناحية القانونية من معاهد إلى ذمي[1]. وتؤخذ الضريبة لصالح الديوان، من تجار الروم والحبشة واليمن والمسلمين كافة[2].

3. **الخمس**. يطلق عليها هذا الاسم من قيمتها 5/1 الأصلية وتفرض على جميع بضائع التجار الأجانب الواردين للموانئ المصرية وتتراوح قيمته ما بين (35–100) دينار وقد تخفض إلى (20) دينار. ويلاحظ أن تجار الروم يؤخذ منهم (1/10) بدلاً من (1/5) عن البضائع التي معهم ويشترط وجود اتفاق مسبق[3].

4. **الزكاة (النجوى)**. من الموارد المالية للدولة الفاطمية في مصر، ويدفعها التجار الواصلين في المراكب الرومية والإسلامية من المسلمين عن: عيون التجارة وزكاة الغلات والمواشي[4]. كما أخذتها الدولة من الحجّاج المغاربة عند وصولهم إلى ميناء الإسكندرية دون مراعاة لمرور الزمن الشرعي، اثنا عشر شهراً، واكتفت باكتمال النصاب الشرعي وحلف اليمين من صاحب العلاقة[5]. يلاحظ كذلك أنّ الدولة أخذت الزكاة من الحجَاج أثناء انتقالهم بالمراكب النيلية وصولاً إلى قوص، وقد أزعجت تصرفات أعوان الزكاة الحجاج المغاربة، فيصفهم الرحالة ابن جبير بقوله:" وكان أعوان الزكاة يقومون بإدخال الأيدي إلى أوساط التجار فحصاً... ويبدهم المسال الطويلة، فلا يتركون عكماً ولا غرارة إلاّ ويتخللونها بتلك المسال الملعونة[6].

---

(1) أبو يوسف، الخراج ص132–137؛ يحيى بن آدم، الخراج، ص172–173.

(2) المخزومي، المنهاج، ص9؛ ماجد، نظم الفاطميين، ص119.

(3) ابن مماتي، قوانين، ص362.

(4) المخزومي، المنهاج، ص42–43؛ ماجد، نظم الفاطميين،، ص، 120.

(5) ابن جبير، رحلة، ص12–13.

(6) ابن جبير، رحلة، ص35.

الزكاة هي ركن من أركان الإسلام يجب في الأموال النامية التي مضى عليها حول كامل، وهذه الاموال تقسم الى قسمين:

أ) المال الظاهر ويشمل المواشي والزروع والثمار

ب) المال الباطن ويشمل أرباح ألتجاره والذهب والفضة.

وفي الدولة الفاطمية تم تعيين نقيب يجمع مال الزكاة ويدفعها للدولة الفاطمية.[1] لقد عرفت الزكاة "بالنجوى" من قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم "يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة".[2]

5. **المواريث الحشرية**. من الموارد المالية لخزينة الدولة الفاطمية، هي تركات مَنْ يموتون من الناس ولا وارث لهم حاضراً أو غائباً فتركتهم جميعاً تؤول لبيت المال، كما يضاف لها أنّ أمناء الحكم بالباب كانوا يأخذون (1/4) العشر من ثمن مبيع التركة، وأول مَن أوجد ذلك أمير الجيوش بدر الجمالي وقد ألحقَ هذا التشريع ضرراً بأهل مصر، مما استدعى تدخل الفقيه المالكي أبو بكر محمد بن محمد القهري الطرطوشي الأندلسي في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، ووزيره الأفضل بن بدر الجمالي وأمرا بضرورة إلغاء ما تقدم، وذلك في شهر شوال 516هـ/1122م[3]، وحينما صدر القرار كان في أمانات ديوان الجوالي والمواريث الحشرية (130.000) دينار، كانت تؤول كلها لصالح خزينة الدولة قبل ذلك التاريخ[4].

---

(1) الماوردي: الأحكام ألسلطانيه،ص98؛سيد،ألدوله ألفاطميه،ص340.

(2) القران الكريم، سورة المجادلة، ايه 12.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص188، 200-201. יהושע פרנקל،חדירת של הבדוים לארץ ישראל בתקופה הפאטמית،חיפה،1987.

(4) ابن ميسر / المنتقى، ص83-84؛ ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص92؛ حمادة، الوثائق السياسية، ص169-171.

6. **المكـوس الديوانيـة**: وتفرض علـى البـضائع الواصـلة للدولـة وكانـت تعتبـر مخالفـة للـشرع الشريف، إذ أنّ الدولة كانت تحتكر الاتّجار بها، وهي ضرائب عالية القيمة، وتفرضـها الدولة حينما لا تفي جباية الأموال بنفقاتها، فتُفرض علـى التجار والأسواق مما يؤدي إلـى الكساد وارتفاع أسعار السلع في أسواق الدولة[1]

تحصّل المكوس لصالح الديوان" الخليفة" أو لأصحاب القطاعات ويشرف علـى جبايتها ديوان الخراجي والهلالي[2] ومنها ما يُحصل في الحدود البرية، أو الموانئ، وقد دفعها التجار القادمين من: انطاكية وجبلة والشام، وتجار الروم، وتجار صقليا، وأقريطش (كريت)، في موانئ عيذاب، وتنيس ودمياط، والإسكندرية، والقلزم[3].

وبالنسبة للبـضائع التـي أُخذت عليهـا المكـوس، شـملت: القمـح، والفلفـل، والـسكر، والملـح، والبرغـل، والأسـماك، والطيـور، والنـسانيس، والحريـر، والـصوف، والحديـد، والزفـت، والمـسامير، والأخشاب[4]. أيّ أنّ الدولـة الفاطميـة أخذت المكـوس علـى كل مـا يُبـاع ويشتري حتـى علـى مـاء الشرب في نهر النيل[5].

ويلاحظ أن الفاطميين أخذوا المكوس من حجّاج بيت الله الحرام القادمين من المغرب إلـى مصر، فدفع كل حاج منهم (7 1/2) دينار عن نفسه في ميناء عيذاب قُبيل مغادرتهم لميناء جدّة الحجازي[6]. وقد بلغت قيمتها ما بين (10%–25%) من قيمة البضائع[1].

---

(1) ابن خلدون، العبر، ج2، 732؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا،، ج2، ص18، 34

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص93.

(3) ابن جبير، رحلة، ص28–42؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص33.

(4) المخزومي، المنهاج، ص9–22.

(5) ابن جبير، رحلة، ص29.

(6) ابن جبير، رحلة، ص28.

وحينما استقل الخليفة الآمر بأحكام الله بالسلطة في الخلافة عيّن في سنة 519هـ/1125م صاحبي ديوان، لاستخراج ما يجب من: زكاة ومكس، الأول مسلم وهو: جعفر بن عبد المنعم بن أبي قيراط والثاني يهودي سامري أبو يعقوب إبراهيم(2)... وثالث مسيحي راهب مستوفٍ (كاتب في الديوان) وهو أبو نجاح بن قنا[3]، ولقبه الخليفة بـ "الأب القديس، الروحاني، النفيس، أبي الآباء، سيد الرؤساء مقدّم دين النصرانية، وسيد البطريركية، ثمّ صدرت الأوامر بتمكينه من الدواوين وضبط الحواريين، فقام بمصادرة (100.000) دينار من النصارى الأقباط، كما صادر أموال القضاة والكتّاب والشهود، والسوقة. وأحدث رسوم لم تكن موجودة فخرج التجار من البلد، وكانت النتيجة أن ضجّ الناس، فحقق الخليفة الآمر بأحكام الله بالأمر، ثم أمَرَ والي مصر بأخذه إلى الشرطة وضربه بالنعال حتى الموت، ثم طُرحت جثته في النيل ثم سحبها الماء إلى البحر المتوسط وذلك سنة 523هـ/1129م(4).

7. **الجوالي/ الجزية.** الجوالي جمع جالية ضريبة مفروضة على النصارى واليهود طالما لم يسلموا وقد ذكر غوتين أن الجالية كانت تجبى على من يبلغ 9 سنوات فما فوق، وتعتبر من المواد المالية للدولة الفاطمية.[5] فُرضت الجزية على أهل البلاد التي فتحها المسلمون عنوة أو صلحاً، وأستند الفاتحون في ذلك إلى الآية القرآنية الكريمة:

بسم الله الرحمن الرحيم: "**قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ**

---

(1) ماجد، نظم الفاطميين، ص119 - 121

(2) المقريزي، الخطط، ج2، ص291.

(3) من أشمون طناح قرب دمياط ثم قدم القاهرة واتصل بخدمة يوحنا بن أبي الليث كاتب المجلس. المقريزي؛ اتعاظ الحنفا، ج2، ص223.

(4) سيد، الدولة الفاطمية، ص174 - 175

(5) Cotein, vol. 11, p. 383; أيمن سيد، الدولة الفاطمية، ص 336.

صَاغِرُونَ"[1]، فالجزية دفعها الرجال في شهر المحرّم من كل عام[2]، وأعفي منها النساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم[3]، وقد تدّرج الفاطميون في أخذها من الأقباط في مصر حسب طبقاتهم الاقتصادية فتمّ التفريق بين الأغنياء ومتوسطي الحال، والفقراء من الناس، فبلغت دينار ثُمّ ثلث دينار ، ثُمّ ربع دينار . وذلك سنة 466هـ/1073م[4].

كما قدّم بطاركة الأقباط احتجاجًا على دفعهم للجزية فقالوا: " إنّ مَنْ يرفض العالم، ويسكن بالجبل، لا يجب أنْ يُلزم بخراج ولا جزية"[5]. أمّا في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، فقد جمع أحد موظفي "ديوان الجوالي والمواريث الحشرية"[6] الجزية من الأقباط بما فيهم الرهبان الذين أجبروا على دفع الجزية عن الفقراء من أبناء طوائفهم[7]، وبلغت القيمة المالية لها: دينارين ثُمّ دينار واحد، ثُمّ ثلثي دينار[8]، وقد خصصت الدولة لمشارف الجوالي مبلغاً مالياً شهرياً يتراوح ما بين (20-15) ديناراً[9]. وفي عهد الخليفة الحافظ لدين الله، أمر الوزير رضوان بن ولخشي بأن لا تؤخذ الجزية من النصارى إلاّ على مساطب وهم أسفلها، كما وضاعف عليهم الجزية فبلغت (1/6. 4) دنانير ثم دينارين، ثم ثلاثة دنانير وذلك سنة 531هـ/ 1137م [10].

---

(1) القرآن الكريم، سورة التوبة، آية 29.

(2) ابن مماتي، قوانين، ص317-319.

(3) ابن عبد الحكيم، فتوح مصر ، ص205؛ يحيى بن آدم، الخراج، ص70-73.

(4) ساويرس، تاريخ البطاركة، م2، ج3، ص218؛ المخزومي، المنهاج، ص26.

(5) ساويرس، تاريخ البطاركة، م2، ج1، ص47.

(6) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص20؛ ساويرس، تاريخ البطاركة م2،ج3، ص218.

(7) ساويرس، تاريخ البطاركة،م2، ج2، ص129.

(8) ماجد، نظم الفاطميين، ص119-120.

(9) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص50-84.

(10) المقريزي، المنهاج، ص35؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2،ص247؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص198-199.

8. المصادره. هناك موارد غير منتظمة في مصر الفاطمية وهي المصادرة، بدأت في عهد الخليفة العزيز اذ صودرت أموال الوزير يعقوب بن كلس سنه 373هـ/984م وقدرها خمسمائة ألف دينار.[1]

استمر نظام المصادرة في عهد خلافة الحاكم بأمر الله، وكثرت المصادرات أيضا في عهد الوزير الحسين بن محمد الجرجرائي (سنه439-441هـ/1047-1049م) وشملت الأموال والأملاك. أما في عهد خلافة الأمر بأحكام الله فاستمرت المصادرات على يد الراهب المعروف بابي نجاح بن قنا ،وشملت المصادرات أموال النصارى وغيرهم. واستمر الراهب بهذا العمل حتى قتل بأمر الخليفة سنه543هـ/1129م. [2]

9. الرباع. هي مساكن مشتركة يسكنها أكثر من أسرة وكانت تؤجر للسكنى، إن الخليفة الآمر بأحكام الله أصدر منشورًا في شهر رمضان المبارك سنة 517هـ/1123م بإعفاء كافة سكان الباع السلطانية بالدولة من دفع الأجرة اجلالاً لشهر رمضان.[3]

---

(1) النويري، نهاية الارب، ج26، ص48؛ ايمن سيد، الدولة الفاطمية، ص305.

(2) ابن ميسر، المنتقى من اخبار مصر، ص83-ص115، النويري نهاية الارب، ج26، ص86.

(3) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 92؛ أيمن سيد، الدولة الفاطمية، ص 342.

الفصل الثّالث

الحياة الاجتماعيّة في عهد الخليفتين: الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله

أوّلاً: الفئات الاجتماعيّة

ثانيًا: فئات السّكّان من حيث الدّين

ثالثًا: فئات السّكّان الحرفيّة

رابعاً: الاحتفالات والأعياد

خامسًا: عوامل عدم الاستقرار الاجتماعيّ

أوّلاً: الفئات الاجتماعيّة

تميّزت الحياة الاجتماعيّة في مصر في العصر الفاطميّ بمظاهر خاصّة، حسب ما أورده المقريزي بذكر التّقص في تشييد القصور، وخزائن الفرش والأمتعة والشّراب والجواهر. لقد تميز العصر الفاطمي في عهد الخليفتين الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله بالتّفنّن في العمارة والهندسة والزّخرفة والملبس والشّراب، وإقامة الأسمطة في الأعياد والاهتمام بالبساتين والأسوار، وكلّ ما يتعلق بالمظاهر الاجتماعية من جميع نواحي الحياة[1].

أجمعت المصادر التّاريخية على تقسيم المجتمع المصريّ إلى فئتين اجتماعيّتين:

أ. الفئة الخاصة وتضم الأسرة الحاكمة والأشراف وأصحاب الوظائف والسّيوف والأقلام والدّواوين والمراكز الدّينيّة.

ب. **فئة العامة:** تشمل هذه الفئة أصحاب الصناعات والحرف، والتّجار والباعة وطلاّب العلم والفقهاء، والعبيد وأهل الذمة والمرأة. ويشار إلى تعدّد آراء المؤرّخين بالنّسبة لتقسيم المجتمع الفاطميّ إلى فئات اجتماعية وعرقية، حسب ما أورده المقريزي، في كتابه **إغاثة الأمّة بكشف الغمّة**، رغم أنّ المقريزي لم يحدد في تقسيمه عصر إسلامي معين، فإنّ هذا التقسيم يلائم العصر الفاطمي بدقّة متناهية، إذ قسم المجتمع بمصر إلى سبعة أقسام وهي[2]:

1. الأسرة الحاكمة (أهل الدولة).

---

(1) المقريزي: خطط، ج1، ص416– ص418؛ زكي حسن، كنوز الفاطميين ص74:

Stanley Lane – Poole, salah El Din and the fall of the Kindgom Jerusalem. Pp. 86-88.

(2) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، تونس، 1978، ص555. المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص126؛ سلطان، المجتمع المصري، ص 26.

2. الصناع والتّجار.

3. الباعة ومتوسّطو الحال.

4. أهل الفلح وهم أهل الزّراعات والحرث، سكّان القرى والريف.

5. الفقراء وهم طلاب العلم والفقهاء وكثير من أجناد الحلقة والشهود.

6. ذوو الحاجة والمسكنة وهم المتسوّلون[1].

يستشفّ ممّا ذكر سابقًا أنّ المقريزي نظر نظرة شاملة للمجتمع المصريّ، ولم يغفل عن أي عنصر من عناصر المجتمع المصريّ، وهذا وصف موجز لهذه الفئات:

1. الأسرة الحاكمة (الفئة الخاصة)

الأسـرة الحاكمـة: مثلت هذه الفئـة قمـة الهرم فـي المجتمـع الفاطميّ بسيطرتها علـى السيادة والموارد الاقتصادية وكانت لها صلاحيات واسعة، وقد دأب أهل الدّولة على توطيد حكمهم وحرصوا على إبراز مظاهر الأبهة والعظمة والجلال، ممّا جعل العامة يقابلونهم بالخنوع وتقبيل الأرض خوفًا ورهبة[2]. وكان الخلفاء الفاطميون على راس هذه الفئة ويستمدون قوتهم السياسية من انتسابهم لآل البيت بل كان الفاطميون يعتقدون أن الخليفة الفاطمي يأتي بعد الرسول مناشرة بالمنزلة[3].

وكذلك إمتازت هذه الفئة ببناء القصور والأسوار والأبواب والجوامع والمناظر، وامتلاك الثروات الطّائلة والإقطاعات الواسعة، التي ساعدتهم للقيام بمشاريع خيرية تتّسم بطابع الإنسانية.

---

(1) المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ج2، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 1359هـ / 1940م، ص72-73؛ عبد المنعم سلطان، المجتمع المصري، ص24 – 26.

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان، بولاق، 1310هـ / 1892م، ج2، ص152.

(3) المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص73 – 74.

حيث ذكر المقريزي أنّ زوجة الخليفة الآمر بأحكام الله كانت صاحبة فضل ولها أثر إيجابيّ بالتّصدّق والبرّ والإحسان وعمل الخير، والاهتمام باليتامى والفقراء والعجائز والأرامل لكن هذا النص فيه مبالغة كبيرة[1].

كما شملت هذه الطبقة كذلك الأشراف الّذين تمتّعوا بمركز اجتماعي له ميزة خاصة من الاحترام والتقدير، فكان الأشراف يتقدمون غيرهم من رجال الدولة في المناسبات والأعياد ومجالس الخلفاء، كان عدد الأشراف في الدولة الفاطمية كبير ويقدر بعشرات الآلاف في عهد الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله، وقد تمتعوا بثراء كبير، إذ امتلكوا الأراضي والضياع والإقطاعات[2].

2. فئة موظفي الدّولة

أ. **الوزراء**: شكّل الوزراء في عهد الخليفتين الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله العمود الفقري للدولة الفاطمية، وذلك بسبب ضعف الخلفاء وصغر سنّهم وكثرة الفتن الطّائفية، ممّا حدى بالوزراء للتدخل في أدق الشؤون الشخصية للخليفة. لقد تمتّع الوزراء في هذا العهد براتب كبير، ومنزلة رفيعة تميزت بحياة البذخ والثراء، وقد منح الوزير لأفراد أسرته ومقربيه أموالاً ومرتبات تتراوح ما بين 200–500 دينار شهريًا[3].

ب. **موظّفو الدّواوين**: تتكوّن هذه الفئة الاجتماعية من كبار موظّفي الدولة العاملين في دواوينها المختلفة، لذلك يطلق عليهم اسم **أصحاب الوظائف الدّيوانيّة**. هذه الفئة تأتي بعد أرباب

(1) المقريزي، خطط، ج2، ص454.

(2) القلقشندي، صبح، ج3، ص496، المقريزي، خطط، ج2، ص544.

(3) ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص28: ابن خلكان، وفيات، ج1/ ص88، المقريزي: اتعاظ، ج3، ص70.

السيوف في الهيكل الوظيفي، خاصّة في عهد الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله، حيث أصبح الوزير صاحب السيف والقلم. ترأس هذه الفئة. صاحب ديوان الإنشاء، وكانت أهمّ وظائف أبناء هذه الفئة تتلخّص بتسلّم المكاتبات الواردة للخليفة، وعرضها عليه. وقد سكن كاتب الإنشاء الذي تميز بإتقان اللغة العربية وبلاغتها، في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله بمنظره الغزالة على الخليج نظراً لأهمّيّته في الدّولة. وقد اهتمّ أبناء هذه الفئة بتعليم أبناء الفئة الخاصة والنظر بشئون دواوين الدولة بجميع نواحيها[1].

ج. **أرباب الوظائف الدّينيّة:** تتألّف هذه الفئة من رجال الدّين وأصحاب العمائم التي تميزهم عن الطوائف الأخرى، ومن أهم الوظائف لأبناء هذه الفئة: أ. القضاة. ب. الأئمة. ج. المؤذّنون. د. شهود العدل. هـ. الخطباء. و. الدعاة. ز. المحتسب. و. وكيل بيت المال.

تمتعت هذه الفئة بكلّ ما تحتاجه من موارد مالية، اقتصادية، كسوات من أفخر الملبوس، هبات، رواتب وخدمات صحية واجتماعية لا مثيل لها[2].

د. **فئة العلماء والفقهاء:** إهتمّ الخليفتان بالعلماء والفقهاء، حيث شكلت هذه الفئة عنصرًا هامًّا في المجتمع الفاطمي، وتمّ صرف رواتب شهرية لهم وأنشئت لهم دور للسّكنى[3]. إهتمّ الخليفتان بمركز العلماء والفقهاء، اذ تمّ توسيع المكاتب وتشجيع الخطاطين والقراء وعلماء الفقه والنحو واللغة والحديث والتاريخ والفلك والفيزياء والكيمياء [4]، ورغم مكانة العلماء، إلا أن القليل منهم كان يتمتع بالثروة والنفوذ، وأهمّ من ظهر في هذه الفترة أبو القاسم بن علي المنجب الصّيرفيّ الذي تولّى ديوان الإنشاء في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، وبقي في هذا المنصب حتى

(1) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص91؛ الخطط: ج1، ص469.

(2) المقريزي، الخطط، ج1، ص298.

(3) ابن ابي صبيعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج 2 ص 105.

(4) عارف تامر، موسوعة الخلفاء الفاطميين، الآمر بأحكام الله ص 15.

سنة 536هـ/1141م وتوفي في عهد الحافظ لدين الله سنة 542 هـ/1147م[1]، وقد صنف المقريزي فئة العلماء من طبقة الفقراء بسبب معاناتهم وسوء أحوالهم [2].

هـ. فئة العامة:

أما الفئة العامّة فتمثل معظم السكّان في مصر ولا دخل ثابت لها، مثل: الصناع، التجار، الفلاّحون، وأصحاب المهن والضياع، تعتبر الفئة العامة بأصنافها المختلفة، فئة منتجة لكنها مغلوبة على أمرها، محكومة للسلطة اقتصاديًا وسياسيًا. لم تتمتّع هذه الفئة بحرّيّة التّعبير عن الرّأي [3].

يمكن أن نميّز من فئة العامة الفئات الاجتماعية الآتية:

فئة الصناع:

اشتهر الفاطميون بما قدموا للعالم من صناعة، بفضل مهارة فئة الصناع وجودة الصناعة .واهم الصناع برعوا في صناعة النسيج والسكر والورق والخزف والزجاج وغيرها. تمتعت فئة الصناع في فترة الدراسة ، بحرية العمل في المشاريع الصناعية المختلفة واستعانوا بمهارة الاقباط والعمال الاجانب لزيادة الانتاج وتعدد انواعه .شكلت فئة الصناع العامود الفقري في الاقتصاد المصري. [4]

---

(1) عارف تامر، موسعة الخلفاء الفاطميين، ص 32؛

Goitein, S.D. The Cairo Geniza as a Source for the History of Muslim Civilization, VIII, 1955, pp. 107.

(2) المقريزي: إغاثة الأمة، ص75.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج11، ص103؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص450.

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص141؛ البراوي، حالة مصر، ص123

لقد ذكر المقريزي ان فئة الصناع انشأوا عدة مصانع نسيج لإنتاج الأقمشة الصوفية والحريرية والكتان في منطقة الفيوم ودمياط وشطا وتنس ودبيق. هذا الامر وفر العمل لعدد كبير من افراد المجتمع الفاطمي.[1]

فئة التّجّار:

لقد استفادت هذه الفئة من الأموال وأرباح التجارة بسبب الحركة التجارية النشطة في هذا العصر، وكان التاجر إذا ربح مثلاً ثلاثة آلاف درهم في بضاعته، فرض عليه عشرين مثقالاً من الذهب؛ ثمنا للمؤونة والكسوة[2].

إنّ مهنة التجارة على جميع المستويات والأصعدة نالت مكانة اجتماعية مميزة في العصر الفاطمي، فقد حظي التّجّار بحضور المناسبات العامة، واستقبال الخلفاء، والمشاركة في الأعياد، وقد حظي التّجّار الكبار باحترام الخلفاء وكبار رجال الدولة[3]. وقد تميزت فئة التّجّار بثياب خاصة بهم مثل لبس الثياب الشفافة والعمائم المدورة، وقام بالإشراف على هذه الفئة نقيب أو وكيل ليكون مديرًا لأمورهم وناطقًا باسمهم لدى رجال الدولة إذا دعت الضرورة لذلك[4].

هناك أمور وكوارث طبيعية أثّرت تأثيرًا سلبيًا على التجّار، ويروى انه سنة 504هـ/1110م، هبت بمصر ريح سوداء مظلمة، أدت إلى ظلام دامس ممّا دبّ الرعب في قلوب التّجّار، وأدّى إلى انحسار الحركة التجارية، إلى أن انجلى هذا السواد وظهرت الكواكب

(1) المقريزي، الخطط، ج1، ص45؛ زكي حسن، كنوز الفاطمين، ص150

(2) المقريزي، إغاثة الأمة، ص74.

(3) نفس المصدر، ص28.

(4) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص46؛ الخطط، ج1، ص383؛ ماجد: نظم، ج1، ص76.

وركدت الريح ومال التّجّار إلى الأسواق، والناس إلى منازلهم وتحسنت أحوال هذه الفئة من جديد ولم تحدد الرواية عدد أيام هذه الكارثة أو نتائجها السلبية [1].

لقد تعرّض التّجار أحيانًا إلى السلب والنهب، وقد ذكر المقريزي أنّه سنة 512هـ/1118م تعرّضت قافلة تجاريّة على ساحل البحر الأحمر إلى عملية سلب ونهب من قبل قاسم بن أبي هاشم، صاحب مكّة، ممّا أغاض الآمر بأحكام الله ووزيره الأفضل بن بدر الجمالي، حيث كتب الآمر إلى أشراف مكة وأعلامهم ما فعله أمير مكة، وأمرهم بإعادة المأخوذ من التجّار إليهم حالاً، وفعلاً تمّت إعادة جميع الأموال والبضائع التّي سلبت لأصحابها[2].

مارست هذه الفئة أعمالها بأمن وأمان واستقرار، حتى في زمن المحن والمجاعات، فلم يكن من السهل على الدولة مصادرة أموال التّجّار. لقد اشتهر تجّار هذه الفترة بتجارة الزبيب، والعسل، والحلاوة، والأرز، والكتّان، والحديد، والثياب، والتمور، والملح، والرمان، وقصب السكّر، والأبقار، ومنتوجات الحليب كالسمن والجبنة والصوف والشعر والزيت[3].

هناك ظاهرة محرمة دينيًا استغلها الباعة والتجار في العصر الفاطمي الثاني بسبب ضعف الخلفاء وازدياد نفوذ الوزراء، وهي استغلال فترات المجاعات وقلة المحصول والغلة لاحتكار ما لديهم من بضائع بهدف رفع الأسعار لزيادة أرباحهم على حساب الفئات الفقيرة، وذلك رغم محاولة الدولة الفاطمية تسعير الحاجيات لتخفيف العبء عن العامة أثناء المجاعات والأزمات الاقتصادية[4].

(1) المقريزي، اتعاظ، ج3، ص46-47
(2) المقريزي، اتعاظ، ج3، ص59.
(3) المصدر نفسه، ص80-81.
(4) المقريزي: اتعاظ، ج2، ص247؛ إغاثة الأمة، ص23.

لقد عمل الكثير من العامّة في التّجارة، منهم أصحاب حوانيت صغيرة مخصّصة لبيع سلعة محدّدة، ومنهم من تخصّص في بيع السلع المختلفة، حيث ظهرت حركة تجاريّة نشطة في الأسواق المصرية، وهناك ظاهرة اجتماعية في غاية الأهمية، وهي أنّ الأسواق في العصر الفاطمي أقام بها بعض الأطبّاء لمعالجة المرضى المتردّدين على الأسواق عند الحاجة، هذا الأمر يدل على وجود بعض الاهتمام بالأمور الصحية ومعالجة بعض الحالات[1].

و. فئة الفلاّحين

عانت هذه الفئة الأمرين نتيجة للمحن والشدة الاقتصادية وقلّة ريّ الأراضي، منهم من حالفه الحظ ّوأصبح ثريًا نتيجة ريّ أراضيه في سنوات المحل، فنال من الزّراعة أموالاً طائلة، فتضخمت ثروته[2]. لقد تحدّد مدى أرباح هذه الفئة أو خسارتها، حسب نسبة مياه النيل ونسبة أملاكهم من الأراضي. احترم الأمر بأحكام الله والحافظ لدين الله الملكية الخاصّة للمصريين، فقد تصرّف المواطنون في الأراضي التي تحت أيديهم بالبيع والشراء والوقف، حتى أنّ أهل الذّمّة تمتعوا في هذه الفترة بامتلاك الأراضي، ولم تقع عليهم أية أضرار تذكر إلاّ إذا حدث بعض الأخطاء المالية، ولم يحصل أيّ اعتداء على أهل الذّمّة وأملاكهم، كما كان في عهد الحاكم بأمر الله. لقد شعرت هذه الفئة بالأمان على أملاكها الخاصّة وعلى عقاراتها في عهد الخليفتين الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله[3].

(1) المقريزي، خطط، ج2، ص100.

(2) المقريزي، إغاثة الأمة، ص75.

(3) المقريزي، الخطط، ج4، ص398

لقد تحسّنت أوضاع هذه الفئة في عهد الخليفتين، نتيجة الإصلاحات التي تمّت بفضل الوزراء، وتقليل نسبة الضرائب والخراج على الفلاحة، ممّا أدّى إلى انتعاش الزراعة وإصلاح الترع والقنوات وتعمير الريف، وإصلاح الجسور[1].

ز. فئة العبيد

كان الرّق منتشرًا في المجتمع الفاطميّ، كغيره من المجتمعات في العصور الوسطى، كان سوق العبيد يشهد حراكاً ونشاطاً، ومعظم العبيد كانوا من السّود ومن قوميّات مختلفة تمّ جلبهم من بلاد النّوبة. أمّا في عهد الخليفتين فقد تمّ اصطياد العبيد عن طريق إغرائهم بالخبز والزّبيب والتّين والتّمر، دون أن يكون رغبة للناس بشرائهم. وقد سكن العبيد في حارات خاصّة بهم وتمّ تعيين عريف لكلّ حارة، للإشراف على شئونهم[2].

---

(1) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ج2، ص19-22؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص283.

(2) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ج2، ص19-22..

ثانيًا: فئات السّكّان من حيث الدّين

من النّاحية الدّينية يقسم المجتمع الفاطمي إلى فئتين رئيسيتين وهما:

1. المسلمون: أ. أهل السّنّة. ب. الشّيعة.

2. أهل الذّمّة: أ. المسيحيّون. ب. اليهود.

1. المسلمون

لقد شكّل المسلمون الأكثرية في المجتمع المصري في العصر الفاطمي وانقسموا إلى الفئات التالية:

أ. السّنّة

اعتبر السنه من سواد الشعب المصري وكان رضوان بن ولخشي اول وزير سني يتولى الوزارة للفاطميين، مما ساعد على تحسين وضع اهل السنه بدأ رضوان اصلاحاته باستخدام المسلمين في المناصب التي كانت في ايدي النصارى[1]، واعتبرت الإسكندرية من اهم مراكز السنه في مصر وملجأ لكل الخارجين على الدولة الفاطمية، فقد بنى الوزير رضوان ابن ولخشي مدرسه لتدريس المذهب المالكي سنة 532 هـ/1038م في مدينة الإسكندرية بعيدا عن القاهرة عاصمة الفاطميين، ولا شك ان اقامة مدرسه سنيه هامه في العاصمة الشيعية كان من شأنه قلب التوازن بين الخليفة والوزير، لذلك كان طبيعيًا ان يبني رضوان مدرسته بالإسكندرية وليعلى كلمة الاسلام السنه في مواجهة اهل الذمة والشيعة.[2]

(1) النويري، نهاية الارب، ج 26، ص90؛ محاميد، إحياء السنة في مصر، ص350.

(2) النويري، نهاية الارب، ج 26، ص90؛ محاميد، إحياء السنة في مصر، ص 351.

هناك وزيرا سنيا اخر هو العادل بن السلار قام بإنشاء مدرسه ثانيه بالإسكندرية لتدريس المذهب الشافعي، ان هذا الامر اثار حفيظه الفاطميين من جهة وعزز المركز الاجتماعي والديني لأهل السنه. من الجدير بالذكر ان أهل السنة والجماعة هي أكبر طائفة إسلامية كانت في مصر قبل قيام الدولة الفاطمية التي نشرت التشيّع في المجتمع المصري أثناء الخلافة الفاطمية حتى ظهور صلاح الدين الأيوبي.[1]

ويبدو أن سياسة صلاح الدين كانت تهدف إلى اعادة الهوية السنية المقاومة للصليبين، بعد أن ترسخ في الأذهان تخاذل الفاطميين في مقاومة الغزو الصليبي والفرنجي لبلاد الشام .[2]

ب. الشيعة

لقد بذلت الدولة الفاطمية جهودًا في محو السّنّة ونشر التّشيّع، وكانت خطّتها المتّبعة أنّه في حال غياب الدولة توزّع الدّعاة سرًّا ليقوموا بالدعْوة إلى مذهب الإسماعيليّة الشّيعيّ، وفي حالة أن تكون لهم دولة فإنهم يجعلون الدين الرسمي للدولة هو المذهب الشيعي الإسماعيلي[3].

رأى الفاطميّون بعد أن امتدّ نفوذهم في بلاد المغرب، أنّ هذه البلاد لا تصلح لتكون مركزًا لدولتهم، ففضلاً عن ضعف مواردها كان يسودها الاضطراب من حين لآخر، لذلك اتّجهت أنظارهم إلى مصر لوفرة ثرواتها وقربها من بلاد المشرق الأمر الذي يجعلها صالحة لإقامة دولة مستقلّة تنافس العبّاسيّين[4].

---

(1) النويري، نهاية الارب، ج 26، ص90؛ محاميد، إحياء السنة في مصر ،، ص 352.

(2) المصدر نفسه.

(3) **الإسماعيلية:** وتسمى الإمامية الإسماعيلية، وهم الذين يقولون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، وكان أكبر أولاد أبيه جعفر . وهناك الإمامية الموسوية وهم الذين قالوا بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق وهم الاثني عشرية. وكلا الأماميتين خبيث. تامر ، الاسماعلية، ص91.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3، ص 130؛ جمال الدين سرور ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص59.

ولمّا قبض الحاكم بأمر الله زمام الأمور عمد إلى إصدار كثير من الأوامر والقوانين المبنية على التّعصّب الشّديد للمذهب الفاطميّ، فأمر في سنة 395هـ1004م بنقش **سبّ الصحابة** على جدران المساجد وفي الأسواق والشّوارع والدروب، وصدرت الأوامر إلى العمّال في البلاد المصرية بمراعاة ذلك[1] .

ومن الأسماء الشيعية الشهيرة في العصر الفاطمي وزير الخليفة الفاطمي المستنصر الذي كان يسمّى بدر الجمالي، وكان مغاليًا في مذهب الشّيعة فأظهر روح العداء والكراهية إزاء أهل السّنة، حيث جدّد ما حرص على لعن الصحابة وإضافة عبارة "حيّ على خير العمل للأذان"، وغير ذلك[2].

على الرّغم ما فعلته الخلافة الفاطمية من محاولات للقضاء على أهل السّنّة ومذهبهم، إلاّ أنّ المذهب السّنّيّ ظلّ محتفظًا بقوّته رغم تحوّل بعض المصريّين إلى المذهب الفاطميّ.

ولم يؤثّر قيام الخلافة الفاطمية بغزو أو عمليّات عسكرية ضدّ الفرنجة لتوطيد أركان الإسلام، بل الثّابت تاريخيًا أنّهم كانوا حربًا على أهل الإسلام سلمًا على أعدائه، فهم يضيّقون الخناق على أهل السّنّة ويجيشون الجيوش لإرغامهم على التّشيّع.

2. أهل الذّمّة

أ. المسيحيّون:

تباينت السياسة مع المسيحيين في العهد الفاطمي، فمنهم من استوزرهم، ومنهم من اضطهدهم اضطهادًا شديدًا وعنيفًا، وفي عهد الآمر لأحكام الله عُيّن الرّاهب أبو نجاح بن قنا

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص 166

(2)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 200.

مسؤولاً عن الدّواوين سنة 520 هـ/1126م، ممّا أدّى إلى تذمّر في صفوف المسلمين، وبالإضافة لذلك، تغلغل نفوذ النصارى في وحدات الجيش وصارت لهم قوّة ونفوذ لا يستهان بهما. وفي عهد الخليفة الحافظ لدين الله تمّ تعيين وزير مسيحيّ يدعى بهرام الأرمنيّ، وبقي الحال على ذلك حتّى تقلّد الوزارة رضوان بن ولخشي الّذي حدّد صلاحيّات المسيحيّين في الدّولة.(1) وبرزت مكانة الأردن في عهد الحافظ لدين الله سنة 544هـ/1149م ووصل المسيحيّون إلى أعلى مناصب الدّولة وأرقاها، واستفحل نفوذهم بصورة لم يسبق لها مثيل في الدّواوين وفروع الإدارة، وولاية الأقاليم، والجيش، ومجالات العلم والطّبّ.

شمل الحافظ المسيحيّين بالرّعاية الكاملة، وأحسن إلى كلّ من أخلص له من موظّفيه المسيحيّين، واحترم وقدّر جهودهم الإداريّة والعلميّة، ولم يعارض تقلّدهم أرقى المناصب، إلاّ في آخر فترة خلافته بسبب تذمّر الرّأي العام الإسلاميّ.(2)

فئات المسيحيّة:

1. الأقباط اليعاقبة: كلمة Eqpt يونانية(3)، أطلقت على السّكّان الذين يعيشون في مصر ، وبعد دخول المسيحية إلى مصر انفصل الأقباط عن كنيسة القسطنطينية في مجمع خلقيدونية 451م(4)، وأصبح للكنيسة القبطية تفسيرها الخاص حيث قالت إنّ للسيّد المسيح، طبيعة واحدة

---

(1) القلشندي، صبح الأعشى، ج6، ص 460.

(2)القلشندي، صبح الأعشى، ج6، ص 461.

(3) أبو صالح الأرمني، تاريخ، ص31.

(4) كريمونا" اليعاقبة"، موسوعة الأديان، ص502.

وجوهرًا واحدًا ومشيئة واحدةً إلهيةً"[1] وقد تبنّى هذه الدّعوة الرّاهب يعقوب البراذعي، وبالتّالي عُرف أتباعه باليعاقبة[2].

وللأقباط أديرتهم وكنائسهم في كلّ أرض مصر فمنها: دير البنات ودير الراهبات، ودير بربارة (للرّاهبات)[3]، ودير الشّمع، وكنيسة المعلقة[4]، وكنيسة بطرس الرّسول[5]. وأديرة وادي هبيب[6]، وأديرة وادي النّطرون وهي ما بين رمالٍ منقطعة وسباخ مالحة[7]. ويتكون بناء الدّير من: سور من الحجر، بابه مصفّح بالحديد[8]، بداخله عدّة كنائس، وبيع وقلالي لسكنى الرهبان أو الراهبات، كما في كنيسة الميلاد المقدّس[9]، أمّا دير القصير الحقاني فبداخله عشر بيع[10]، كما يوجد في داخل الدّير: بئر ماءٍ، وساقية، وطاحون للحبوب، ومعصرة للزّيت.

وكان يُزرع في ساحات الأديرة وبساتينها أنواع من الأشجار، ومنها: العنب والزّيتون والنّخيل والتّين والرّمّان والبقول. وكان يدفعون الخراج عن أراضي الكنيسة، فرهبان دير طموية كانوا يدفعون عشرة دنانير في كلّ سنة عن سبعةٍ وأربعين فدّانًا[11]. في حين أنّ رهبان دير

---

(1) ابن البطريق، التاريخ المجموع، ص12؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص500.

(2) ابن البطريق، المصدر نفسه، ص197-195.

(3) المقريزي، الخطط، ج2، ص509، 511.

(4) ابن الراهب، تاريخ أبي شاكر، ص142.

(5) المصدر نفسه، ص122.

(6) تنسب إلى: هبيب بن مغفل. أبو صالح الأرمني، تاريخ، ص29.

(7) قاسم، أهل الذمة، ص124.

(8) أبو صالح الأرمني، تاريخ، ص91.

(9) أبو صالح الأرمني، تاريخ، ص 39.

(10) المصدر نفسه، ص64.

(11) المصدر نفسه، ص85.

العسل لا يدفعون الخراج[1]. وفيما يتعلّق بسكّان الأديرة فهم: رهبان، قدّيسون، نسّاك مجاهدون، علماء[2]، يحتاجون إلى القمح والزّيت والخمر في معيشتهم اليوميّة [3].

وفي عهد الخليفة الآمر بأحكام الله (495-524هـ/1101-1130م) برز الأقباط اليعاقبة كجزء من إدارات الدّولة. فمنهم الكتّاب مثل الشّيخ أبو الأفضل بن الأسقف كاتب الأفضل[4]، وأبو البركات يوحنا الكاتب ابن أبي الليث متولّي ديوان التّحقيق إلى أن قُتل سنة 528هـ/1133م[5]، وأبو شاكر الكاتب الإسكندرانيّ والذي أسلم وختن وعمره أربعون سنة[6]، وأبو اليمن متولّي ديوان أسفل الأرض وابنه أبو المنصور اللّذان عملا مع الوزير الأفضل شاهنشاه[7].

وفيما يتعلّق بفترة الخليفة الحافظ لدين الله (524هـ-544هـ/1130-1149م)، فقد برز في فترة خلافته أبو الفخر كاتبًا للرّواتب في الدّيوان[8]، وهؤلاء الموظّفون الأقباط حافظوا على ديانتهم المسيحية أثناء عملهم في إدارات الدّولة. وفيما يتعلّق بالقرى: فمعظم الأقباط، اليعاقبة[9]، سكنوا بلاد الصّعيد، وقد حافظت قرى الصّعيد على ديانتها ولغتها القبطية[10] وخاصّة أنّه لم يسكن

---

(1) المصدر نفسه، ص113.

(2) المصدر نفسه، ص113.

(3) ابن الراهب، تاريخ أبي شاكر، ص229.

(4) أبو صالح الأرمني، تاريخ، ص44؛ بروكلمان، الشعوب الإسلامية، 254.

(5) أبو صالح الأرمني، تاريخ، ص65-64؛ ابن الراهب، تاريخ أبي شاكر، ص85-84.

(6) أبو صالح الأرمني، تاريخ، ص50.

(7) المصدر نفسه، ص85.

(8) أبو صالح الأرمني، تاريخ، ص33.

(9) نصار، الثورات الشعبية، ص62.

(10) أبو صالح الأرمني، تاريخ، ص97، 111؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص203.

معهم أيُّ غريب. وقرى أخرى عاش بها الأقباط والمسلمون معًا، وتشاركوا في الأفراح والأعياد والأحزان ومنها قرية أسنا[1].

ويتميز الأقباط اليعاقبة في مصر بختانهم للأطفال وبصومهم خمسين يومًا، ويحجّون إلى كنيسة القيامة وكنيسة المهد في الأرض المقدّسة فلسطين، ولهم أعيادهم الخاصة ومنها عيد الصّليب. [2]

وبالنّسبة للقبائل البدويّة (العرب)، فأحيانًا كانوا يهاجمون الأديرة وينهبون ما فيها، ويسلبون السّاكنين بها حتّى ملابسهم كما حصل في دير أسوان نتيجة للفقر وسوء الأحوال الاقتصادية والحاجة الملحة[3]، ودير الشّياطين والّذي اتّخذه البدو منطلقًا لهجماتهم على الأديرة والقرى الزّراعيّة سنة 528هـ/1133م[4].

وفيما يتعلّق بالبطاركة الأقباط، اليعاقبة، في عهد الخليفة الحافظ لدين الله (524-544هـ/1130-1149م)، فمنهم:

---

(1) أبو صالح الأرمني، تاريخ، ص129.

(2) المصدر نفسه ، ص128. יהושע פרנקל-חדירת של הבדוים לארץ ישראל כתקופה הפאטמית-חיפה-1987.

(3) أبو صالح الأرمني، تاريخ، ص128.

(4) المصدر نفسه، ص83.

1. **غبريال بن تريك، أبو العلاء صاعد**[1]: عمل هو ووالده في دواوين الدّولة الفاطميّة، كما عمل شمّاسًا في كنيسة أبو مرقورة بمصر[2]، وعندما بلغ الخمسين من عمره تولى كرسي البطريركية 526هـ/1131م[3]، وقد عَمِل على تجديد الكنيسة القبطية، فوضع مجموعة قوانين كنيسيّة ومدنية مثل **قانون الإرث**، وتوفّي يوم الخميس العاشر من برمودة 530هـ/1136م[4].

2. **مرقس الضّرير بن موهوب ابن القنبر**: عمل في دواوين الدّولة الفاطمية حوالي 539هـ/1143م، ويعتبر من القساوسة المصلحين في عهد البطريرك مرقس أبي الفرج بن زرعة وهو الثاني والسّبعين من البطاركة الأقباط في العدد[5]، وقد شملت إصلاحاته ما يلي: منع زواج الأقارب، شرب النّبيذ والختان والبخور في الكنائس. وقد أعاد النظر بتفسير الأناجيل، وبلغ عدد أتباعه (5000) من الأقباط[6] فأصدرت الكنيسة اليعقوبية القبطية الحرمان ضدّهُ. ومن الكتب التي كتبها: **تفسير الأناجيل والعشرة رؤوس والمعلم والتّلميذ**.[7]

---

(1) ابن الراهب، تاريخ أبي شاكر، ص139. ברנדר לואיס،היוהודים בעולם האסלאם،ירושלים،מרכז זלמן שזאר،1996،עמ' 80.

(2) كنيسة مسيحية، أقيمت فيها الصلوات كل يوم أحد، كانت مشعة الأطراف، مبني على طراز حديث، أنظر: وثائق سانت كاترينا، وثيقة رقم 21.

(3) قنواتي، المسيحية، ص204.

(4) ابن الراهب، تاريخ أبي شاكر، ص139.

(5) المصدر نفسه، ص140.

(6) أبو صالح الأرمني، تاريخ، ص22-12.

(7) المصدر نفسه، ص22.

3. **ميخائيل بن الدقّاق**: كان راهبًا في قلاية دنشري، تولّى البطريركية القبطية لمدّة تسعة أيام، 539هـ/1144م، وتوفّي يوم جمعة الصّليب[1] .اهتمّ الآمر والحافظ لدين الله بترميم أديرة النّصارى في مصر، فيلاحظ كثرة عمليات ترميم الأديرة والكنائس في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله من (495هـ/1101م-524هـ/1130م)[2] فقد جُدّدت مباني دير طموية[3]، ودير سموط ودير العسل[4]، ودير مرتوتي وبه منظرة السلوقية[5]، وبيعة ماري سابا[6]، وبيعة أبو قلته، وقد اتخذ الوزير الأفضل بن بدر الجمالي دير طمونة متنزّهًا له[7].

وفيما يتعلّق بدير نهيا فقد زاره الخليفة الآمر بأحكام الله، وبعد الزيارة أعطى للرّهبان ألفَ درهم، وخرج من الدير يتصّيد، ثمّ تردّد إليه ومعه العسكر، وأنشأ في الدّير منظرة قريبة من الجانب البحري، وبلغ مقدار الدعم المالي للرهبان (25000) درهم. وطلب الرهبان من الخليفة أن يُخصّص لهم طين (أرض زراعية) فأنعمَ عليهم بثلاثين فدّانًا من أراضي طهرمس من أراضي الجيزة ملكًا ثابتًا[8]. وقد استمرّت عمليات ترميم المباني أو تجديد بنائها في عهد الخليفة الحافظ لدين الله (524هـ/1130م-544هـ/1149م) ومنها: كنيسة يوحنّا المعمدان[9]، وكنيسة الأربعة

---

(1) ابن الراهب، تاريخ أبي شاكر، ص140.

(2) حول اختلاف الفقهاء في ترميم مباني الأديرة والكنائس في مصر. انظر: وثائق دير سنتاكترينا، وثيقة رقم 176؛ السبكي، كشف الدسائس، ورقة 49-23؛ إيضاح كشف الدسائس، ورقة 36-18.

(3) الأرمني، تاريخ، ص85. מחאמיד חאתם،החיאת הסונה במצרים וסוריה، תל אביב،2009،עמ' 22

(4) المصدر نفسه، ص112.

(5) المصدر نفسه، ص57.

(6) المصدر نفسه، ص64.

(7) المصدر نفسه، ص44.

(8) الأرمني، تاريخ، ص78-77.

(9) الأرمني، تاريخ، ص3، 33، 51.

الملائكة[1] وكنيسة الميلاد المقدّس[2]. أمّا كنيسة مارت مريم فقد دُمّرت أثناء ثورة الحسن بن الحافظ لدين الله سنة 528هـ/1134م[3]. وعن علاقة بطريرك الأقباط اليعاقبة بالخليفة الحافظ لدين الله، فقد تمّ ترفيع أسقف منطقة أنفيخ إلى رتبة بطريرك، وقد ضمن البطريرك للخليفة الحافظ أن يكشف له عن السّير والملاحم، وأذِنَ له بالحضور إلى قصر الخلافة يومي الاثنين والخميس ويعرّفه بما يتجدّد في كلّ جمعة، واستمرّ هكذا إلى حين وفاة الحافظ 544هـ/1149م. [4]

2. السّريان: من الطوائف المسيحية الأرثوذكسية قليلة العدد في مصر الفاطمية، وظهرت الطائفة على مسرح التاريخ بعد عقد المجمع الدّيني في نيقية 325م على يد الرّاهب يعقوب في نصبين. وكان هدفه نشر اللاهوت اليوناني بين المسيحيين الذين يتكلمون اليونانية، و بعد سنة 379م ظهر دور مدينة المصيعة. واستمرّوا بالسكن في مصر في العصر الفاطمي[5].

زادت أعداد السريان القادمين من إمارة الرها في فترة الصراع السلجوقي- البيزنطي في مصر في عهد أمير الجيوش بدر الجمالي 462هـ/1069م، [6] حيث كانت علاقتهم به حسنة، حيث طلبوا منه أن يخصّص لهم كنيسة بولا ابن يسطس الشهيد[7]، كما كان لهم دير في وادي النطرون[8]. وكان بطريرك السّريان[9] ينظّم علاقتهم مع الخلافة الفاطمية، ويلاحظ أنّ بعض أبناء

---

(1) ألأرمني، تاريخ، ص49.

(2) المصدر نفسه، ص39.

(3) المصدر نفسه، ص68.

(4) المصدر نفسه، ص3.

(5) اغنا طيوس الثالث، الوثائق السريانية، ص10؛ قنواتي، المسيحية، ص78-77.

(6) ساويرس، تاريخ الكنيسة، م2،ج3، ص202-198.

(7) المصدر نفسه، والجزء نفسه، ص225.

(8) المقريزي، الخطط، ج2، ص511، قاسم، أهل الذمة، ص122.

(9) ابن الراهب، تاريخ أبي شاكر، ص133؛ قاموس سرياني- عربي، ص2-1.

الطائفة عملوا تجّارًا في مدينة الإسكندرية، وبالنسبة لمكان سكناهم فقد سكنوا في الخندق في القاهرة وفي مدينة الإسكندرية [1].

3. **النّساطرة:** من الطّوائف الدّينية التي يُعدُّ أتباعها على أصابع اليدين في مصر في العهد الفاطمي[2]. وهم من أتباع نسطوريوس (380–450م) الّذين آمنوا بأن للمسيح طبيعتين: طبيعة إلهية، وطبيعة إنسانية، فهو ابن الله وابن البشر في الوقت نفسه[3]. وفي مصر كان يتبع لهم دير القدّيس ماري جرجس، وهو عبارة عن حصن يحوطه سور بحجر منحوت، وقد جدّدت عمارة هذا الوزير أيّام الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله وأشرف عليه الشيخ أبو الفضائل النّسطوري، فلمّا رآه الخليفة الآمر بأحكام الله أعجبه البناء فصادره مع الأراضي الزراعية التابعة له، وحوّله إلى مسجد[4]. ويدفن النساطرة موتاهم في كنائسهم وبستان العدوية أو منية السودان[5].

ب. اليهود

كان عصر الفاطميّين من أزهى فترات اليهود في مصر باستثناء فترة حكم الحاكم بأمر الله. حيث أن معظم المدراس اليهودية الّتي تأسّست في مصر كانت في الفترة الفاطمية وقد ارتفع شأن بعضها في العصر الفاطمي الثاني، حتّى أنّ يعقوب بن كلس تولى الوزارة في تلك الحقبة [6].

---

(1) ساويرس، المصدر السابق، ص91، 226–225. עוטרה סמואל – היהודים תחת שלטון הערבים הפטמים והאיובים במצרים , ירושלים 1998 עמ' 12-13.

(2) ألأرمني، تاريخ، ص56.

(3) الخفاجي، شفاء الغليل، ص200؛ قنواتي، المسيحية، ص30–28، 74–73،78؛ كيرموتا، النساطرة"، موسوعة الأديان، ص475–474.

(4) ألأرمني، المصدر السابق، ص55–54؛ قاسم، أهل الذمة، ص122.

(5) ألأرمني، المصدر السابق، ص56.

(6) القلقشندي، صبح الأعشى، ج2، ص 226؛ الينعار بركات، يهود مصر في العصر الفاطمي، جامعة تل أبيب، 1995، ص62؛ يعقوب ليف، اليهود في مصر ، حيفا، ص 198.

إنقسم يهود مصر الى ثلاث طوائف: الرّبانيون والقراؤون والسّامريّون، وكانت رئاسة اليهود لواحد من الرّبّانيين، وعاش اليهود في المدن الكبرى مثل القاهرة والإسكندرية، حيث مارسوا حياتهم الدّينيّة والاجتماعيّة. واعتبر رئيس اليهود كوسيط وكمنظم للعلاقة بين الدّولة واليهود [1].

نشطت الحركة الفكريّة عند اليهود في عهد الآمر، خاصة في مجال الطّبّ مثل الطبيب أفرايم بن ألفان الّذي ألّف مئات المجلّدات العلميّة والطّبيّة[2]. وبرز أيضًا سنة 519هـ/1125م في عهد الآمر الطّبيب اليهوديّ أبو جعفر يوسف بن حسداي الّذي سكن القاهرة وخدم كطبيب مختصّ في عهد الآمر، وفي نفس السّنة تمّ تعيين اليهوديّ ابن أبي الدّم أحد كتّاب ديوان الإنشاء[3].

شمل الحافظُ في بداية حكمه اليهودَ بالرعاية الكاملة، ولم يعارض على تقلّدهم مناصب في الدولة، إلاّ بعد احتجاج المسلمين وتذمّرهم على ذلك، ممّا حدا بالحافظ إلى التّراجع وتنحية اليهود من الدّواوين، وعلّل ذلك بارتكابهم أخطاء أساءت إلى سمعة الخليفة والرّعيّة [4].

1 المقريزي، خطط، ج2، ص 471؛ ابن ساسون مناحيم، اليهود في الدولة الإسلامية، القدس، ط2، 1995، ص 11.

2 ابن ابي اصيبعة، عيون الأنباء، ص567.

(3) Mann, J. the Jews in Egypt and Palestine under the Fatimid Caliphs, 2 voll, Oxford 1969, vol. 1, p 228 ؛ المقريزي، خطط، ج2، ص 472

(4)المقريزي، خطط، ج2، ص 230.

ثالثا الفئات الحرفيّة (الطّوائف الحرفيّة)

1. السقّاؤون
2. الخمّارون
3. الطّوائف المتعلّقة بالحبوب المكريلية، المغربلية، الطّحانون، الخبّازون
4. طائفة صانعي الأجبان
5. الحلوانيّة
6. البنّاؤون وحفّارو القبور
7. طائفة السبّاكين
8. طائفة الدّلاّلين
9. طائفة النّحاسين

الفئات الحرفية/تنظيم الطّائفة

شكّل الحرفيّون والصّناع والتّجار في مصر الفاطمية طوائف مهنية، تختصّ كلّ واحدة بتنظيم عمل أفرادها، ورعاية مصالحهم، والمحافظة على حقوقهم[1]. وكان لكلّ طائفة مهنيّة ما يلي: العريف: وهو الأعلى رتبةً، والأكثر ورعًا وإتقانًا للمهنة والّتي يمارسها في داخل دكّانه[2] في السّوق المخصّص لطائفته، ولا يجوز لأعضاء المهنة أن يقوموا بأيّ عمل إلاّ بموافقته؛ وهو يمثّل حلقة الوصل بين أعضاء الطّائفة والمحتسب[3]. فعريف الخبأزين مسؤول عن طائفته الّتي تبيع الخبز بسعر موحّد داخل المدينة ومن زاد في السّعر يتعرّض للمساءلة"[4]. وكان للصّناع طائفة ضّمت الصّناع المهرة المتقنين للحرفة، والأمناء في تعاملهم، ويعمل في كل حرفة مجموعة من الأجراء الّذين يعملون تحت إشراف الصّنّاع، والحال كذلك في طائفة البنّائين[5]. كما ويلاحظ وجود طبيب، ومجبّر للعظام، في أسواق مصر الفاطمية وذلك بهدف تقديم الرعاية الطّبّيّة لأهل السّوق من المهنيّين [6].

---

(1) سلطان، المجتمع المصري، ص78.

(2) المقريزي، إغاثة الأمة، ص18؛ الشربيني، هز القحوف، ص30.

(3) المقريزي، إغاثة الأمة، ص19.

(4) المقريزي، إغاثة الأمة، ص19؛سلطان، المجتمع المصري، ص78.

(5) ساويرس، تاريخ الكنيسة، م2، ج2، ص95.

(6) المقريزي، الخطط، ج2، ص10.

1. طائفة السَّقَّائين

يقوم أصحاب هذه المهنة بتعبئة الماء من مشارع لهم على شطّ النيل، ويُنقل الماء على الجمال أو الدّواب إلى القصور والمنازل والجوامع والدكاكين والمشافي لسقاية الناس[1]، ويُؤخذ الماء من نهر النيل وما يتفرع عنه من قنوات وترع، وكان المحتسب يُلزم السّقائين بتغطية ما ينقلونه من ماء[2]. كما أوكلَ إليهم رشُّ الماء في الشّوارع والطرقات أمام موكب الخليفة قبل خروجه من القصر في الأعياد. ويذكر أنّ الوزير ابن المأمون البطائحي شوهد وهو يرشّ الماء بين القصرين في مرحلة شبابه[3]. وبالنّسبة لأجور السّقّائين فهي زهيدة، حتى أنّهم اضطرّوا أن يبيعوا الماء على المصلّين في صلاة الجمعة[4]، أو أجبرتهم الدولة الفاطمية على العمل بالسخرة مع دوابهم وجمالهم وقربهم، فيقومون برشّ الماء فيما بين مصر (الفسطاط) والقاهرة، فصدر أمر في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، يمنع واليي الفسطاط والقاهرة من ذلك[5]. ومن الأدوات التي استخدمها السّقّائون لحمل الماء القرب، والروايا الجلدية[6]، كما استخدم المصريّون في منازلهم أزيار الماء (جِبّ)، وقُلل الماء[7]. وعن طرق تنقية الماء كان المصريّون يعملون على ترسيب المواد العالقة بالماء بواسطة الطّباشير أو نوى المشمش المرضوض[8]، أو بتقطيره في أوانٍ من

---

(1) المقدسي، حسن التقاسيم، ص207.

(2) سلطان، المجتمع المصري، ص256-257.

(3) المقدسي، حسن التقاسيم، ص208. الأصفهاني، البستان الجامع، ص 286؛ ابن ميسر، أخبار مصر، ص 105.

(4) ابن الحاج، المدخل، ج1، ص225.

(5) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص209.

(6) الأصفهاني، البستان الجامع، ص286؛ ابن ميسر، أخبار مصر، 105.

(7) الشربيني، هز القحوف، ص 61، 73.

(8) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص207.

الخزف والفخّار، كما كانوا يقومون بتطييب طعم الماء عن طريق تبخير الماء بأنواع الأبخرة الطيّبة، أو إضافة قليل من ماء الورد إليه[1].

2. طائفة الخمّارين

يقوم المسيحيّون الأقباط بصناعة الخمور في موسم نضوج كروم العنب، فيعصر العنب ويضاف إليه العسل، ولم يشهد العهد الفاطمي منعًا لتصنيع الخمور إلاّ في فترة الخليفة الحاكم بأمر الله[2]، وأمّا في فترة الخليفة الآمر بأحكام الله، فكانت الأوامر تصدر بإغلاق الخمّارات في مصر والقاهرة ابتداءً من شهر رجب وإلى نهاية شهر رمضان من كلّ عام[3]. وكان الخمّارون يصنعون النّبيذ، والفقاع وهو شراب الشعير المنقوع مضافًا إليه ماء الرّمّان والنّعنع، ويوضع الفقاع في كيزان مصنوعةٍ من طينٍ من جبال أسوان[4].

3. طائفة البزارين (الطّوائف المتعلّقة بالحبوب)

تتكون هذه الطّائفة من طوائف الطحّانين والخبّازين. مهمّة الطّحّانين كانت طحن القمح بعد أن تتمّ كربلته وغربلته في المطاحن الحجريّة باستخدام الثّيران أو الخيول، وللطّحّانين حواصلهم المليئة بالقمح والطّحين والعلف للدواب، وحينما يَشِحّ وجود الحبوب من القمح والشّعير، كانت الدولة تضبط الحواصل وتختمها، وتمنع التّصرّف بها، إلاّ تحت إشرافها[5] وبالأسعار التي تقررها الدولة.

---

(1) المقريزي، الخطط، ج1، ص65؛ سلطان، المجتمع المصري، ص256.

(2) ساويرس، تاريخ الكنيسة، ج2، ص125.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص77، 91.

(4) المقريزي، الخطط، ج1، ص44، 272؛ أيوب، التاريخ الاجتماعي، ص264.

(5) المقريزي، إغاثة الأمة، ص27؛ المسبحي، أخبار مصر، ص16، 27.

إرتفعت أسعار القمح في عهد الحافظ لدين الله، فأمر الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل المعروف بـ "كتيفات"، بفتح مخازن القمح" الأهراء" لبيع أكثر من (200.000) إردبّ من القمح[1].

وارتبطت بالطّحّانين طائفة الخبّازين، والذين يجب عليهم توفير الخبز في الأفران بأنواعه المختلفة: الحنشنكار (مصنوع من طحين القمح غير المنخول)، والحواري (مصنوع بطحين القمح المنخول الأبيض)، والسّميد[2]، والخبز الموائدي الّذي يُقدّم على موائد الخلفاء الفاطميّين[3]، وذلك من طلوع الشمس إلى مغيبها، وقد ارتفعت أسعار الخبز في عهد الخليفة الحافظ لدين الله حيث بلغ سعر ثلاثة أرطال من الخبز درهم وذلك سنة 536هـ/ 1141م[4].

وبسبب الكوارث الطبيعية، والمجاعات وانخفاض مستوى نهر النيل، فقد شهدت مصر في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله ووزيره المأمون البطائحي، ارتفاعًا حادًا في سعر القمح، حيث بلغ ثمن كلّ (100) إردبّ بـ(130) دينارًا، فتدخّل الوزير وختم الحواصل وأمرهم ببيع كل (100) إردبّ بـ(30) دينارًا، ومَن رفض بقيت حواصله مغلقة، وأدّبت الدولة المحتكرين ومَن يزيدون في الأسعار[5].

واستمر ارتفاع سعره في عهد الحافظ لدين الله لنفس الأسباب"[6]، وذلك في الفترة الواقعة ما بين (532-536هـ-1137-1141م)، ممّا أضطر الخليفة الحافظ لدين الله بأن يأمر بفتح

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص247.

(2) المسبحي، أخبار مصر، ص 48، 73؛

(3) سلطان، المجتمع المصري، ص241-242.

(4) المقريزي، إغاثة الأمة، ص27، اتعاظ الحنفا، ج2، ص.

(5) المقريزي، إغاثة الأمة، ص27-28.

(6) أحمد سعد، تاريخ مصر الاجتماعي الاقتصادي، بيروت، 1979، ص 82.

الأهراء مخازن الحبوب الخاصّة بالخليفة والبيع على الناس بأوسط الأسعار فبلغ سعر إردبّ القمح ثلاثة دنانير سنة 533هـ/1138م، ثمّ ارتفع إلى (90) درهمًا للإردبّ سنة 536هـ/1141م.(1)

4. طائفة صناعة الأجبان

لمّا كان من المستحيل الاحتفاظ بالحليب طازجًا لفترة طويلة في مناخ حارّ كمناخ مصر، وخاصة أنّ الفّلاحين كانوا يربّون الأبقار الخيسية وهي المعدّة لإدرار الحليب، وتستخدم في الحراثة(2)، فقد وجدت "دار صناعة الجبن"، وارتبط بها " سمسار دار الجبن"(3) والذي كان يقوم بشراء الحليب من الفلاّحين وبيعه لمشرف دار الجبن. وفي دار صناعة الجبن، تُصّنع الالبان والأجبان ومنها الحالوم(4) والمش(5)، وتباع الأجبان في مدينة القاهرة في سوق الجبّانين(6).

5. الطوائف المتعلّقة بالطّعام والشّراب

إهتمّت فئات من أطياف الشّعب المصريّ كافّة بتصنيع الحلاوة الجوزيّة والدّهنيّة، وكانت دكاكين الحلوانيّة تقع في باب زقاق القناديل بالقاهرة (7). ووجدت طائفة الزّلابية، والزلابية هي كرات من العجين المقلي بزيت السيرج ومحلاّة بالقطر السّكّريّ أو بالعسل، وقام بتصنيعها

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص؛ المقريزي، إغاثة الأمة، ص27. أيوب، التاريخ الاجتماعي، ص85-86.

(2) ابن مماتي، قوانين، ص451، ؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص96.

(3) المسبحي، أخبار مصر، ص111، 197.

(4) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص206.

(5) الشربيني، هز القحوف، ص18.

(6) أيوب، التاريخ الاجتماعي، ص80.

(7) المسبحي، أخبار مصر، ص78.

الزلابانيّون[1]، سواءً في دكاكينهم أو في المنازل، حيث قام المصريّون بإحضار صنّاع الزلابية، ليبيتوا في بيوتهم، حتى لا تطلع شمس يوم العيد إلاّ وتكون متيسّرة لتوزيعها. [2]

6. الطوائف المتعلّقة بالبناء

تتكوّن من طائفتي المعماريّين وحفّاري القبور. يقوم المعماريّون والصّناع والفَعَلَةُ من المسلمين والأقباط والأرمن ببناء المباني المختلفة بالحجارة، ويبلّطون أرضيّة الغرف. يعقدون الدّرج بالحجر الكدان[3]، ويبلّطون صحن الدّار (السّاحة)، بالرّخام الأبيض[4]، أمّا عن المباني الحكوميّة فيقوم متولّو دار الصّناعة بالإشراف على بنائها حيث أشرف على بناء دار مقياس ماء النيل وبتكليف من الخليفة الفاطميّ مباشرة وذلك سنة 414هـ/1023 م[5]، وأمّا عن المباني في القرى المصريّة، فكانت النّساء تعجنّ الوحل والطّين وتلمّه وتدوسه برجليها مخلوطاً بالجلة والزّبل، ثمّ يجعله الفلاّحون جواليس ويلبسوا به بيوتهم وأفرانهم ويضعون منه مذاود للبقر[6].

وبالنسبة للأموات، فقد قام الحفّارون بحفر القبور لهم ودفنهم، وإذا كان الميّت قبطيًّا فينقش الصّليب على قبره، مع الإشارة إلى وجود مقابر خاصّة لكلّ طائفة دينيّة، فالأقباط، مثلاً، يدفنون بأرض الحبش[7].

---

(1) المقريزي، الخطط، ج1، ص494؛ الشربيني، هز القحوف، ص12.

(2) ابن الحاج، المدخل، ج1، ص49.

(3) المسبحي، أخبار مصر، ص33؛ السيوطي: حسن المحاضرة،ج2، ص289.

(4) أبو صالح الأرمني، تاريخ ص71.

(5) المسبحي، أخبار مصر، ص33.

(6) الشربيني، هز القحوف، ص54-55.

(7) أبو صالح الأرمني، تاريخ، ص55-56.

7. طوائف السباكيّن

تتكوّن من سبّاكي النّحاس والفضّة والذّهب، فالنّحّاسون يقومون بسكب قدور النّحّاس للطّعام، وتصنيع أحجلة النّساء (الخلاخيل) المطلية بالقصدير لتلبسه النّساء في أرجلهنّ[1]، كما صنّعوا الأساور المعروفة (بالنّيابل) وهي من النّحاس الأصفر[2]. كما وقاموا بتكفيت النّحاس وهو تطعيمه بالذّهب أو الفضّة[3].

وأمّا سبّاكو الفضّة فصنعوا الخلاخيل الفضّيّة، والأواني المنزليّة[4]. والمضنّات أو المدلّات وهي سلاسل فضّيّة تعلّق على الأصداغ، وترخى إلى الصّدر، وفي آخرها جلاجل من فضّة وبَرَق.[5]

8. طائفة السّماسرة أو الدّلّالون

يقوم أعضاء هذه الطائفة ببيع البضائع نيابة عن أصحابها لقاء رسوم يأخذونها من البائع صاحب البضاعة ومن المشتري[6]، وقد عمل بعض الدّلالين في أماكن محدّدة في المدن المصريّة، ومثال ذلك سمسار دار الجبن. كما عَمِلَ آخرون سماسرة لبضائع محددةٍ واردةٍ من بلاد محدّدة، مثال ذلك السّمسار المخنّث البغدادي في مدينتي تنيس ودمياط والذي اختصّ بالجوهر النّفيس والأعلاق الثّمينة الواردة من بغداد[7].

---

(1) الشربيني، هز القحوف، ص61-62.

(2) المصدر نفسه، ص16.

(3) السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص296؛ شاخت، تراث الإسلام، ج2، ص414.

(4) المقريزي، إغاثة الأمة، ص64.

(5) الشربيني، هز القحوف، ص54.

(6) المسبحي، أخبار مصر، ص103-104.

(7) الباشا، الفنون الإسلامية، ج2، ص514-515؛ اليعقوب، ناحية القدس الشريف، ج1، ص128.

9. طائفة النَّخَاسين

مهمة النّخَاسين عرض الرقيق ذكورًا وإناثًا أبيض وأسود في أسواق النّخَاسة سواءً في مصر (الفسطاط) أو في القاهرة[1].

رابعًا: الاحتفالات والأعياد

إهتمّ الفاطميّون بالاحتفال بالأعياد الدّينيّة والمناسبات المختلفة، في شيء كثير من العظمة والأبهة.

أهمّ الأعياد والمناسبات في الدّولة الفاطميّة

1. الأعياد الدينية الإسلامية العامة

رأس السنة الهجرية: إهتم المسلمون بالاحتفال برأس السنة الهجرية، بليلة أوّل المحرّم في كلّ عام لأنّها أول ليالي السنة، حيث تمّ طبخ الولائم من الخراف وتوزيعها على أفراد الفئة الخاصة بجميع فئاتها، ثمّ تفريق الحلوى بجميع أنواعها[2]. واهتمّ الخلفاء الفاطميّون بعناية فائقة بهذه المناسبة، حيث كان الخليفة الفاطميّ يمتطي ركوبته بزي مهيب وهيئة عظيمة، ووزّع المال بالقرب من دار الضرب على أفراد الفئة الخاصّة وأعيان الدّولة، بالإضافة لتقديم الولائم والأسمطة والحلوى والخبز والسّكّر والأرز وكلّ ما يطيب من مأكل ومشرب[3].

---

(1) المسبحي، أخبار مصر، ص95-105.

(2) المقريزي: المواعظ، ج 2، ص347-328.

(3) المقريزي، الخطط، ج1، ص 490. שמעון שותספוקס-היוהדים במצרים הוצאת משרד החינוך ירושלים 1998،עמ' 92.

الاحتفال بالمولد النبوي: كان الاحتفال بالمولد النبوي الشريف يقام باليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول بعد صلاة الظهر إذ ينطلق موكب مهيب من رجال الدولة والفقه برئاسة قاضي القضاة إلى الجامع الأزهر لسماع ما تيسر من القران الكريم وتراتيل دينيه خاصة بالمولد النبوي. بعد هذه المراسم الاحتفالية يعود الموكب إلى قصر الخليفة، حيث يبدأ الاحتفال في القصر بتلاوة القران الكريم وسماع المواعظ الدينية من خطباء الجوامع، ثم توزيع الحلوى على جميع المحتفلين. أما عامة الشعب فقد احتفلوا بهذه المناسبة في المساجد وبيوتهم واعدوا ما لذ وطاب من حلوى ومأكل وشراب.[1]

ليالي الوقود الأربع: ليالي بهيّة ومباركة يجتمع بها الناس من كلّ حدب وصوب، في هذه الليالي تمّ تفريق الصّدقات والأموال على الفقراء والمحتاجين، لاعتقادهم مضاعفة الأجر والثواب في مثل هذه الليالي[2].

موسم شهر رمضان المبارك: هو شهر البرّ والحسنات والبركات، وبه تتضاعف الحسنات، وتزيّن المساجد قبل بداية الشّهر بثلاثة أيّام، بعد الطّواف بمساجد القاهرة ومصر والمقس. وكان الناس يحضرون هذا الموسم ويطوفون مع القاضي لحضور السّماط[3]. وكان الخليفة يطوف شوارع القاهرة ويوزّع المنح المالية على خطباء المساجد والمؤذّنين، ويحتفل برؤية الهلال عند أهل السنة، ويهدي الخليفة في بداية شهر رمضان المبارك الأمراء وأرباب الدّولة أطباق من الحلوى، ويتوسّط كلّ طبق صرّة من الذّهب، ليصل هذا إلى أفراد أسرهم. وكان الخلفاء الفاطميّون يقيمون الأسمطة ابتداءً من اليوم الرّابع لشهر رمضان حتّى السادس والعشرين فيه،

---

(1) القلقشندي، صبح، ج3، ص499؛ المقريزي، خطط، ج2، ص432

(2) المقريزي، الخطط، ج2، ص350.

(3) المقريزي، الخطط، ج2، ص350.

وكان يحضر هذه الاحتفالات القضاة والأمراء وكبار رجال الدّولة والموظّفون، ويتمّ تمثيل الخليفة من قبل وزيره. بالإضافة لذلك، دأب الخلفاء على تجديد أثاث المسجد، الّذي يصلي به الخليفة أيّام الجمعة من شهر رمضان المبارك[1]. وقد ميّز فترة خلافة الأمر والحافظ إغلاق جميع قاعات الخمّارين في مصر بتعليمات الخليفة نفسه، وبأمر الوزير المأمون لمّا تولّى الوزارة بعد الأفضل بن بدر الجمالي. وقد كتب لجميع الولاة بمنع الناس من أي تعامل بالخمرة، ومن كان يتغاضى عن ذلك عرّض نفسه للهلاك والموت[2].

سحور الخليفة: استمرّ الخليفتان الأمر بأحكام الله والحافظ لدين الله بالنّهج الّذي اتّبعه الخلفاء السّابقون، وهو سحور جماعيّ يتخلّله الدّعاء ومدح الخليفة، ثمّ أكل وشرب كلّ ما طيب[3]. لقد كان السحور جماعيًّا يحضره رجال الدّين والوعّاظ، ثمّ أفراد أسرة الخليفة كي يتباركوا من الطّعام الخاصّ المعدّ للخليفة، وينتهي السّحور بتوزيع ما لذّ وطاب من الحلوى والقطائف على المجتمعين والمشاركين في السحور [4].

الختم في آخر شهر رمضان المبارك: كان الختم يعمل في التّاسع والعشرين من شهر رمضان المبارك، بحضور الوزير المأمون في آخر النهار للقصر للإفطار مع الخليفة، وبحضور أقاربه وأفراد أسرته، وحضور الأئمة والمؤذّنين والمقرئين والسّيّدات والمميّزات من أهل القصور،

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص551: محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية، القاهرة، 1979، ص167، ص168.

(2) المقريزي، الخطط، ج1، ص 491؛ عبد المنعم سلطان، المجتمع المصري، ص137.

(3) المقريزي، الخطط، ج2، اتعاظ، ج3، ص83. שמעון שותספוקס-היוהדים במצרים הוצאת משרד החינוך ירושלים 1998-עמ' 92.

(4) المقريزي، الخطط، ج 2، ص353؛ عبد المنعم سلطان، المتجمع المصري، ص140.

ليشمل فضل وبركة ختم القرآن الكريم جميع من حضر ، بتكبيرات وتهاليل دينيّة وصوفيّة، ومن ثمّ يتمّ توزيع الحلوى والصّدقات على الخطباء والمقرئين والمؤذّنين والمحتاجين[1].

عيد الفطر السّعيد: إهتمّ الفاطميون في مصر اهتمامًا كبيرًا بالاحتفال بمختلف الأعياد الدينية، فلمّا حلّ هذا العيد السّعيد، أحسن الناس لباسهم وهيأتهم، ويأخذون عند كلّ مسجد زينتهم كما أمرهم الله عزّ وجلّ. ومن مهامّ الخليفة وكرمه تشريف الرّعيّة وخدمتهم بكسوات حسب منازلهم . كذلك كانت توزّع في عيد الفطر السّعيد الأموال والنقود الذهبية والفضية والأطعمة والملابس على الأضياف وموظّفي الدّولة بكافة أطيافهم[2].

كان للمجتمع المصري في موسم عيد الفطر عدة وجوه من الخيرات، الّتي تعود بالخير على الخليفة وعلى الرعية عامة، ففي موسم العيد تمّ التّصدّق على الفقراء بالفطرة (صدقه الفطر) لتطهير صيام الخليفة ورفع شأنه عند الله تعالى، وكذلك تفريق الكسوات، وعمل السماط، بنوعيه السّماط الأوّل يقام للفئة العامّة، والسّماط الثاني في القصر للفئة الخاصّة[3].

وكان السّماط المزين بالرّسم والتّماثيل المصنوعة من السّكّر التي تزيد عن مائة واثنتين وخمسين قطعة من التّماثيل في بعض الأحيان. يدخل الفرحة والسّعادة لقلوب النّاس لاعتبار أهمية العيد فيجتمعون لرؤية سماط العيد المميّز والخاصّ [4].

كانت الأعياد المتنفس الوحيد للعامة، للترويح عن نفسها، ويروى أن العامة كانت تنتظر العيد بفارغ من الصّبر للتّرويح عن نفسها عند مشاهدة موكب الخليفة، الّذي تتخلله مقاطع فنّيّة وألعاب

(1) المقريزي، نفس المصدر، ص153.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3 ص505؛ محمد جمال الدين سرور، الدولة الفاطمية في مصر، ص169-171.

(3) عبد الرحيم، الريف المصري، ص 249.

(4) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص248.

مختلفة تُدخل البهجة والسّرور لقلوب الصّبيان، كون هذه الألعاب ببراعة وفنّ رفيع ومهارة كبيرة في ركوب الخيل[1]، وهو ما يفتقده العامة لعدم قدرتهم الحصول على مثل ذلك، بسبب فقرهم وسوء أحوالهم مقارنة بالطبقات الغنية.

يشار إلى أنّ سماط العيد كان يتمّ إقامته في الإيوان الكبير[2] الّذي بناه العزيز بالله سنة 367هـ/977م، وكان الخلفاء يجلسون به في يومي الاثنين والخميس إلى أن نقل الخليفة الآمر بأحكام الله الجلوس منه إلى قاعة الذّهب[3]. ومن مظاهر عيد الفطر السّعيد ركوب الخليفة لصلاة العيد[4]. ويروي المسبحي أنّه عند خروج الخليفة من القصر إلى الجامع لأداء صلاة العيد، اصطفّت على جانب الطّريق جماعة من مؤيّدي الدّولة والخليفة، منهم القضاة والمؤذّنون والقرّاء، وأصحاب السيوف والأقلام مهلّلين ومكبّرين لتحيّة موكب الخليفة العسكريّ، الّذي تشترك فيه الأسود والزرافات والفيلة، وكان الموكب يسير على أنغام الموسيقى القويّة باشتراك الجيش الخاصّ للتّعبير عن العظمة والقوّة. وعند وصول الخليفة للجامع كان يؤمّ النّاس في خطبة العيد، وبعد الانتهاء وعودته للقصر يصطفّ النّاس على جانبي الطريق لمشاهدة الألعاب البهلوانية، والاستعراضات الفروسيّة التي تعبر عن عظمة وقوّة الدّولة وأهمّيّة الاحتفال والمناسبة السّعيدة[5]، وكان يفرض على أصحاب الحوانيت

---

(1) المسبحي، أخبار مصر، هيئة الكتاب، 1980 ص184 المقريزي: خطط، ج1، ص387؛ أيمن سيد: الدولة الفاطمية: ص170-171.

(2) الإيوان الكبير: هو القصر الذي كان يعمل به سماط العيدين والاجتماع والخطبة في عيد الغدير قبل خلافة الأمر. بناه العزيز بالله وكان بجانب الإيوان دواوين الدولة. (المقريزي، مواعظ، ج1، ص 385.

(3) قاعة الذهب: هي إحدى قاعات القصر الكبير وقد جلس الخيفتين في أيام عيد الفطر والمواكب وبه كان يعمل سماط شهر رمضان وسماط العيدين للأمراء (المواعظ والاعتبار: ص385).

(4) القلقشندي، صبح، ج1، ص509؛ المقريزي، خطط، ج1، ص452؛ اتعاظ، ج1، ص138؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج5، ص177؛ عبد المنعم سلطان، المجتمع المصري، ص140-141.

(5) المسبحي، أخبار مصر، ص186.

يزيّنون حوانيتهم بأجمل الزّينة تفاؤلاً بالخير في ممتلكاتهم عند مرور موكب الخليفة[1]. وفي عهد الحافظ لدين الله كان الوزير يرافقه في مراسم الاحتفال بعيد الفطر، وهو يرتدي "ما لم يلبسه أحد من النّاس" وذلك سنة 530هـ/1135م [2].

إهتمّ أهل الرّيف بالاحتفال بعيد الفطر السّعيد، إذ احتفل الفلاّحون في مزارعهم بالعيد واحتشدوا في الخلاء لأداء صلاة العيد في المصلّى[3]، لابسين الملابس الجديدة، يطوفون القرى بالطّبول ويضيئون قراهم في اللّيل، آكلين أفضل أنواع المأكولات والحلويّات. نلاحظ ممّا تقدم أنّ لعيد الفطر مراسيم دينيّة، اجتماعيّة كان لها أثر إيجابيّ على جميع أفراد الشّعب المصريّ[4].

عيد الأضحى المبارك (عيد النّحر): كانت الاحتفالات بعيد الأضحى المبارك تبدأ منذ بداية شهر ذي الحجّة، فتعقد مجالس الشعراء في القصر ودار الوزارة، ويبدأ الشّعراء بمدح الخليفة والوزير وتقديم التّهاني، بمناسبة العيد. تُنصب في العيد السّماط والموائد الفاخرة لأنّ هذا العيد يُسمّى بعيد النّحر، إذ يتمّ بأمر من الخليفة تفرقة الضّحايا على أهل الدّولة والتّصدّق بالأموال والهدايا على الأطفال واليتامى والفقراء والمساكين[5].

في سنة 515هـ/1121م زمن خلافة الآمر بأحكام الله، أمر الخليفة بالتّصدّق على المحتاجين والفقراء بمبلغ ثلاثة آلاف وثلاثمائة وسبعون دينارًا، ومن الكسوات أكثر من مائة وسبع قطع، وما ذبح من الأضحيات مدّة ثلاثة أيام النّحر ألفان وخمسمائة وواحد وستّون رأسًا، ومئات

---

(1) المصدر نفسه، ص 184.

(2) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص 248.

(3) عبد الرحيم، الريف المصري، ص 249.

(4) المقريزي، الخطط، ج1، ص388.

(5) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص 205.

(6) نفس المصدر، ص 206.

النّوق ورؤوس الأبقار والجاموس،[6] أمر الخليفة بذبحها في المصلّى والمنحر وتمّ توزيع لحومها على الفقراء والمساكين واليتامى وذوي الحاجة وطلبة العلم،[6] بالإضافة لذلك فقد أمر الخليفة بتوزيع الحلوى والسّكّر وكلّ ما يطيب أكله وشربه، على أصحاب الحاجة والمسكنة، هذا الأمر أدخل الفرحة والبهجة لجميع أفراد المجتمع المصري. يشار إلى أنّ عادة ركوب الخليفة في موكب مهيب كانت متّبعة أيضًا لمدّة ثلاثة أيّام بنفس النّهج الّذي ذُكر عن عيد الفطر السّعيد[1]. وكان الخليفة الآمر بأحكام الله يلبس الملابس الخاصّة (كسوة العيد) عند خروجه للمصلّى بمرافقة رجال الدّولة والجند.[2]

2. الأعياد والاحتفالات الخاصة بالشيعة

يوم عاشوراء: يعتبر يوم حزن وأسى عند الشيعة والفاطميّين بسبب مقتل الحسين بن علي في هذا اليوم في مذبحة كربلاء في العاشر من محرم سنة 61هـ/680م.

لقد عطّل الفاطميّون عمل الأسواق في هذا اليوم، وعملوا سماط الحزن الذي وصل فيه الطّعام إلى عامة الناس والمجتمع[3]. وكان تخرج في هذا اليوم جماعات كبيرة من الّشيعة في مصر وهم يصيحون بالنّياح ويبكون مرًّا على مقتل الحسين ويعبّرون عن حزنهم بطرق عنيفة ويقومون بلطم وجوههم ويرتدون ثياب الحداد، ثم يتلون القرآن الكريم في جامع الأزهر باحتفال رسميّ يحضره قاضي القضاة وداعي الدعاة، وقد استمرّت هذه المظاهر أيّام خلافة الخليفتين الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله [4]. ولقد ذكر المقريزي أنّ الخليفة الآمر بأحكام الله كان يحضر بنفسه هو وحاشيته في

(1) المقريزي: خطط، ج2، ص224-229.

(2) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص 205.

(3) نفس المصدر، ص 438.

(4) المقريزي، الخطط، ج1، ص 431؛ عبد المنعم سلطان، المجتمع المصري، ص 145.

ذكرى عاشوراء عن كثب، ويستقبل في مجلسه كبار رجال الدّولة كالأمراء والقضاة ورجال الدّين، ويأمر بإعطاء الهبات للوعّاظ والشّعراء والمحتاجين[1].

عيد الغدير:ينسب إلى غدير خم[2]، ويعتبر من الأعياد الخاصّة للشّيعة، إذ يعتقد الفاطميّون أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عند عودته من حجة الوداع سنة 10هـ/632م نزل بمكان بين مكّة والمدنية يعرف بغدير حم محاط بأشجار كثيرة وصلّى الظّهر جماعة، وأخذ بيد عليّ بن أبي طالب، وقال: أتعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه، حيث فسّر فلاسفة مذهب الشّيعة أنّ النّبي يفضل الوصاية بالخلافة بعده لعلي بن أبي طالب، فاعتبره الشيعة يوم عيد إيمانًا بصلاة الرّسول مع عليّ بن أبي طالب في غدير خم. وقد تطوّر الاحتفال بعيد الغدير في العصر الفاطميّ الثّاني أيـّام الخليفتين الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله، فأصبحت له شهرة خاصّة يطلق عليها "ركوب عيد الغدير" فيخرج موكب الخليفة باحتفال مهيب يتضمّن عتق رقاب العبيد[3].

وفي عهد الخليفة الآمر سنة 516 هـ/1123م تمّ توزيع الأموال والعطايا على الفقراء وكان الخليفة يذبح الأضاحي بأعداد كبيرة تفوق أضاحي عيد الأضحى، وكان يمدّ ثلاثة أسمطة في القصر تفوق ما يجري في عيدي الأضحى والفطر. السّماط الأوّل والثّاني يخصّصان لأرباب الرّسوم المتّبعة في الأعياد، والثّالث خاصّ بأقرباء الخليفة وحاشيته. ولقد تمّ الاحتفال بها أيّام الخليفتين بمواكب رسمية واستعراض العساكر وهذا يظهر اهتمام الخليفتين بالعيد[4].

أوّل ما عُرف العيد في أيّام معزّ الدولة أحمد بن بويه بالعراق سنة 352هـ/1157م، ومن حينه اتّخذه الشّيعة عيدًا، توزّع فيه الكسوات والهبات على كبار رجال الدّولة والمميّزين، وفيه يتمّ

(1) المقريزي، الخطط، ج1، ص 431؛ أوراق الجينزا القاهرية، وثيقة رقم 10.

(2) المقريزي، الخطط، ج1، ص 388؛ القلقشندي، صبح، ج2، ص 406.

(3) المقريزي، الخطط، ج2، ص 120-116.

(4) المقريزي، الخطط، ج1، ص389-ص390، سلطان، المجتمع المصري، ص 159-157.

النّحر وتفرّق الذبائح على أرباب السّيوف، وفيه يتمّ تحرير العبيد، وقال المقريزي إنّه يصادف يوم ثمانية عشر من ذي الحجة، يجتمع أهل مصر حول غدير ماء للدّعاء والصّلاة والسّرور[1] .

الاحتفال بمولد الأجداد ومولد الخليفة الحاضر: احتفل الفاطميون بمولد الخليفة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وزوجته وأولاده .تم توزيع الهدايا والصدقات والأطعمة والحلوى بهذه المناسبة على الإشراف وعامة الناس. بالإضافة إلى ذلك احتفل الفاطميون بولادة الخليفة الحاضر بمراسم عامه، تشمل إعطاء منح وهبات للفقراء والمساكين وطلبة العلم ثم توزع الحلوى والأطعمة. [2].

أما في الليل فيقام في قصر الخليفة احتفال بمناسبة مولده يحضره كبار رجال الدولة والقضاة والأعيان والشعراء والمنشدين، ويتخلل هذا الحفل قراءة القران الكريم ،وإلقاء القصائد والخطب التي يمجد بها الخليفة مع الاهتمام بذكر فضائل الشهر وألسنه التي ولد فيها.[3]

عيد النّصر: هذا العيد يميّز عصر خلافة الحافظ لدين الله وهو اليوم السّادس عشر من محرّم، ويرمز إلى تحرير الخليفة الحافظ من حجره ومحبسه وقيوده التي فرضها عليه وزراؤه وأفراد حاشيتهم. ومن مظاهر هذا اليوم الخطبة والصّلاة والزّينة وكثر التّصدّق والإنفاق على أفراد المجتمع الفاطميّ، وقد ذكر أبو القاسم علي بن الصّيرفي إلى بعض الخطباء: "عيد النصر، وهو أفضل الأعياد وأعلاها[4].

(1) المقريزي: خطط، ج2، ص116–120.

(2) المقريزي، خطط، ج1، ص266؛ سلطان، المجتمع المصري، ص160

(3) المقريزي، خطط، ج1، ص266؛ سلطان ،المجتمع المصري،ص160

(4) المقريزي، الخطط، ج2، ص349.

الاحتفال بتنصيب ولي العهد: اتبع الخلفاء الفاطميون الوصي أو النص لتعيين ولي العهد ،وبهذه المناسبة كان الخليفة الفاطمي يجمع أفراد عائلته وكبار رجال الدولة، ليعلن بحضورهم تعيين ولي العهد، ويطالبهم بالموافقة والتأييد والطاعة.[1]

ذكر المقريزي انه ليس لدينا تفاصيل تامة عن مراسم تنصيب ولي العهد، لكنه ذكر أن حفل تنصيب ولي العهد يتم بموكب مهيب يخرج فيه ولي العهد بالطرقات وتفرق الهدايا والأطعمة والشراب على جميع الحاضرين. لكسب ثقة وتأييد ودعم الشعب لهذا التعيين.[2]

عيد فتح الخليج: يعتبر الفاطميّون موسم فتح الخليج وجهًا من البرّ والتّقوى، واعتاد الخليفة الفاطميّ بهذه المناسبة الركوب إلى فتح الخليج وتوزيع الأطعمة والتحّف والكسوات على أهل الدّولة وأسرهم. وقد وصّف الرحالة ناصر خسرو هذا العمل بأنّه "من أعظم الأعياد في مصر"[3]، نظرًا لأهمّيّة النّيل بالنّسبة لحياة المصريّين، وقد بالغ الفاطميّون باهتمامهم بهذه المناسبة إذ اهتمّوا بتنظيم المسيرات والمواكب الفخمة حسب ما تحدّث بعض المؤرّخين في حيرة ودهشة، وابتهجوا حين زاد منسوب المياه في النّيل، وتمّ توزيع الصّدقات على الناس احتفاء بهذا العيد[4]. وقد استمرّ الاحتفال بهذا العيد في عهد الخليفتين الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله، ولكن الخليفة الآمر بأحكام الله أمر سنة 518هـ/1124م ببناء دار واسعة على شاطئ النّيل لاستقبال النّاس فيها عند فتح الخليج مقابل أجر محدود[5].

---

(1) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص179؛ سلطان، المجتمع المصري، ص162.

(2) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص181؛ سلطان، المجتمع المصري،ص163

(3) ناصر خرو، سفر ناقة، ص108.

(4) المسبحي أخبار: ص29: ناصر خسرو، سفر ناقة، ص108: المقريزي: الخطط، ج1، ص474.

(5) المقريزي، الخطط، ج1، ص479؛ سلطان، المجتمع المصري، ص 190-185.

3. أعياد أهل الذّمة

الأعياد والاحتفالات القبطية

عيد النّيروز: عيد النّيروز يقصد به عيد رأس السّنة القبطيّة، وهو من الأعياد القديمة ويرجع تاريخ الاحتفال به الى سليمان بن داوود، يُحتفل بـه في الأوّل من شهر توت (كانون الثاني)، أي رأس السّنة القبطيّة، منذ عهد الفرعون مينا الاول، حيث يستبشر النصارى الخير والفرح بعيد النيروز[1]. وفي مصر الفاطمية يحتفل المصريّون أقباطاً ومسلمين بالعيد، وفيه تغلق الأسواق، ويصبّ الماء على المارّة بالطّرقات، وتوقد النّيران ليلاً، ويتمازحون بضرب بعضهم بعضًا بالجلود. ويشتري المصريّون البطّيخ والخوخ، ويعملون الزلابية، والهريسة(الطّحين والبصل واللّحم)، ويتبادل المصريّون الهدايا بهذه المناسبة[2].

لم تكن المواسم المسيحية تحظى باهتمام الخلفاء الفاطميين، رغم أن الخليفة الآمر بالله، أولى الاهتمام بالأعياد المسيحية، إلا أن الوزير البطائحي، منع الركب المسيحي سنة 516هـ/ 1122م، من التشبه بركب الخليفة [3]، وكان الخليفة يوزع في الأعياد الثياب الفاخرة على أرباب ثم أُحضرت الثّياب الفاخرة ووزّعت على أرباب الدّولة وأولادهم ونساؤهم، وكان من عادة الخليفة الآمر الرّكوب يوم النّيروز إلى منظرة اللؤلؤة على الخليج حيث تعتبر من أجمل المتنزّهات في مصر [4].

---

(1) المقريزي، الخطط، ج1ص263؛ مدبك، الكنائس الشرقية، ج2، ص125.

(2) المسبحي، أخبار مصر، ص9؛ ابن الحاج، المدخل، ج2، ص49.

(3) المقريزي، اتعاظ ج3، ص 88. עטרה סמואל – היוהדים תחת שלטון הערבים הפטמים והאיובים במצרים , ירושלים 1998 עמ' 12-13.

(4) ألأرمني، تاريخ، ص129؛ سلطان، المجتمع المصري، ص170–168.

عيد الغطاس (المعمودية): يقع عيد المعمودية في الحادي عشر من شهر طوبة يقابله شهر مايو[1] وهو يخلّد ذكرى تعميد عيسى المسيح عليه السّلام على يد يوحنّا المعمدان في مياه نهر الأردنّ[2]. أمّا التّعميد داخل الكنائس فيتم في "حوض الظهور"[3]، حيث يغمس المولود في ماء غُلي بالرّياحين والطّيوب، ويُستخدم الحوض من أجل مباركة الماء في العيد. وفيه يجتمع النّاس وينزلون في الماء ويقومون بشراء الفواكه والحلوى واللّحوم، ورفع عيدان القصب وعليها الشّموع، ويقوم القساوسة والشّمامسة بإيقاء الشّموع والمباخر ليلاً، وحمل الصّلبان، وإقامة الصّلوات ثُمّ التعميد[4]. وكان الخلفاء الفاطميّون يشاركون الأقباط احتفالاتهم بالعيد. حيث ينزل الأقباط في المراكب ليلاً ومعهم المشاعل والمغاني وضاربات الطّار، والمزمار والشّبابة[5]، ممّا استدعى تدخّل الخليفة الفاطميّ ومنع المسلمين من الاختلاط بالأقباط عند نزولهم للبحر ليلاً[6].

خميس العيد: ويأتي هذا العيد قبل الفصح بثلاثة أيام، وسنتهم فيه أن يملئوا إناء من ماء، ويصلون عليه، ثم يغسل للتبرك به أرجل سائر النصارى. ويزعمون أن المسيح فعل هذا بتلامذته في مثل هذا اليوم، كى يعلمهم التواضع، ، وأن يتواضع بعضهم لبعض. ويهادى النصارى بعضهم بعضًا، ويهدون إلى المسلمين أنواع السمك المنوع، مع العدس المصفى.[7]

---

(1) ابن الراهب، تاريخ أبي شاكر، ص141؛ سعيد ابن البطريق، التاريخ المجموع، ص128.

(2) الأرمني، تاريخ، ص67؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص501.

(3) مدبك، الكنائس الشرقية، ج2، ص124-123.

(4) المسبحي، أخبار مصر، ص 71-70؛

(5) ابن الحاج، المدخل، ج2، ص59، ج1، ص246.

(6) المسبحي، أخبار مصر، ص71-70.

(7) القلقشندي، صبح، ج 2، ص 417.

عيد الميلاد المجيد: في التّاسع والعشرين من شهر كيهك (نيسان) كان الأقباط يحتفلون بعيد الميلاد العظيم[1]. حيث ينهي الأقباط صومهم الذي يبدأ في التّاسع عشر من شهر هاتور (آذار)، بعد أن يكونوا قد صاموا ثلاثة وأربعين يومًا[2]. فيحتفلون ومعهم دولة الخلافة الفاطميّة بالعيد، حيث أصدر الخليفة الآمر بأحكام الله أوامره في سنة 517هـ/1123م بتوزيع الجامات القاهرية والجامات السّميد وقرابات الجلاب وطيافير الزّلابية والبوري والمال على ما جرت به العادة[3]. وكما يحتفل سكّان الصّعيد أقباطًا ومسلمين بالعيد وذلك بشراء الحلوى والفواكه، وإيقاد الشّموع ذات الألوان الجميلة، وكذلك إيقاد المصابيح والحطب كما كان هذا يحدث في قرية أسنا[4].

عيد الصليب: كان اقباط مصر يحتفلون بعيد الصليب في اليوم الرابع عشر من شهر رجب سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة، يعتقد النصارى انه في هذا اليوم عثرت الملكة هيلانا ام الامبراطور قسطنطين على الصليب الذي صلب عليه المسيح. حيث يخرج الناس فيه عن الحد في الاقبال على شرب الخمر واللّهو، وانواع المحرمات والفسق مما دفع الخليفة العزيز والحاكم بمنع الاحتفال في هذا العيد. ويذكر المقريزي ان الاحتفال بعيد الصليب تم إلغائه نهائيا بديار مصر الفاطمية.[5]

عيد الشّهيد: في الثّامن من شهر بشنس (ايلول) في التّقويم القبطيّ يحتفل المسيحيّون في مصر بعيد الشّهيد، ويعتقدون أنّ ماء النّيل لا يزيد إلاّ إذا أُلقي فيه تابوت من خشب فيه أصبع من أصابع أسلافهم. والتّابوت موجود في كنيسة شبرا وفي العيد يجتمع المسيحيّون بكنيسة شبرا،

---

(1) قاسم، أهل الذمة، ص155.

(2) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص211، الخطط، ج2، ص154، 501.

(3) الأرمني، تاريخ، ص133.

(4) المصدر نفسه، ص10، 120.

(5) المقريزي، خطط، ج 1، ص 367

ويحتفلون بركوب الخيل[1]، ويخرج أهل القاهرة ومصر لينصبوا الخيم على شواطئ النّيل بحيث يجتمع كافة أفراد المجتمع المصري بجمع عظيم، ويباع الخمر، ويباع في اليوم ما يزيد على (5000) دينار.[2]

عيد الشّعانين (الزّيتونة): يحتفل الأقباط بعيد الشّعانين في اليوم الثّاني والأربعين من الصّوم المقدّس، ويعرف هذا العيد بعيد الشّعانين (ومعناه التّسبيح)[3]. ويُقام احتفال دينيّ خاصّ في حديقة المطرية التي يوجد بها بئر البلسم، وفي العيد يخلط الأقباط ماء المعمودية مع دهن البلسان، لقدسية هذا النبات ويستحمّون فيه للشفاء إيمانًا بقدسية بئر المطرية[4]. وكان عيد الشعانين يُمثّل دخول السّيّد المسيح عليه السّلام إلى القدس من الجبل ومعه الناس يسبّحون بحمد ربّهم[5]. وقد حظيت مدينة الإسكندرية كمركز للبطريركية القبطية باحتفالات خاصّة في العهد الفاطمي، حيث ينطلق موكب الاحتفال ليلاً من بيعة القديس أبو سرجة مارًّا بالمحجة والسّوق، ووصولاً إلى بيعة السّطير، وهم يوقدون الشّموع والبخور في الكنائس والمواكب الاحتفاليّة، كما يقوم البطريرك بتوزيع القمح على فقراء الأقباط ويقوم الرّهبان بأكل الزّيت مع الجلبان[6].

عيد غسل الأرجل (العدس): قبيل الفصح بثلاثة أيّام، وفي ليلة 19/18 من شهر برمودة كان يحتفل الأقباط في مصر الفاطميّة بعيد خميس غسل الأرجل أو العدس، وهو يخلّد ما قام به السّيّد

(1) قاسم، أهل الذمة، ص152.

(2) المقريزي، الخطط، ج1، ص69-68.

(3) ساويرس، تاريخ الكنيسة م2،ج2، ص163، ج3، ص179؛ ألأرمني، تاريخ ص8، ابن الراهب، تاريخ أبي شاكر، ص139.

(4) ابن زولاق، تاريخ مصر، ص19؛ المسبحي، أخبار مصر ص9.

(5) المقريزي، الخطط، ج2، ص154، 501؛ قاسم، أهل الذمة، ص114-113.

(6) ساويرس، تاريخ الكنيسة، م2، ج3، ص180-179؛ الأرمني، تاريخ، ص93-92.

عيسى المسيح عليه السّلام من مباركته لتلاميذه بغسل أرجل المصلّين بالماء في الكنائس ليلاً[1]. ومن مراسم الاحتفال إيقاد الشّموع والبخور المكوّن من: السّندروس أو اللّبان مع المرّ بآنية ذهبيّة في داخل الكنائس[2].

وحظي هذا العيد باهتمام الخليفة الفاطميّ الآمر بأحكام الله، إذ قامت دولة الخلافة بضرب ألف دينار ذهبًا، وعُمِلتْ منها (20.000) خروبة وُزّعت على أرباب السّيف والقلم بهذه المناسبة وذلك سنة 516هـ/1122م[3]. ويأكل الأقباط فيه العدس والسّمك والبيض الملوّن[4].

عيد الفصح (القيامة المقدّسة): كان الأقباط- اليعاقبة يحتفلون في اليوم السّادس والأربعين من الصيام[5] أي 23/آذار- 27/برمهات، بعيد الفصح والّذي يجب أن يكون دائمًا بعد عيد فصح اليهود[6]، ثمّ يليه بثلاثة أيّام أي في اليوم التّاسع والأربعين من الصّيام الموافق لليوم الثّاني والعشرين من شهر برمودة عيد القيامة المقدّسة[7]، وهو يخلّد اليوم الّذي خرج فيه النّبيّ عيسى من القبر بعد الصّلب وأقام على الأرض لمدّة أربعين يومًا، ثُمّ رُفع إلى السّماء[8]. ومن المظاهر الاحتفالية بالعيد، اجتماع الأقباط بقنطرة المقس داخل الخيام المنصوبة، ويلعبون مع نسار سركانات، متهتكات

---

(1) قاسم، أهل الذمة، ص114.

(2) الأرمني، تاريخ، ص10.

(3) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص196.

(4) الشربيني، هز القحوف، ص15.

(5) لا يحل أكل اللحوم والجماع في فترة الصوم، والتي مدتها خمسون يوماً، المقريزي، الخطط، ج2، ص501.

(6) المقريزي، الخطط، ج2، ص501.

(7) سعيد البطريق، التاريخ المجموع، ص93-92، 128؛ ساويرس، تاريخ الكنيسة: م2،ج1، ص37، م2،ج2،ص10، 133.

(8) مفرج، المجتمعات الدينية، ص19.

محمولاتٍ في قفاف الحمّالين[1]. وفيه يطبخ المصريّون، أقباطًا ومسلمين، العصيدة المكوّنة من الطّحين والسّكّر والبلح مخلوطًا بالماء أو الزّبدة[2].

أعياد اليهود

تمتّع اليهود عادة في عهد الخليفتين الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله بالحكم الدّينيّ الذّاتيّ في مصر الفاطميّة، حيث سكنوا في المدن الكبرى واحتفلوا بأعيادهم الدينية بحرّيّة وأمان وازدهار اقتصاديّ[3]. لقد منح الخليفتان الجالية اليهوديّة الاحتفال بمناسباتهم الدّينيّة بدون تدخّل من قبل الدّولة، حيث شكّل الكنيس مركزًا دينيًا وحضاريًا واجتماعيًا لليهود فيما يتعلّق باحتفالاتهم وأعيادهم الدّينيّة وإقامة الشّعائر والطّقوس الدّينيّة الّتي تختصّ بكلّ عيد[4].

حساب الأعياد اليهودية: يتمّ حساب أعياد اليهود عن طريق التّقويم اليهوديّ. يعتمد التّقويم اليهوديّ المعاصر على خوارزمية[5] ترصد ظهور الهلالات المشيرة إلى غرّة شهر جديد، وكذلك تلائم بين الدّورة القمريّة والدّورة الشّمسيّة حيث يحلّ كلّ عيد في موسمه المعين كلّ سنة وعند ظهور صورة معيّنة للقمر. وتتشابه خوارزمية التّقويم اليهوديّ مع الخوارزمية الّتي تحدّد موعد عيد الفصح

(1) ألأرمني، تاريخ، ص 133؛ ابن الحاج، المدخل، ج2، ص59.

(2) المسبحي، أخبار مصر، ص21–20؛ سلطان، المجتمع المصري، ص243.

(3) وثائق الجنيزا القاهرية، وثيقه رقم 2IT.615 ، جامعة القدس ، قسم المخطوطات والوثائق؛ يعقوب ليف، اليهود في المجتمع الإسلامي في العصور الوسطى، جامعة تل-أبيب، 2000، ص170.

(4) وثائف الجينزا، وثيقة رقم 22، Ts12، تحاميا ليفتسون، الشامل والتوثيق لأهل الذمة تحت الحكم الإسلامي، القدس، 1978، ص38.

(5) خوارزميه، مصطلح يطلق على التقويم اليهودي الذي يعتمد على مزيج من الدورة القمرية والشمسية ويخدم الجاليات اليهودية حتى يومنا هذا. (محمد الصايغ، التقويم الهجري، ص128)

المسيحيّ. ويبدأ كلّ من الأعياد اليهودية قبل غروب الشّمس بنصف ساعة تقريبًا، وينتهي في اليوم التالي عند ظهور النّجوم (أي 25 ساعة بالمعدل)[1].

إحتفل اليهود بأعيادهم في الدّولة الفاطميّة بحرّية دينيّة وشرعيّة، وأهمّ أعيادهم كانت:

عيد رأس السّنة (روش هاشانا): يحلّ عيد رأس السّنة العبريّة بعد انتهاء شهر أيلول العبريّ، وقد حدثت أضحية إسحاق حسب العقيدة اليهودية في رأس السّنة العبريّة، كما أنّ الملائكة بشّروا سارة بولادة إسحاق في مثل هذا اليوم أيضًا[2].

عيد الغفران: هو أقدس وأهمّ الأعياد على الإطلاق لديهم. عيد الغفران هو اليوم العاشر من شهر تشري، الشّهر الأول في التّقويم اليهوديّ، يعتبر من أهمّ الأعياد اليهودية كونه يومًا مقدّسًا مخصّصًا للصّيام والصّلاة فقط، ويعتبر عيد الغفران اليوم المتمّم لأيام التّوبة العشرة والّتي تبدأ بيوم رأس السّنة اليهوديّة. يعتقد المتديّنون اليهود أنّ هذا اليوم هو الفرصة الأخيرة لتغيير المصير الشّخصيّ أو مصير العالم للسّنة الآتية. وهو يوم عطلة كامل يمنع به السّفر أو العمل أو الكتابة بقلم أو إشعال النّار، أو أي عمل آخر[3]. ويُمنع به، أيضًا، التّمتع أو الاستحمام أو الاغتسال، وبحسب الدّيانة اليهودية أنّ الله يغفر الذنوب ويطهّر النّفوس في هذا اليوم عن طريق الصّيام والدّعاء

(1) وثائق الجنيزة، وثيقه رقم 15 2IF.7.

(2) Goitein, S.D. The Cairo Geniza as Source for the History of Muslim Cavitation, Studia Islamica, VIII, 1955, p. 82: المقريزي، خطط، ج 3، ص 281؛ عطره صموئيل ، اهل الذمة في العصر الفاطمي، القدس، 1998ص 88

(3) وثائق الجينزا القاهرة، جامعة تل-أبيب – قسم المخطوطات والوثائق؛ المقريزي، خطط، ج 2، ص 472؛ اشتور شيتراوس، اليهود بمصر في ظل الفاطمي والأيوبي، القدس، ج2، 1970، ص 237.

والاستغفار، لأنّه في هذا اليوم نزل سيّدنا من سيناء ومعه لوح يتضمّن الشّريعة اليهوديّة، وفيه إعلان أنّ الرّبّ، سبحانه وتعالى، غفر لليهود خطاياهم بعد عبادتهم العجل الذّهبيّ[1].

عيـد التّدشـين (حانوكـه): المناسبة التاريخيـة لهـذا العيـد هـي دخـول يهـودا الحـشموني (أو المكابي) القدس وإعادته للشّعائر اليهوديّة في الهيكل، ومن هنا كانت تسميته بعيد التّدشين[2]. ويقع في اليوم الخامس والعشرين من الشّهر التاسع ويستمر ثمانيـة أيّام ولياليهم، ويسمّى أيضًا عيد الأضواء[3].

عيد المظله– العُرش (سوكوت): يبدأ هذا العيد في الخامس عشر من الشّهر السّابع بعد عيد الغفران بخمسة أيّام. عيد المظال ترجمة إلى كلمة "سوكوت" العبريّة هي صفة الجمع لكلمة مظلّة، وعيد المظال ثالث أعياد الحجّ عند اليهود إلى جانب عيد الفصح وعيد الأسابيع، وقد سُمّي هذا العيد على مدى التاريخ بعدة أسماء من بينها "عيد السّلام" و"عيد البهجة" وهو يبدأ في الخامس عشر من شهر تشرين (أكتوبر)، ومدّته سبعة أيام، بعد عيد يوم الغفران[4]. والمناسبة التاريخيّة لهذا العيد هي إحياء ذكرى خيمة السّعف التي آوت العبرانيّين في العراء أثناء الخروج من مصر، وكان هذا العيد في الأصل عيدًا زراعيًّا للحصاد، وكان يُحتفل فيه بتخزين المحاصيل الزّراعيّة الغذائيّة للسّنة كلّها، ولذا فإنّه يُسمّى بالعبرية "حاج هسوكوت" أي "عيد الحصاد" أو "عيد العرش". وفي إسرائيل يُحتفل باليوم الأوّل من أيّام عيد المظلّة على أنّه يوم مقدّس[5].

---

(1) المقريزي، خطط، ج2، ص 476؛ اشتور، يهود مصر، ج2، ص 253.

(2) المقريزي، خطط، ج2، ص 278؛ باتيا أور، يهود، ص 68.

(3) Goitein, S.D., p. 92; Cairo Geniza h, Ri42, E5. يعقوب ليف، اليهود في مصر، حيفا، 1990، ص 68

(4) وثيقة الجينزا القاهرية، رقم 10: ENA280f11؛ نحاميا ليفتسون، الاستبصار، سجل ماسة كورفوس، 1990، ص59.

(5) Goitein, S.D., p. 98. شمعون شورتسيوكس، تاريخ يهود مصر، وزارة المعارف،القدس،1998،ص 22

عيد الفصح (بيساح): عيد الفصح أو "عيد الفسح" هو المصطلح العربيّ المقابل للكلمة العبرية "بيساح". يبدأ عيد الفصح في الخامس عشر من شهر نيسان ويستمرّ سبعة أيّام في فلسطين وعند اليهود الإصلاحيّين، وثمانية أيّام عند اليهود المقيمين خارج فلسطين. ويُحرّم العمل في اليومين الأوّل والأخير، وفي اليومين الأوّلين واليومين الأخيرين خارج فلسطين. وتقام الاحتفالات طوال الأيّام السّبعة، أمّا الأيّام الأربعة الوسطى فيلتزم فيها بتناول خبز الفطير.[1]

عيد الأسابيع (هشفوعوت): عيد الأسابيع ويشار إليه بالعبرية بكلمة "شفوعوت" أي "الأسابيع"، وعيد الأسابيع أحد الأعياد اليهودية المهمّة، فهو من أعياد الحجّ الثّلاثة مع عيد الفصح وعيد المظال جنبًا إلى جنب، ويأتي هذا العيد بعد سبعة أسابيع من عيد الفصح ومن هنا تأتي تسميته، ولهذا العيد مناسبة تاريخيّة، وهي نزول التّوراة والوصايا العشر على موسى فوق جبل سيناء[2].

(1) أوراق الجنيزا، مخطوطة أ، رقم 26؛ بات أور، اليهود في الدولة الفاطمية، ج1، 1974، جامعة حيفا، ص 103.

(2) أوراق الجنيزا، مخطوطة أ، رقم 27؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج2، ص 436؛ بات ينور، اليهود، ص45؛ مناحيم بن ساسون، نشوء الجالية اليهودية في بلاد الإسلام، القدس، 1996، ص 388.

خامسًا: عوامل عدم الاستقرار الاجتماعيّ

الكوارث في مصر

تعرّضت مصر في زمن الخلافة الفاطمية إلى كوارث طبيعيّة تمثّلت في توقّف ماء النّيل أو تأخّر فيضانه الأمر الّذي أدّى إلى تشقّق الأرض[1]، وإلى هبوب عواصف رمليّة في بداية فصل الربيع، وقد وصفها المقريزي بأنّها: "رياح سوداء مظلمة تحمل ترابًا يؤدّي إلى إتلاف المزروعات وخاصّة الزّراعات الصيفية كالأرز والسّمسم والقلقاس وقصب السّكّر" [2]، ورافق هبوب الرّياح انتشار الحمّى ومرض الجذام (Lepros)، والجرب لكثرة عفونة الطّقس في القرى والمدن[3]. ونتيجة لهبوب العواصف الرّمليّة اضطرّ سكّان القاهرة ومصر (الفسطاط) وسكان القرى للهروب من منازلهم ودكاكينهم إلى الصّحراء، ولا يعودون إليها إلاّ بعد المغرب عند هدوء هبوب العاصفة[4]، ومثال ذلك ما حدث في سنة 504هـ/1110م في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، وكانت بعض العواصف تستمرّ لمدّة ثلاثة أيّام وذلك سنة515هـ/1122م، وهذا معناه تلف مباشر للمحاصيل وانتشار للأمراض ثمّ الفناء أي الموت[5].

وكانت الكارثة الأخرى شغب الجند في مصر، وانعدام الأمن في المدن والقرى، ونهبها، وقتل الوزراء، وعشرات الآلاف من الجند، ممّا أدّى إلى اضطراب سياسيّ وامني.[6]

---

(1) المقريزي، إغاثة الأمة، ص41.

(2) المقريزي، إغاثة الأمة، ص29.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص202؟

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص172؛ ابن ظافر، الدول المنقطعة، ص90.

(5) المقريزي، إغاثة الأمة ص29.

(6) المصدر نفسه، ص 30.

يوضّح الجدول الآتي تفصيلات الكوارث:

السنة	الحدث
502/1109م	هبوب رياح سوداء على القاهرة من العصر إلى المغرب
504هـ/1111م	أ- هبوب رياح حمراء على مدينة القاهرة. ب- هبوب رياح سوداء مظلمة على مصر (الفسطاط) وأعمالها وسفت رماذا أسود من العصر إلى المغرب.
505هـ/1112م	إنتشار الأوبئة والأمراض، ووفاة (60.000) إنسان[1]
514هـ/1121م	مرض الوزير الأفضل بن بدر الجمالي بالحمّى، فاستدعى الطّبيب وشفي منه ودفع له أجرة (300) دينار.
515هـ/1123م	إرتفاع الأسعار، فقام الباعة بغشّ الزّيت الطّيب والسّيرج.
524هـ/1131م	إرتفاع الأسعار، ثورة العسكر وقتل الوزير هزار، ونهب مدينة القاهرة من باب الفتوح- باب زويلة، ونهبت القيسارية وهذا أوّل نهب في القاهرة، كما نهب سوق جزيرة الرّوضة.
526هـ/1131م	نهب الأسواق والدّور والحوانيت.
527هـ/1132م	أعمال قتل ونهب للقرى من قبل طائفة السّودان (العسكر) في ولاية الشّرقيّة.
528هـ/1133م	فتنة ما بين طائفتي: الجيوشيّة والرّيحانيّة، كان نتيجتها كقتل (5000) عسكريّ. ظهور أوباش العسكر وأوّل مصيبة نزلت بالدّولة لفقد رجالها[2].
529هـ/1134م	أ- إجتماع (10.000) ما بين راجل وفارس في القاهرة طالبوا بخلع الخليفة الحافظ لدين الله وابنه. ب- بهرام الأرمني ومعه مجموعة من الأرمن والعربان (البدو) الذين قاموا بنهب القرى والضياع، ولما وصلوا إلى القاهرة نهبوها.
532هـ/1137م	إرتفاع السّعر لتوقّف النّيل، حيث نال النّاس مجاعة.[3]
533هـ-534هـ 1138-1139م	أ- ارتفاع الاسعار بصورة لا مثيل لها. ب- نهب دار الوزارة في القاهرة، وهروب الوزير رضوان بن ولخشي إلى الصّعيد، وصراع العسكر.[4]
536هـ-537هـ	إرتفاع الأسعار فعُدِم القمح والشّعير والفرخ والدّجاج. عمّ الوباء بديار مصر، كثر

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص170.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص173.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2،ص247؛ إغاثة الأمة، ص27.

السنة	الحدث
1141-1142م	الموت، وهلك من النّاس ما لا يُحصى[1].
538هـ/1143م	وقع الغلاء بمصر، سنة صعبة لا أعادها الله على المسلمين.[2]
541هـ/1146م	ثورة الأمير بختيار في الصّعيد، نهب وتدمير للقرى والمحاصيل، قتال بين جند رضوان بن ولخشي وجند الخليفة الحافظ عند جامع ابن طولون.
543هـ/1148م	ثورة قبيلة لواته، والخليفة يَعِدُ عسكره بالإقطاعات.
544هـ/1149م	صراع مسلم ما بين طائفتين: الجيوشية والريحانية، نتج عنها قطع الطّرق ما بين القاهرة ومصر من 18/جمادي الأولى إلى 4 جمادي الآخرة، وأعمال نهب في الجيزة وقراها.

يتّضح من الجدول السّابق أنّ الدّور الأكبر لعدم استقرار المجتمع في مصر في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله (495-524هـ/1101-1131م) يعود للكوارث الطّبيعية وخاصّة العواصف الرّملية "الرّياح السوداء والحمراء"[3]، الّتي تحمل معها رمالاً، فكانت النّتيجة تلفَ المزروعات وضررًا بالحيوانات، وانتشارًا للأمراض والأوبئة، وخاصّة الحميات والرّمد المؤدّي إلى العمى، والوفيات بعشرات الآلاف، كما حدث في سنة 505هـ/1120م إذ توفّي (60.000) إنسان[4]، ورافق ذلك هجرة من القرى والأرياف إلى مدينة القاهرة، ممّا يعني تفاقم الأزمة الصّحّيّة وانتشار الفقراء، وكُلّ هذا رافقه ارتفاع للأسعار[5].

وبالنسبة لفترة الخليفة الحافظ لدين الله (524-544هـ/1130-1149م)، فيلاحظ أنّ شغب الجند، أي الصّراع العسكريّ المسلّح بين طوائف الجنود أدّى إلى نهب مدينة القاهرة من باب زويلة إلى باب الفتوح وهو أوّل نهب يقع للقاهرة سنة 524هـ/1130م[6]، ثُمّ تبع ذلك نهب للأسواق والدّور

(1) أيوب، التاريخ الاجتماعي، ص86؛ ابن ميسر، أخبار مصر، ص134.

(2) الأصفهاني، البستان الجامع، ص313؛ المقريزي، اتعاظ، ج2، ص254.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص192؛

(4) نفس المصدر، ص173.

(5) المقريزي، إغاثة الأمة، ص29.

(6) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص231.

والحوانيت سنة 526هـ/1132م حتّى صار النّهب عادة مستقرّة في كلّ فتنة[1]. وأبرز مظاهر الفترة الواقعة ما بين (527-529هـ/1132-1134م) أدّت الى مقتل (5000) رجل نتيجة للحرب فيما بين طائفتي الرّيحانية والجيوشيّة، فكانت أوّل مصيبة نزلت بالدّولة، ورافقها ظهور أوباش العسكر الّذين قاموا بنهب القرى والضّياع ومدينة القاهرة[2]. أمّا في سنة 533هـ/1138م فتميّزت بنهب دار الوزارة مِن قِبل العامّة[3]، وفي الفترة الواقعة ما بين (541-544هـ/1146-1149م) ازداد فيها شغب الجند وصراعهم، فنهبت ودمّرت قرى في الصّعيد والجيزة، رافقها قيام القبائل البدوية "العربان" بالهجوم على القرى الزّراعيّة ونهب وتدمير محاصيلها، حتى أنّ أهلَ الفلاحة والحرث هَلَك معظمهم لتوالي المحن[4]. وقد أشار محاميد إلى أن المحاولات لتحسين الأوضاع وتثبيت الأمن باءت بالفشل مما زاد الطين بلة [5].

وبالنسبة للفترة الممتدّة من (532هـ/1137م) وحتى (544هـ/1149م) فتشهد تأخّرًا في زمان فيضان نهر النّيل لفترات، نتج عنها ارتفاع للأسعار أدّى إلى غشّ في الأطعمة والأقوات، وانعدام للقمح والشّعير والفرخ والدّجاج، وانتشار للأوبئة والأمراض، ووفيّات بعشرات الآلاف من النّاس[6].

---

(1) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص233.

(2) نفس المصدر، ص240.

(3) نفس المصدر، ص250.

(4) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص240.

(5) محاميد، تطورات ، ص 103-102.

(6) نفس المصدر، ص 233.

الفصل الرابع

الحياة العلمية والعمرانية

أولاً: الحياة العلمية

ثانياً: المؤسسات العلمية: (المساجد، المدارس، البيمارستانات، المكتبات ودور العلم، موضوعات التعليم وأشهر العلماء ونتاجهم العلمي)

ثالثاً: العمران في أيام الخليفتين (القصور، دور الوزارة، القلاع والحصون والأبراج، الحمامات والترب)

أولاً: الحياة العلمية

لقد احتلت مصر في العصر الفاطمي مكانًا مرموقًا بين الدول المعاصرة ونعمت بحركة فكريه، علمية وثقافية واسعة. وكان من مظاهر تطور الحضارة في العصر الفاطمي نشر الثقافة العلمية والأدبية، فضلاً عن الثقافة المذهبية التي تتصل بالمذهب الإسماعيلي[1]. لقد برز اهتمام الفاطميين بإنشاء المؤسسات العلمية والمكتبات والمعاهد الثقافية، كما شجع الفاطميون الأدباء والعلماء والكتاب والشعراء ورجال الفكر والأدب، مما أدى الى خلق نهضه فكريه، ثقافيه في مصر بالعصر الفاطمي، فأصبح أبناء مصر طلابا للعلم وأنصارا للشعر والأدب وأصبحت مصر مقرًا للكثير من أعلام الشرق بفضل معاهدها العلمية والثقافية. كان للجامع الأزهر أثر كبير في النهوض بالحياة الثقافية في مصر بفضل المجالس العلمية التي تم تنظيمها بالأزهر الشريف لتعلم المسائل الفقهية والشرعية والتدريسية[2].

لقد اهتم الخلفاء الفاطميون بخزائن الكتب والمكتبات وبالخطاطين، وشجعوا مجالس الفقه على سائر المذاهب، النحو واللغة والحديث والتاريخ وعلوم السيمياء والكيمياء والفيزياء[3].

(1) Goitein: The Cairo Genize, P. 80-82.

(2) عطا مالك جويني، تاريخ فاتح العالم، ترجون بويل، مانشستر،1958، م 2، ص719.

(3) المقريزي، خطط، جـ1،ص158؛ سرور ، الدولة الفاطمية في مصر ص 178.

ثانياً: المؤسسات العلمية

أ. المساجد

لقد اهتم الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله بترميم وبناء المساجد في مصر في العصر الفاطمي وأهمها:

(1) جامع الأزهر: وضع أساسه جوهر الصقلي سنة 359هـ/970م وتم افتتاحه سنة 971/361م . يشبه تخطيطه تخطيط جامع ابن طولون .لقد اعتبر الجامع الأزهر في العهد الفاطمي مركزا هاما لتعليم الدين والشريعة والفقه. أما اليوم لم يبق من الجامع الفاطمي إلا بقايا صغيرة استخدم الفاطميون عدة أسماء للجامع الأزهر مثل جامع القاهرة، الجامع الانور، الجامع الأقمر، الجامع الأفخر.[1]

كان للجامع الأزهر اثر كبير في النهوض في الحياه الثقافية، الدينية والفكرية في مصر بفضل المجالس العلمية التي تم تنظيمها بالأزهر الشريف لتعلم المسائل الفقهية والشرعية التدريسية[2]. ساهم الجامع الأزهر في تطور العملية التعليمية في مجالات الدين والفكر واللغة العربية وعلوم الدنيا والادب والفن والفلسفة. هذا الأمر أدى إلى تطور المعاهد العلمية والفكرية حتى نهاية الدولة الفاطمية[3].

(1) المقريزي، الخطط، ج2، ص276

(2) أوراق الجنيزا، وثيقه رقم 231-ts16

(3) نفس المصدر، وثيقه رقم 232-tn17

(2) جامع عمرو بن العاص: جامع عمرو بن العاص هو أول مسجد بني في مصر وإفريقيا كلها. بني في مدينة الفسطاط التي أسسها المسلمون في مصر بعد فتحها. كان يسمى أيضا بمسجد الفتح والمسجد العتيق وتاج الجوامع. يقع جامع عمرو بن العاص شرق النيل.([1])

كانت مساحة الجامع وقت إنشائه 50 ذراعاً في 30 ذراعاً وله ستة أبواب، وظل كذلك حتى عام 53هـ / 672م حيث توالت التوسعات فزاد من مساحته مسلمة بن مخلد الأنصاري والي مصر من قبل معاوية بن أبي سفيان وأقام فيه أربع مآذن، وتوالت الإصلاحات والتوسعات بعد ذلك على يد من حكموا مصر حتى وصلت مساحته بعد عمليات التوسيع المستمرة نحو أربعة وعشرين ألف ذراع معماري من الجدير بالذكر، إن مأذنة جامع عمرو ابن العاص تم بناءها في عهد الخليفة الأمر بأحكام الله زمن وزارة الأفضل بن بدر الجمالي.[(2)]

(3) جامع احمد ابن طولون: يُعتبر الأهم بين جوامع القاهرة ، إذ أنه أقدم مسجد باقي على حالته الأصلية بشكل كامل مع بعض الإضافات المملوكية، على عكس جامع عمرو بن العاص الذي محت التجديدات والتوسعات معالمه الأصلية تماماً، وقد أنشأه الأمير أحمد ابن طولون في الفترة بين عامي (263هـ ـ 265هـ/876م–878م) على مساحة ستة أفدنة ونصف، ويشعر زائره برهبة وخشوع عظيم، ومما يسترعى انتباه الزائر مئذنة الجامع بمظهرها الفريد في العمارة الإسلامية بمصر وهذه المئذنة تتألف من قاعدة مربعة تقوم عليها ساق أسطوانية يلتف حولها من الخارج سلم دائري لولبي عرضه 90 سم. ولقد بنى هذا المسجد مهندس قبطى يدعي سعيد بن كاتب الفرغاني

---

(1) القلقشندي، صبح، ج3، ص838. עטרה סמואל – היהדים תחת שלטון הערבים הפטמים והאיובים במצרים , ירושלים 1998 עמ' 12-13.

(2) المقريزي، الخطط، ج2، ص273

.من الجدير بالذكر ان هذا الجامع لعب دور ديني هام في عهد حكم الخليفتين من الناحية الدينية والاجتماعية.[1]

(4) المساجد السبعة 516هـ/1122م: تعريف بالمشاهد السبعة التي بناها الخليفة الحاكم بأمر الله وتعرف بمقابر قريش، وتقع بمصر الفسطاط بجوار الخندق[2].

في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، أصدر الوزير المأمون البطائحي أمرًا في ربيع الأول 516هـ/1122م إلى وكيله أبي البركات محمد بن عثمان أن يتوجه إلى المساجد السبعة التي تقع بين جبل المقطم والقرافة، وأولها مشهد السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب والذي يقع بقنطرة السباع [3]. وآخرها مشهد السيدة كلثوم بنت القاسم الطيب بن جعفر الصادق ويجدد عمارتها ويجعل على كل مشهد لوحًا من رخام عليه اسمه وتاريخ تجديد عمارته[4].

(5) جامع منية زفتي 516هـ/1122م: وتقع منية زفتي قرب الفسطاط على شاطئ النيل، وتم بناء الجامع فيها بأمر من الوزير المأمون البطائحي في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، وبعد أن أكمل البناء عين للمسجد خطيبًا وإمامًا ومؤذنين، وأصبح يصرف له ما للجوامع من مخصصات من أموال الأوقاف الخيرية [5].

---

(1) ابن ميسر، المنتقى من اخبار مصر، ص91؛ المقريزي، اتعاظ، ج3، ص77

(2) المقريزي، الخطط، ج2، ص442.

(3) سعاد ماهر، مساجد مصر، ج1، ص97.

(4) ابن دقماق، الانتصار، ص91؛ سعاد ماهر، مساجد مصر، ج2، ص123-112. מנחם בן ששון-צמיחת הקהילה היהדית בארצות האיסלאם-ירושלים 1996עמ' 383-380.

(5) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص199.

(6) جامع جزيرة قويسنا 516هـ/1122م: تقع الجزيرة ما بين مدينتي القاهرة والإسكندرية، وقد بني الجامع فيها في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله في شوال 516هـ/1122م وبأمر من الوزير المأمون البطائحي[1].

(7) جامع واحات البهنا 517هـ/1123: أمر ببنائه الوزير المأمون البطائحي في شهر شوال 517هـ /1123م في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، لأن الواحات ليس بها مسجد لإقامة صلاة الجمعة. وبعد أن أكمل البناء عين له خطيبًا وأمامًا ومؤذنين، وخصصت لهم مبالغ وأرزاق كغيرهم ممن يعملون في المساجد[2].

(8) الجامع الأقمر 519هـ/1125م: يقع هذا الجامع داخل القاهرة في سوق مرجوش قريباً من باب الفتوح مقابل القصر الشمالي[3]، واكتمل بناؤه في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله سنة 519هـ 1125م. وقام الخليفة الآمر بأحكام الله بشراء حمام شمول ودار النحاس وحبسهما على الجامع، لتغطية نفقاته ووقود مصابيحه[4]. وفي احتفالات الدولة الفاطمية بالموالد الدينية كان خطيب الجامع الأزهر يخطب بحضرة الخليفة الآمر بأحكام الله ويليه خطيب الجامع الأقمر بإلقاء خطبته[5].

يعتبر بناء الجامع الأقمر من أجمل مساجد العهد الفاطمي في مصر، فهو مثال على الفن الهندسي والزخارف المعمارية ونقوش خطية ونباتيه محفورة في الحجر[6]. ومنها النقش الآتي: لا إله إلا الله محمد رسول الله، على ولي الله[1]. وللمسجد صحن مكشوف مربع، ويحيط به سور عريض.

---

(1) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص199

(2) ابن دقماق، الانتصار، ص14.

(3) المسبحي، اخبار مصر، ص48، أيمن سليم الدولة الفاطمية، ص172.

(4) ابن زولاق، أخبار مصر وفضائلها، ص101.

(5) المقرزي، الخطط، ج2، ص290؛ اتعاظ الحنفا، ج2، ص191.

(6) مؤنس، المساجد، ص257.

(9) مسجد التاريخ (522هـ/1128م): يقع هذا المسجد بين الرصد والقرافة الكبرى، ويطل بناؤه على بركة الحبش، وبني في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، بإشراف كبار رجال الدولة ووزرائها، بتكلفة مقدارها (1200) دينارًا[2].

(10) مسجد الأندلس (526هـ/1132م): يقع بمنطقة البقعة بجانب مسجد الفتح، وهو من بناء علم الآمرية أم ابنة الآمر بأحكام الله واسمها ست القصور، وقد أشرف على بنائه أبي تراب[3].

(11) مشهد السيدة رقية 527هـ /1133م: يقع بالقرب من جامع شجرة الدر وبناه أبو تميم تراب (ت 528هـ/1134 م) وكيل السيدة علم الآمرية، وقام ببنائه في عهد الخليفة الحافظ لدين الله، الذي بنى قبة فوق قبرها، كما يوجد فوق الضريح مقصورة خشبية مطعمة بالعاج والصدف. ويعتبر محراب الضريح تحفة فنية لا مثيل لها في مصر، وبه محارة مفصصة تحتوي على اسم "علي" ويحيط به اسم "محمد" سبع مرات[4].

---

(1) سعاد ماهر، مساجد مصر، ص324.

(2) ابن الصيرفي، الإشارة، ص63–64؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص446؛

(3) المقريزي، الخطط، ج2، ص446.

(4) سعاد ماهر، مساجد مصر، ج2، ص126 – 129.

ب. المدارس

لقد تفرد الفاطميون في بناء المؤسسات التعليمية وتفننوا في انشاء المكتبات العامة وجهزوها بالكتب في مختلف الثقافات وكانت مكتبة القصر تضم اكثر من نصف مليون كتاب، كما هيئوا عشرات النسخ من كل كتاب تسهيلا للبحث والتنقيب.

فإذا درسنا الحياة العقلية في العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري وما بعده لاحظنا ان معظم العلماء الأعلام كانوا متأثرين بالعقائد الفاطمية فكان الكثير منهم على صلة دائمة مع اصحاب الشأن في القاهرة امثال ابن حوقل الذي كان متشيعا والفارابي الذي كان يتكلم بلسانهم وابن سينا الذي لمس فيه معاصروه النزعة الإسماعيلية وكذلك جماعة اخوان الصفا في البصرة فقد كان ميلهم الى التشيع واضحا وتعاونهم مع القاهرة امرا معروفا، وكان ابن الهيثم عالم البصريات وثيق الصلة بالدولة الفاطمية حتى عاش في كنف خلفائها، وكان ابو العلاء المعري متأثرا بعقائدهم وقد لوحظت هذه السمة في اشعاره. ان نشأة المدارس في أخر العصر الفاطمي كان هدفها تدعيم الإسلام ضد تحديات اهل الذمة كالأرمن واليهود والاقباط الذين كانوا اصحاب السيادة وعلى الاخص في فترة وزارة بهرام الارمني 529-531هـ/1135-1137م.[1]

اما في المجالات العلمية والأدبية والدينية، فقد تعددت وتشكلت حلقات الدرس في مساجد القاهرة والإسكندرية واسوان وبدأوا يستدعون العلماء من كل حدب وصوب، وكان في الأزهر الشريف اقساما لتدريس المذاهب الإسلامية ومنها المذهب الجعفري، وقد عمت سيادة روح التسامح العقائدي في ارجاء المملكة الفاطمية الى درجة دفعت بالكثير من اعلام الفكر في مختلف الدول الإسلامية الى ترك اوطانهم والهجرة الى مصر هربا من الضغوط السياسية والاضطهاد العقائدي الى جانب

1) ابن ميسر، المنتقى من اخبار مصر، ص122؛ المقريزي، اتعاظ، ج3، ص159.

التخلص من محنة الفقر عندهم. لقد رحبت الدولة الفاطمية بالوافدين من الخارج وهيأت لهم وسائل العيش الكريم واحاطتهم بالمال والجاه، نعم وحتى اغدقت عليهم الخلع والألقاب. وبعد أربعة عشر عاماً من إنشاء المدرسة الحافظية شيد الوزير العادل بن السلار مدرسة ثانيه في الإسكندرية لتدريس المذهب الشافعي وقرر في أن يدرس فيها الحافظ الشهير أبو الطاهر السلفي وذلك في العام 546 هـ /1150م.[1]

من أهم المدارس في عهد الخليفتين:

(1) مدرسة دار العلم: أسست في عهد الخليفة الحافظ لدين الله سنة 534هـ/ 1139 م. تولى التدريس فيها: قاضي القضاة هبة الله بن حسن الأنصاري الأوسي المعروف بابن الأزرق، وأبو الحسن علي بن إسماعيل، وأبو الطاهر إسماعيل بن سلامة الأنصاري الذي نُعت ب "الموفق" في الدين، وبقي يدرس بها لغاية سنة 535هـ/1140م، وبلغت أجرته من التدريس (40) دينارًا في كل شهر[2].

(2) المدرسة الحافظية: بناها الوزير رضوان بن ولخشي في الإسكندرية عام 533 هـ/ 1138 م، وسميت بالحافظية نسبة إلى الخليفة الحافظ الشيعي الذي سمح لوزيره السني أن يبني المدرسة في الإسكندرية معقل السنيين. واشتملت المدرسة على مساكن الطلاب ومأوى لجميعهم. وعرفت هذه المدرسة باسم المدرسة العوفية نسبة الى أول مدرس للفقه المالكي أبي طاهر بن عوف. وقد تم فيها تدريس العلوم الشرعية[3].

---

(1) القلقشندي، صبح الاعشى، ج1، ص44

(2) ابن ميسر ، المنتقى، ص132؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص251-252.

(3) الشيال، مجلة كلية الأدب جامعة الإسكندرية، 11، 1957، ص3.

ج. البيمارستانات

"البيمارستان" لفظة فارسية الأصل مُركّبة من كلمة "بيمار" وتعني مريض أو مُصاب، و"ستان" وتأتي بمعنى دار. وبهذا يكون معنى "بيمارستان" "دار المرضى"، واختُصِرَت في ما بعد في الاستعمال فأصبحت تُلفَظ "مارستان". وأُطلِقَت هذه اللفظة على المستشفيات في العصور الإسلامية وأخذت أحياناً تسمية أخرى، هي "دار الشفاء". وهي بمثابة المستشفيات العامة التي تعالج فيها جميع الأمراض الباطنية والجراحية والرَمَدِية والعقلية. ولما أصابتها الكوارث هجرها المرضى إلا من المجانين حيث لم يكن لهم مكان سواها فأصبحت الكلمة مرتبطة بهؤلاء المرضى فقط ولقد انتشرت البيمارستانات انتشاراً كبيراً في العالم الإسلامي. لم يتم العثور على أي مرادف لكلمة البيمارستان في المصادر التاريخية ولم يستخدم المسلمون سوى لفظ كلمة البيمارستان، حتى نهاية العصر العباسي.[1]

البيمارستانات الإسلامية في عهد الدولة الفاطمية

استمر وجود البيمارستانات في العصر الفاطمي، فيشير ابن القلانسي إلى وجود البيمارستان العتيق، وهو من بيمارستانات دمشق المشهورة في الدولة الفاطمية، ومكانه تحت المئذنة الغربية للجامع الأموي، وهو في غاية الروعة من الازدهار، والبيمارستان الصغير موضعه إلى الجنوب من الجامع الأموي، والبيمارستان الواقع بباب البريد وجميع هذه البيمارستانات شهدت تقدماً في العهد الفاطمي من تقديم علاج وخدمات للمرضى، خصوصاً قبل أن ينشأ البيمارستان النوري والهدف الرئيس هو

(1) ابن الطوير، نزهه المقلتين، ص132

التخفيف من معاناة العامة في دمشق خصوصاً بعد انتشار الأوبئة والأمراض في عهد الدولة الفاطمية ولقد اهتم الفاطميون بالطب وأغدقوا عليه الأموال وبنوا البيمارستانات وطوروها.[1]

كما جعل الفاطميون الأطباء يداومون على الخدمة في القصور لتطبيب الخلفاء، ومن اعتل من أهل الحكم، هذا وبقيت البيمارستانات في العهد الفاطمي تابعة للمعاهد العلمية، يتخرج منها الأطباء في جميع الاختصاصات كالأمراض الداخلية، والجراحة وأمراض العيون، كما شهدت البيمارستانات الفاطمية إجراء العمليات الصعبة، فقيل أن الطبيب عماد الدين ابن علي الموصلي400هـ/1009م سكن القاهرة أيام الخليفة الحاكم بأمر الله، وكان خبيراً بمداواة العيون، وإجراء العمليات الجراحية الكبرى داخل البيمارستان، وله مؤلفات طبية في العيون ومداواتها، وذكر أنه قام بست عمليات لقدح الماء الأبيض في العين وهذه العمليات الجراحية ما كانت تقوم إلا بوجود البيمارستانات وبالإشراف عليها، أو إنشائها كالبيمارستان الكبير في القاهرة، والذي راعاه الخليفة الحاكم عام 384هـ/ 994م ، فكان الخليفة يغدق على الأطباء الهدايا والأموال الكثيرة، كي يشجعهم على الاهتمام بهذه الصنعة وتطويرها.[2]

اهتم الخلفاء الفاطميون في مصر بالعلوم الطبية فعملوا على إدامة البيمارستانات[3] (المشافي) التي بُنيت قبل وصولهم إلى مصر ومنها:

---

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 142.

(2) ابن ابي اصبيعه، عيون، ص 155.

(3) البيمارستان: كلمة فارسية تتكون من مقطعين: بيمار وتعني مريض أو مجنون وستان مكان، فهي مجمع المرضى. الخفاجي، شفاء الغليل، ص49؛ أدي شير، معجم الألفاظ الفارسية، ص33.

ألبيمارستان العتيق: (261هـ/874م-821هـ/1481م)، والذي بُني في عهد أحمد بن طولون بجانب جامعه على جبل يشكر[1]، واستمر يقدم الخدمات الطبية للرعية دون الجند طوال العهد الفاطمي وحتّى وفاة المؤرخ الموسوعي القلقشندى 821هـ/1418م[2]. وأحتوى المشفى على قسم لضعاف العقول[3]، وميضأتين: الأولى للوضوء والشرب والثانية لتغسيل الموتى[4]، كما ألحق بالمشفى حمامين: الأول للنساء، والثاني للرجال[5]، وخزانة للشراب (صيدلية)، وحرص الخلفاء الفاطميون على زيارتها، وفيها المعاجين والمراهم في السكارج الصيني[6].

وممن عمل فيها: أطباء الخاص، ومهمتهم فحص الأدوية، وكتابة الوصفات، وحامي الخزانة، وهو من كبار الأستاذين وعلاقته بالخليفة الفاطمي مباشرة[7]، ثم المستخدمون ويقومون بإحضار الأدوية إلى الشاهد مباشرة، ويليهم شاهد الخزانة ومهمتهُ تذوق الأدوية أمام الخليفة بعد إحضارها، بحضور أطباء الخاص، وهناك موزع للدواء، في المشفى على المرضى.[8]

والمشفى جزءٌ من مهام المحتسب الذي يأخذ على الأطباء العاملين فيه عهد أبقراط، ويمتحنهم[9]، ومن العاملين فيه كذلك: الجراحون ومهمتهم الجراحة " البط" وفصد الأوردة، وبتر الشرايين، وقطع البواسير بالمباضع المختلفة الأشكال والأحجام، وقطب الجروح ومعالجتها إلى أن

---

(1) يشكرين جديلة من قبيلة لخم: أنظر: ابن دقماق، الانتصار، ص122.

(2) أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات، ص67-72.

(3) المسبحي، أخبار مصر، ص35؛ رمضان، المجتمع في مصر، ج2، ص258-259.

(4) الخفاجي، شفاء الغليل، ص198.

(5) ابن دقماق، الانتصار، ص99.

6 **السكارج**: مفردها سكرجة وهي مقرب الخل؛ (أدي شير، معجم الألفاظ الفارسية، ص10.)

(7) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص130-131.

(8) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص130.

(9) المسبحي، أخبار مصر، ص107، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص214؛ أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات، ص52-53.

تبراً[1]. ثم الكاحلون " أطباء العيون" مع الإشارة إلى كحالي الطرقات، فهؤلاء لا يوثق بهم. وأخيراً المجبرون لكسور العظام[2]. وفيما يتعلق بعلاقة الخلفاء الفاطميين بالأطباء، فيلاحظ أنَّ الطبيب الخاص للخليفة هو من أهل الذمة: النصارى أو اليهود، فالطبيب يعقوب بن نسطاس النصراني، كان طبيب خاصًا للخليفة الحاكم بأمر الله[3].

د. المكتبات ودور العلم (خزائن الكتب)

لم يكن الفاطميّون بمصرَ أقلّ من إخوانهم العباسيين اعتناءً بالعلم والعلماء، وقد كان في مقدمة ما اعتنوا به جمع الكتب، وبخاصّة النادر منها في كلّ فنٍّ وعلم، وكثيرًا ما كانوا يحرصون على اقتناء نُسخٍ من مختلف الكتب بخطِّ مؤلّفيها، يدفعون في سبيل ذلك أغلى الأثمان، مبالغةً في التحقيق والتدقيق، هذا فضلاً عن تنسيق تلك الكتب وتبويبها والمحافظة عليها وفقَ نظام دقيق، تيسيرًا للرجوع إليها والاغتراف من مناهلها[4].

وحين تولّى الخليفة الفاطميّ العزيز بالله الخلافةَ عام 365هـ/975م استوزر يعقوب بن كلس، وكان محبًا للكتب، كلفًا بها، فأنشأ مكتبةً ضخمةً عُرفت باسم (خزانة الكتب) بذل أموالاً طائلة لتغذيتها بالمؤلّفات النادرة والمهمّة في التاريخ والأدب والفقه.. وذُكر أنّه كان فيها أكثر من ثلاثين نُسخة من كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، منها نسخة بخطِّ يده ، وعشرون نسخة من كتاب الطبريّ، ومئة نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد؛ وقد أورثَ العزيز بالله ابنه الحاكم بأمر الله (386هـ- 411هـ/996-1020م) حبَّ الكتب، فأنشأ (دار العلم حيث أقام بها القرّاء وأصحاب اللغة

---

(1) الشربيني، هز القحوف، ص30.

(2) أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات، ص46-55.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص368.

(4) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج3، ص120.

والنحو والأدب والطّب وأجرى لهم الأرزاق، وأباحَ الدخول إليها لسائر الناس، وجعل فيها ما يحتاجون إليه من الورق والأقلام والحبر .. وقد وصل عدد الكتب فيها إلى ما يقارب المئة ألف كتاب[1].

كان عدد نُسخ المكتبة الفاطميّة تزداد بمرور الأيّام والأعوام حتى بلغ عدد النسخ من كتاب (تاريخ الطبري) عند استيلاء صلاح الدين الأيوبيّ على مصر 1200 نسخة، وكان فيها 2400 ختمة قرآن بخطوطٍ محلاة بالذّهب، فلا عجبَ أن يقول المقريزيّ أنّه كان فيها أكثر من مليونٍ وستِّمِايةِ ألفِ كتاب في الفقه والنحو واللغة والحديث والتاريخ والنجامة والروحانيات والكيمياء، ومنها ثمانية عشر ألف كتاب في العلوم القديمة، وفيها ستّةُ آلافٍ وخمسُمِايةِ جزءٍ من كتب النجوم والهندسة والفلسفة والفلك، وهذا يعني أن عددَ الكتب في الخزانة التي أنشأها العزيز بالله الفاطمي منذ تأسيسها (365هـ-975م) إلى أن استولى صلاح الدين على الإرث الفاطمي في مصر (567هـ-1171م) قد زاد بما يقارب الستين ضعفًا، وقستُ ذلك على زيادة نسخ كتاب الطبري، فقد كانت عند تأسيس الخزانة عشرين نسخة، وبلغت 1200 نسخة عند استيلاء صلاح الدين على مصر[2].

لقد أصاب المكتبات الفاطمية الكثير من المحن على طول الفترة التي حكموا فيها، ولا سيما في عهد المستنصر بالله الفاطمي (ت487هـ/1094مـ)، فقد أصبحت الكتب تؤخذ من القصور الفاطميّة سدادًا للدّيون، وتم سرق قسم من الكتب وأخر تم حرقه ، وبقي منها ما لم يحرق، وسفَت عليه الرّياحُ الترابَ، فصار تلالاً باقية إلى اليوم في نواحي آثار تعرف بتلال الكتب.[3]

من الجدير بالذكر أن القصر الفاطمي اشتمل على مكتبه لم يكن لها مثيل في أي مكان أخر في العالم آنئذ. وقد احتوت مكتبة القصر كتب نادره مثل القواميس والمعاجم وغيرها، لكن مكتبة

---

(1) المقريزي، الخطط، ج2، ص163.

(2) المقريزي، الخطط،ج2،ص1

(3) المقريزي، الخطط ، ج2 ص164

القصر فقدت كثيرا من الكتب والمحتويات خلال فترة المستنصر نتيجة للاضطرابات الداخلية، وما تبقى من المكتبة في فترة الامر والحافظ لدين الله وضع في احدى غرف قصر الخلافة الذي تحول الي بيمارستان بعد سقوط الفاطميين سنة 567هـ/1171م.[1]

احتوت خزانة الكتب في البيمارستان العتيق على ما يزيد على (200,000) كتاب محلاة بالذهب والفضة، في الفقه، والحديث، والنحو واللغة، والتاريخ، والتنجيم (الفلك)، والروحانيات، والكيمياء. فكانت من عجائب الدنيا[2]، وصنّفت الكتب في مجموعات حسب الموضوعات، ووضعت في خزائن لها أقفال، ووضعت ورقة على باب كلٍ منها تبين الكتب التي في الخزانة. وممن عمل بها: المشرفون، والشهود، والنسّاخ، والفراشون[3]. ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الخلفاء الفاطميين حرصوا على زيارة مكتبة البيمارستان العتيق بقصد المطالعة، فكان الخليفة الفاطمي كما ورد في المصدر يجلس على الدكة المنصوبة، فيُحضِرُ إليه المشرف ما يقترحه من الكتب. وقام المشرفون بإعارة الكتب للخلفاء والعلماء[4].

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص105؛ حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج4، ص195-197.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص309،ج2، ص126-127؛ الخطط، ج1، ص408-409؛ أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات، ص70.

(3) المقريزي، الخطط، ج1، ص409.

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص130-131.

دور العلم

خزانـة دار العلـم/ دار الحكمـة: هـي إحدى مبـاني دار الحكمـة، التـي بُنيت فـي عهد الخليفـة الحاكم بأمر الله في 10/ جمادي الأخر 395هـ/1004م، وتقع بجانب القصـر الصغير الغربـي بدرب التبـانين، وأشرف عليهـا متولي دار العلـم[1]، وقد جلـس فيهـا: الفقهـاء، والقراء والنحـاة. ومـن أربـاب العلوم الحكمية: الطب والمنطق والرياضيات والحساب، وفُرِشت وزخرفت ووضـع علـى جميـع أبوابهـا وممراتهـا الستور، وعّين لهـا خُدّام وفراشون، وزوّدت بـالحبر والأوراق والأقـلام[2]، واستمرت المكتبـة عامرة طوال العصر الفاطمي ويؤكد ذلك وصول ناسخ الكتب من الشام إلى مصر 506هـ/1112 م ويدعى يـانس، وعيّن فيها بأجرة شـهرية مقدارها (10) دنـانير، و(3) رزم كسوة سنوية[3]. وفـي سنة 516هـ/1122 م أضطر الوزير الأفضل إلى إغلاقها بسبب ظهور "البديعيـة، وادعـاء الربوبيـة" من قبل رجلين همـا: بركـات، والآخر حميد بن مكـي الأطفيحـي القصّار[4]، وهمـا رجـلان انسلخا مـن الإسـلام وسلكا طريـق السحر والشعوذة، أفسدا عقـول النـاس واحرجـاهم عن صـوابهم حتـى قتلهم المأمون سنة 517هـ/ 1123م، وبعد وفاته أَمَرَ الخليفة الأمر بأحكام الله وزيره المأمون بفتحها علـى الأوضـاع الشرعية، فعاد حميد الأطفيحي ينشر دعوتـه، مما دعـا الوزير المـأمون إلى القبض عليـه وعلى جماعته فأعدموا سنة 517هـ/1123م[5] .

---

(1) ابن ميسر، المنتقى من أخبـار مصـر، ص95؛ المقريـزي، اتعـاظ الحنفـا، ج2، ص126-127؛ محاميد، نظـام الحكم والإدارة، ص82.

(2) ابن الزبير، الذخائر والتحف، ص 262؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص408-409.

(3) المقرزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص174.

(4) القلقشندي، صبح، ج3، ص 362.

(5) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص95-96.

نتيجة لما ذكر أعلاه، نُقل مكان دار العلم بجوار القصر الكبير الشرقي، خلف خزانة الدرق من باب تربة الزعفران وذلك في شهر ربيع الأول عام 517هـ/ 1124 م، وقد تولى إدارتها أبو محمد بن آدم[1] وذلك سنة 518هـ/1123م[2].

خزانة كتب الجامع الأزهر: كانت خزانة كتب الجامع الأزهر عامرة في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، وأشرف عليها داعي الدعاة أبو الفخر صالح بأمر أصدره الآمر بأحكام الله الى الوزير المأمون نظرًا لكونه ابن النعمان صاحب المجالس والعلم سنة 517هـ/1123م[3]. اشتملت مكتبة الأزهر على كتب في سائر العلوم الأدبية، العلمية، الفقهية، الدينية، التاريخية، والإنسانية واستمرت حتى سقوط الدولة الفاطمية[4].

خزانة القصر الكبير الشرقي: كان في هذا القصر (40) خزانة (مكتبة) منها خزائن خارجية وأُخر داخلية، وتحتوي على (1800) كتاب في العلوم القديمة و (2400) نسخة من القرآن الكريم محلاة بالذهب والفضة[5]، وقد تعرضت الخزائن الخارجية للنهب في سنة 461هـ/1068م، إلاّ أنّ الخزائن الداخلية – على ما تحتويه من ذخائر الكتب – استمرت إلى نهاية العهد الفاطمي[6].

---

(1) ابو محمد بن ادم ، هو داعي الدعاة في دار ألحكمه وكان المشرف على ادارتها في أخر عهد الخليفة الآمر بإحكام الله. (ابن ميس، اخبار ، ص74)

(2) المصدر نفسه، ص99.

(3) ابن ميسر ، المنتقى أخبار مصر ، ص96.

(4) المقريزي، اتعاظ ج 3، ص 106. שמעון שוחטפוקס،היוהדים במצרים הוצאת משרד החינוך ירושלים 1998،עמ' 92.

(5) ابن الزبير، الذخائر والتحف، ص262.

(6) ابن ميسر ، المنتقى من أخبار مصر ، ص96.

هـ. موضوعات التعليم وعلمائها

العلوم الدينية: كان الأزهر الشريف مركزا للعلوم الديني هاذ اعتبر مؤسسه تعليمية للفقه الاسماعيلي .أول من أسس مركزا منتظما لتدريس الفقه كان الوزير يعقوب بن كلس سنة 378هـ/988م، فاجتمعوا الفقهاء كل يوم جمعه في الجامع الأزهر وشكلوا حلقات تدريسية لتعليم المذهب الاسماعيلي، كما ألقيت محاضرات داخل قصر الخليفة عرفت بمجالس الحكمة تم فيها قراءة ما كان يقرأ على الأولياء وجمع النجوى المرتبطة بها.[1]

من الجدير بالذكر أن الوزير يعقوب بن كلس عقد مجالس في داره للعلماء والفقهاء والمتكلمين وقرأ على الحاضرين الرسالة ألوزيرية وهي عبارة عن دستور للفقه الاسماعيلي استقاه مما سمعه من الخليفة المعز لدين الله وابنه العزيز لله . لقد أصبحت دار العلم سنة 517هـ/1123م، في عهد وزارة مأمون البطائحي المقر الرسمي للدعوة الإسماعيلية ، وذكر ابن الطوير أن تعليم مذاهب آل البيت اعتبرت شرطا اساسيا لمن أراد ان يكون فقيها واستمر هذا الآمر حتى سقوط الدولة الفاطمية. [2].

علوم اللغة العربية: اهتم الفاطميون باللغة العربية أدبها ونحوها وبلاغتها، فعقدوا المجالس العلمية والأدبية بقصورهم، بحضور علماء اللغة والآداب. ومن رجال البلاغة والشعر في عهد الآمر والحافظ المؤرخ أبو القاسم علي بن منجب الصيرفي، الذي برع بالخط وشغل منصب ديوان الإنشاء للخليفة الآمر بأحكام الله وتوفي في عهد الخليفة الحافظ لدين الله. اهتم الخليفتان ووزرائهم بإكرام الشعراء الذين كانوا يرسلون مدائحهم للخليفتين وللوزراء.[3]

---

(1) المقريزي، الخطط، ج1، ص227؛ هالم، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، دمشق، 1999، ص77-74.

(2) ابن الصيرفي، الإشارة الى من نال الوزارة، ص50؛ ابن الطوير ، نزهة المقلتين، ص115؛ سيد الدولة الفاطمية، ص385

(3) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج12، ص23؛ هالم، الفاطميون، ص189.

من الجدير بالذكر أن المكتبات الفاطمية احتوت على 30 نسخه من قاموس العين للنحو الشهير الخليل بن احمد الفراهيدي بالإضافة الى نسخه للغوي ابن دريد وهذا يدل على مدى اهتمام الفاطميين في فترة الدر اسه بعلوم اللغة العربية.(1)

العلوم الطبية: في تاريخ الطب، يشار بمصطلح الطب الإسلامي أو الطب العربي الذي تطور في العصر الذهبي للإسلام، وكتب بلغة عربية، والتي كانت لغة التواصل المشترك في زمن الحضارة الإسلامية. نشأ الطب الإسلامي كنتيجة للتفاعل الذي حدث بين الطب التقليدي العربي والمؤثرات الخارجية. كانت الترجمات الأولى للنصوص الطبية، عاملاً أساسيًا في تكوّن الطب الإسلامي. كما كان للترجمات اللاتينية للأعمال العربية أثرها البالغ في تطور الطب في نهاية العصور الوسطى وبداية عصر النهضة.(2)

وفي الوقت الذي كانت فيه الكنيسة الغربية تحرم صناعة الطب، لأن المرض عقاب من الله لا ينبغي للإنسان أن يصرفه عمن يستحقه، وهو الاعتقاد الذي ظل سائدًا في الغرب حتى القرن الثاني عشر . بدأ المسلمون في القرن التاسع الميلادي في تطوير نظام طبي يعتمد على التحليل العلمي. ومع الوقت، بدأ الناس يقتنعون بأهمية العلوم الصحية، واجتهد الأطباء الأوائل في إيجاد سبل العلاج. أفرز الإسلام في العصور الوسطى بعض أعظم الأطباء في التاريخ، الذين طوروا المستشفيات، ومارسوا الجراحة على نطاق واسع، بل ومارس النساء الطب، حتى أنه كانت هناك طبيبتان من عائلة ابن زهر خدمتا في بلاط الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب المنصور في القرن

---

(1) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص132؛ هالم، الفاطميون، ص141.

(2) ابن دقمان، الانتصار ، ج5، ص46.

الثاني عشر الميلادي. وقد ورد ذكر الطبيبات والقابلات والمرضعات في الكتابات الأدبية لتلك الفترة.[1]

ويعد الرازي وابن سينا أعظم هؤلاء الأطباء، وظلت كتبهم تدرّس في المدارس الطبية الإسلامية لفترات طويلة، كما كان لهم وبالأخص ابن سينا أثرًا عظيمًا على الطب في أوروبا في العصور الوسطى. في العصور الوسطى، كان المسلمون يصنفون الطب أنه فرع من فروع الفلسفة الطبيعية، متأثرين بأفكار أرسطو وجالينوس. وقد عرفوا التخصص، فكان منهم أطباء العيون ويعرفون بالكحالين، إضافة إلى الجراحين والفصادين والحجامين وأطباء أمراض النساء.[2]

لقد شهدت مصر في العصر الفاطمي تطورًا هائلا في مجال الطب، حيث أصبحت قبلة للأطباء الوافدين إليها من المشرق والمغرب. وهو الأمر الذى ساعد على تنوع الأفكار الطبية وثرائها، بالإضافة إلى إسهامات الأطباء المصريين، على اختلاف معتقداتهم ودياناتهم[3]، فقد اشتهر عدد كبير من الأطباء المسلمين والأقباط واليهود في هذا العصر، بما لا يدع مجالا للشك في أن هذه الفترة التاريخية شهدت نهضة طبية كبيرة، تزعمها رجال ذوى همم وقدرات خاصة اثروا المكتبة الطبية بالعديد من المؤلفات الهامة، وذلك على الرغم من أنهم لم ينالوا من الشهرة مثلما نال غيرهم من الأطباء المعاصرين لهم في أقطار أخرى من العالم الإسلامي، أمثال ابن سينا والرازي والزهراوي وغيرهم من أولئك الأطباء الذى اشتهروا باكتشافاتهم وإنجازاتهم العلمية، ولعل السبب في عدم ذيوع

---

(1) ابن دقمان، الانتصار، ج5، ص48.

(2) المقريزي، خطط، ج1، ص487.

(3) ابن دقمان، الانتصار، ج5، ص45

شهرة الأطباء المصريين في العصر الفاطمي أن الغالبية العظمى منهم كانوا يمثلون الأطباء الممارسين.[1]

شهدت مصر في العصر الفاطمي تطوراً هائلاً في مجال الطب في معالجة الأمراض المختلفة ونورد الآن أهم العقاقير الطبية:

العقاقير الطبية/النباتات الطبية:

(1) دهن البلسان: البلسان نبات شجري معمّر، له أزهار صفراء أو بيضاء أو وردية اللون، تفوح منها رائحة اللوز، ويعرف النبات بعدة أسماء هي: ألبلسان، وبلسم مكة، وبلسم إسرائيل[2]. وتكثر زراعته في منطقة المطرية قرب القاهرة[3]، وهو أفضل أنواع البلسان على الإطلاق، لأن شجرته أنثى، ويُستخرج الدهن منها في شهر برمهات (تموز) من كل عام[4].

إن لدهن البلسان استخدامات طبية منها: تنشيط الدماغ، وهو حافظ لجثث الموتى من التعفن، ومدرّ للبول، ومسكن لآلام المفاصل، الأسنان، الصداع، ومضاد للالتهابات الجلدية والقروح[5]. كما أن للبلسان استخدامات دينية لدى النصارى الأقباط في مصر، إذ يُخلط دهن البلسان في ماء المعمودية كأحد الطقوس الدينية، علمًا بأن الماء يؤخذ من بئر البلسم[6] في حديقة المطرية (الماء المقدس) [7]، إذ تقول الأسطورة: "إن السيدة مريم حين هروبها بالطفل يسوع المسيح من طغيان هيرودس الحاكم الروماني لبيت المقدس، نزلت والطفل يوسف النجار هذه الناحية، وجلست

---

(1) ابن ابي صبيعه، عيون الانباء، ص567.

(2) www.khayma.com/hawaj/bellisan.htm.p.p.1-5

(3) ابن دقماق، الانتصار، ص43-44؛ ابن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص29؛ هاو، التوابل، ص 16، 143.

(4) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص206؛ فهمي، طرق التجارة، ص211.

(5) www.khayma.com/hawaj/bellisan.htm.p.p.1-5.

(6) ابن الحاج، المدخل، ج2، ص59.

(7) ابن زولاق، تاريخ مصر، ص19..

لتستريح على الأرض و الطفل في حجرها بعد أن نالَ منهم التعب والعطش، فقد أَخَذَ الطفل يحرك رجليه ولامَسَ كعباه الأرض، فتفجرت عين ماء، فروت أُمّهُ عطشها وغسلت له ثيابه، فسقطت بعض البذور من شجرة البلسان، حيث الماء، فنمت أشجاره"، وأصبحت الحديقة مزاراً للمسيحيين بعد عودتهم من الحج إلى بيت المقدس للتبرك(1).

نتيجة لما تقدم، فقد حظيت عملية جمعه باهتمام المسؤولين في دولة الخلافة الفاطمية، وذلك لكثرة الطلب، وقلة الإنتاج، فارتفع سعره، وكان ملوك أوروبا يدفعون ثَمَنَ وزنه ذهبًا(2).

(2) خيار شنبر (شمبر): نبات شجري معمّر، ذو رائحة ذكية يُزرع في جميع أرض مصر، ويُستخدم في صناعة العقاقير الطبية لعلاج حالات الإمساك، وتحنيط الموتى، ومعالجة الأورام الحارة في الأحشاء، والمفاصل المؤلمة، ويخرج البلغم من الجسم(3). وله استخدامات أخرى مثل: الدباغة، وتحضير الصمغ، ويُباع خيار شنبر في أسواق القاهرة والإسكندرية ودمياط(4).

الأطباء في عهد الآمر بأحكام الله

اشتهر عدد من الأطباء المسلمين والأقباط واليهود في مصر في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، أهمهم:

---

(1) المقريزي، الخطط، ج2، ص 162؛ هاو، التوابل، ص16 – 17.

(2) فهمي، طرق التجارة، ص209.

(3) www.zahrah.com/vb/showthread.php?I=3661.php. 1-2;
www.khayma.com/hawaj/kyarsnbr.htm.p.1.

(4) فهمي، طرق التجارة، ص201، 214-215. שמעון שוחטפוקס،היוהדים במצרים הוצאת משרד החינוך ירושלים 1998،עמ' 92.

(1) **شرف الدين عبد الله بن علي المعروف** باسم "الشيخ السديد"، حيث كان والده طبيبًا للخلفاء الفاطميين، وآخر من خدمهم الخليفة الآمر بأحكام الله وكان بارعًا، ماهرًا استمر في عمله حتى زوال الدولة الفاطمية[1].

(2) **أبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسديه بن يوسف** من أهم الأطباء في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، قَدِم إلى مصر من الأندلس 516هـ/1122م. وحل أبو جعفر يوسف بن حسدية الإسرائيلي ضيفاً على الدولة وخصصت له الخلافة الفاطمية، راتبا شهريا، وكسوة، وعيدية، ورسوما، ودارًا بالقاهرة[2]. وكان هَدَف الخلافة الفاطمية مِن قدومه إلى مصر: "إنماء العلوم وإشهارها، واختصاص الدولة الفاطمية بإحياء الفضائل ليبقى جمال ذلك شاهدًا لها"، كما حدّد منشور تعيينه إقراء جميع مَنْ يحضر من المتطببين... فَمَن كَمُلت صناعته فليجزه". كما قام في يومين بمعالجة المرضى، أمّا بقية أيام الأسبوع فخُصصت لشرح الكتب وللتأليف، ممّا أستدعى أن تعّين الدولة كاتبين نَسّاخ" لتبييض ما يؤلفه في مصر[3] ومن ذلك: الشرح المأموني لكتاب الإيمان لأبقراط[4] المعروف بعهده إلى الأطباء، وشرح كتاب الإيمان، وشرح بعض كتاب الفصول لأبقراط، وشرح المقالة الأولى من كتاب الفصول، وفوائد مستخرجة من كتاب جالينوس شرح علي بن رضوان، ومن القول على أول الصناعة الصغيرة لجالينوس، وكتاب الإجمال في المنطق، وشرح كتاب الإجمال[5].

---

(1) ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص 250.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص204.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص204؛ حمادة، الوثائق السياسية، ص173-174.

(4) ابن الصيرفي، الإشارة، ص11.

(5) ابن أبي أصبعيه، عيون الانباء، ص499-500.

الطبيب أبو نصر عدنان بن نصر أبو منصور زربي ذاع صيته سنة (548هـ/ 1104 م) اعتبر صاحب العلوم الحكمية، المنطقي، الرياضي، المنجم، الأديب وشاعر العربية، والذي قَدِم من بغداد إلى مصر وتوفي فيها[1].

لقد مارس الزربي صناعة التنجيم، ومعالجة المرضى في البيمارستان العتيق بالقاهرة، وقد تدرب على يديه مجموعة من الأطباء" تميزوا وبرعوا في الطب وقد ألفَ في مصر عدة مؤلفات أهمها: الكافي في الطب، والذي بدأ بتأليفه عام 510هـ/1117م وانتهى منه في 26/ ذو القعدة عام 547هـ/ 1152 م [2]، وكتاب " شرح الصناعة الصغيرة لجالينوس" وكتاب "مجريات في الطب على جهة الكنائس، "ومقالة في الحصى وعلاجه"، و "رسالة في تعذر الطبيب الفاضل ونفاق الجاهل". كما ألّفَ "الرسالة المقنعة في المنطق"، وله كذلك "رسالة في السياسة"، ولم يَفُت ابن زربي المنجم التأليف به، فكتب" ما يحتاج إليه الطبيب في علم النجوم"[3].

واتسم منهجية الاستقراء والتشخيص، ومعالجة العلل عن وعي وإدراك لطبيعة الجسد الإنساني، فاتبع منهج علمي، تجريبي، مع خبرة بالعربية، ودراية لدلالة ألفاظها مقرونًا ذلك بخط حَسَن[4].

الأطباء في عهد الخليفة الحافظ

برز في عهد الخليفة الحافظ لدين الله، الطبيبان اليهوديان: أبو منصور، وأبو سعيد بن قَرقة الحكيم، وعرف أنه كان ماهرًا في علم الطب والهندسة وغيرهما من علوم الأوائل والذي حضَّر للخليفة سُمًا "لا ينقطع منه الجسد بل تفيض به النفس لا غير" فسقاه الحافظ لابنه الثائر

(1) ابن أبي أصيبعه، عيون الأنباء، ص570-571؛ حمارنة، العلوم الطبية، ص306-307.

(2) ابن أبي أصيبعه، عيون الأنباء، ص570-571. בת יאור ، יהודי מצרים ، ספרית מעריב ، רמת גן 1974,.עמ'12.

(3) ابن أبي أصيبعه، عيون الأنباء، ص570-571؛ حمارنة، العلوم الطبية، ص306-307.

(4) حمارنة، العلوم الطبية، ص306-309.

ضده فمات. ثُمَّ قبض الخليفة على الطبيب ابن قرقة فقتله في سنة 514هـ/1130م[1]، وصادر جميع أملاكه، ثم عَين الطبيب أبو منصور اليهودي رئيسًا للأطباء في قصر الخلافة وذلك سنة 529هـ/1134م[2].

علم الفلك: شهدت مصر في عصر الحكم الفاطمي الإسلامي نهضة علمية كبيرة بداية ببناء أعرق جامعة عربية إسلامية (الأزهر الشريف) منذ ألف عام في قاهرة المعز لدين الله الفاطمي، مروراً ببناء المراصد الفلكية كمرصد الجيوشي فوق سطح جامع الجيوشي بجبل المقطم شرق القاهرة ومرصد المأمون بباب النصر حيث سميت هذه المراصد بأسماء الوزراء الذين شيدوها.[3]

وفي سنة 397هـ/ 1006م رصد الفلكي العربي المسلم علي بن رضوان ظاهرة حدوث أعظم سوبر نوفا (نجم متفجر) في مدينة الفسطاط (مصر القديمة) جنوب القاهرة حيث قام بتسجيل هذه الظاهرة بتفصيل عال وتحديد موقعها بدقة بالغة في كتابه المسمى (بالأرباع) والذي تُرجم إلى اللاتينية في العصور الوسطى ، حيث اعتبر كواحد من أهم المراجع الفلكية في أوروبا في ذلك الوقت، ثم تم رصد سوبر نوفا علي بن رضوان بالتلسكوب الفضائي هابل وبالأقمار الصناعية بأشعة إكس وجاما وبالمناظير الراديوية من على سطح الأرض ويعتبر أقوى وأعظم انفجار لنجم في تاريخ البشرية.[4]

كذلك قام ابن يونس المصري بأخذ أرصاد دقيقة للشمس والقمر والكواكب بمرصده فوق المقطم وعليه فقد قام بوضع "الزيج الحاكمي" نسبة إلى الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي في ذلك الوقت

---

(1) قاسم، أهل الذمة، ص53.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص240–241؛ أيمن السيد، الدولة الفاطمية، ص192.

(3) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص100؛عالم،الفاطميون، ص137.

(4) ابن دقمان، الانتصار ، ج4، ص58.

وكان هذا الزيج يعتبر أكثر دقة من نظيرتها البطلمية بمدرسة الإسكندرية. كما عمل ابن يونس في علم اللوغريتمات وأبدع فيه. وعمل الحسن بن الهيثم كراصد وعالم فلك في أثناء إقامته بمصر بجانب عمله في مجال البصريات حيث يعتبره الكثيرون من مؤرخي تاريخ العلوم أنه المؤسس الحقيقي لعلم البصريات الحديث... وكان لعدم وفاء النيل في عهد المستنصر بالله حدوث مجاعة كبيرة في مصر عرفت في كتب التاريخ بالشدة المستنصرية.. وكانت هي بداية النهاية للحكم الفاطمي في مصر وما حولها.[1]

وأخيرًا فإن فضل المسلمين في علم الفلك على العالم يتلخص في:

1. نقل المسلمين للكتب الفلكية القديمة عند اليونان والفرس والروم والسريان، وتصحيح بعض أغلاطها والتوسع فيها، لا سيما أن أصول تلك الكتب ضاعت ولم يبق منها غير ترجماتها في العربية، وهذا ما جعل الأوربيين يأخذون العلم عن المسلمين، فكانوا –أي المسلمون– بذلك أساتذة العالم فيه.

2. إضافاتهم المهمة واكتشافاتهم الجليلة التي تقدمت بعلم الفلك شوطًا بعيدًا.

3. جعلهم علم الفلك استقرائيًا، وعدم وقوفهم فيه عند حد النظريات، كما فعل اليونان.

4. تطهير علم الفلك من أدران التنجيم.[2]

من العلوم التي اهتم بها الخلفاء الفاطميون علم التنجيم وهو معرفة قوى الأفلاك وتأثيراتها، وهي تحتاج إلى حنكة وتخمين[3]، وقد بني الخليفة الحاكم بأمر الله مرصدًا لرصد النجوم في جبل

(1) المقريزي، الخطط، ج1، ص128.

(2) المقريزي، الخطط، ج2، ص127؛هالم، الفاطميون، ص137.

(3) ابن خلدون، العبر، ج3،ص1217–1223.

المقطم[1]، ينقطع فيه عن الناس، ويخاطب النجوم (زحل) [2]، مع الإشارة إلى صدور قرار يمنع التنجيم في مصر سنة 404هـ/1013م، إلاّ أنّ هذا المرصد ذا الحَلَق بقي إلى عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، إذا أمَرَ الوزير المأمون بنقل مرصد النجوم إلى باب النصر بالقاهرة وذلك سنة 517هـ/1123، وقد اشرف الفلكيون على بنائه وأهمهم: أبو عبد الله الحلبي[3]، وابن العيثمي[4]، وأبو جعفر بن حسداي[5]، وابن سند[6]، والشاعر أحمد بن مفرج[7]، وابن قرقة[8]. بالإضافة لذلك تم بناء المرصد الفلكي الجديد، حيث أشرف على سكب (كرة) طائرة جديدة للمرصد من: النحاس والذهب والفضة[9].

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص397؛ ابن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص27.

(2) سايروس بن المقفع، تاريخ البطاركة،ج2،ص124.

(3) ابو عبدالله الحلبي ، هو من شيوخ الصناعة الفلكية في عهد الآمر بأحكام الله ساهم في بناء مرصد في القاهرة سنة 517هـ/1123م. (المقريزي، خطط، ج1، ص425)

(4)ابن العيثمي، عالم فلك امتاز برصد النجوم في عهد الامر بإحكام الله. (المقريزي، خطط، ج1، ص452.)

(5) طبيب، وله عناية بالغة في الاطلاع على كتب ابقراط.

وكان قد سافر من الأندلس إلى الديار المصرية، تميز في أيام الآمر بأحكام اللّه من الخلفاء المصريين، في العلوم والفلسفة والطب. (الحموي، معجم البلدان، ج4، ص205)

(6) الشيخ عثمان بن سند بن راشد بن عبد الله بن راشد الوائلي علامة العرب (1242هـ– 1826م) عالم في آداب العرب، وأديب ومؤرخ وشاعر. ولد في جزيرة فيلكا وبالتحديد في إحدى قراها القديمة وتدعى «الدشت» في سنة (1180 هـ /1766 م). (المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج1، ص227)

(7) احمد بن مفرج المناوي مفرج المناوي، العلامة الكبير أحمد بن مفرج بن أحمد بن مفرج، كان مرجع فتوى زمانه، ينسب إليه كتاب "جواهر الأثار"، كان معاصراً للسلطان سليمان بن المظفر النبهاني، توفي الشيخ أحمد أواسط القرن التاسع الهجري.(المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج1، ص425

(8) ابن قرقه، فلكي ماهر ساهم ببناء مرصد للنجوم سنة 517هـ/1125م، في مدينه القاهرة. (المقريزي، خطط، ج2، ص127).

(9) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص211.

استمر المرصد الجديد بالعمل الى آخر أيام الخليفة الآمر بأحكام الله 524هـ/ 1130م[1]، كما أبدى الخليفة الحافظ لدين الله اهتمامًا بعلم الفلك وكانت لديه كُتبٌ يقرأ بها ويقول إن علم الفلك يخبرنا بأحوالنا وأحوال الدولة، وكان يعتمد على سبعة من المنجميّن أهمهم: المحققوق، وابن الملاح، وأبو محمد القلعي المغربي المنجم وابن موسى النصراني[2].

---

(1) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص96 ؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص445 .

(2) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص140-141.

ثالثا: العمران في أيام الخليفتين

الاهتمام بالعمارة

اهتم الفاطميون بالعمران والبناء مثل بناية الجوامع والقصور والخيم والتحصينات والحمامات وغيرها من منشئات دينيه، اجتماعيه وحربيه . لقد تميزت العمارة الفاطمية بدقة التخطيط واتساع المساحة، كما ظهر في الجامع الأزهر وجامع الحاكم ،حيث تم تصميم عناصر معماريه معينه تتناسب مع طبيعة المساجد، ووضوح الأصول المعمارية الأولى، كصحن مكشوف تحيط به ثلاثة أروقه، اعمقها رواق القبلة، حيث لم يكن للمسجد الأزهر وقت إنشائه رواق شمالي بل تم زيادته في عهد الخليفة الحافظ لدين الله سنة 526هـ/1129م. هذا الأمر يدل أن الخليفتين استمرا في ترميم العمارة الفاطمية والاهتمام بها بالإضافة لذلك تم بناء مساجد جديدة مثل المسجد الأقمر الذي شيد سنة 519هـ/1125م في عهد خلافة الآمر بأحكام الله، حيث تم تخططيه بتشابه مع جامع الحاكم بأمر الله من حيث الأروقة والصحون الأسوار والشكل بالإضافة إلى شرفات هرميه مدرجه، تطورت بنايه هذه الشرفات زمن خلافه الخليفتين.(1)

استعمل الفاطميون في البناء في بداية العصر الأجر ،كما بنيت قبة الجامع الأزهر زمن الحافظ لدين الله من الأجر، وفيما بعد بنيت الأروقة والمحارب والأعمدة من الحجر والأجر معا. هناك ميزه هامه للعمارة الفاطمية وهي ظهور الفن المعماري مثل الزخارف النباتية والهندسية والكتابات الكوفية، وبناء اسقف خشبيه بزخارف بديعه ملونه مثل سقف جامع القرافة والأقمر والجيوشي.(2)

---

(1) المقريزي، خطط، ج2، ص290؛ عبدالله موسى، الفاطميون وأثارهم العمرانية، القاهرة،2001، ص175-173.

(2) المقريزي، خطط، ج2، ص292؛

أما بالنسبة للاستحكامات الحربية فقد تم تشيدها من الحجارة والأجر وامتازت الأسوار والقلاع والحصون والبوابات ببناء حجري مصقول مسطح ،رص بعناية فائقة ،منتظم الصفوف مدعوم بعمدان وجدران مما زاده ثبات وقوه. وقد ذكر المقريزي أن القاهرة في العصر الفاطمي كانت حصنا ومعقلا ودار خلافه ،وامتازت بحسن البناء والتصميم والتخطيط والإبدا ع والزخرفة والنقش.[1]

القصور والخيم

قصر الهودج 515هـ/1121م: كان الهودج يطلق على اسم قصر أنشأه الخليفة الآمر لزوجته البدوية بجزيرة الروضة تجاه دار النحاس [2] وذلك بسبب رفضها السكن في القصور والغرف المغلقة[3]. وبُني في جزيرة الفسطاط التي تحيط بها مياه نهر النيل والتي أنشأ بها الوزير الأفضل شاهنشاه بستانًا يتنزه به سماه الروضة، وزرع به أشجار الورد والنخيل والجميز[4]. كان الخليفة الآمر يذهب كل يوم إلى زوجته في موكب من السفن العشاريات، إلى أن قُتل وهو ذاهب إليها في 4/ ذي القعدة/524هـ/ 1129م[5].

خيمة الفرح (القاتول): بنيت هذه الخيمة سنة 515هـ/1121م في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، على يد الوزير الأفضل شاهنشاه وسميت بقصر خيمة الفرح[6]، والتي احتاجت إلى (1.400.000) ذراع من القماش وبلغ ارتفاع عمودها الأوسط (50) ذراعًا، وبلغت تكلفتها

---

(1) المقريزي، الخطط، ج1ص348

(2) عبد الرحمن زكي، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، 1987، ص397.

(3)السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص 338.

(4) السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص 239، 336، 338. שמעון שותספוקס،היוהדים במצרים הוצאת משרד החינוך ירושלים 1998،עמ' 92.

(5) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص91؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 189،225؛

(6) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص 85-86؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 188

(10.000.000) دينار. وسميت بـ "القاتول"، لأنها عندما تُنصب يموت (يقتل) تحتها عددٌ من الفراشين لثقلها[1].

قصر الورد (522هـ/1128م) [2]: أمر الخليفة الآمر بأحكام الله ببناء قصر في قرية الخاقانية من قُرى قليوب، وتميّز القصر بجماله وحسن فنه المعماري، وزين بالورود المختلفة، فزاره الخليفة في موكب مهيب في شهر رجب 522هـ/1128م[3].

جوسق ابن ميسر 515هـ/1122م: بناه أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج هبة الله. وكان يتقلد منصب الخطيب بجامع (مصر) ثم يتولى الخطابة في يوم الغدير وذلك سنة 1121/515م.

دور الوزارة

استمر الخليفتان بإنشاء دور الوزارة زمن خلافتهما وأهم هذه الدور:

دار الوزارة التي عرفت بدار الملك شيدت سنة 501هـ/1123م، وتقع بمدينة القاهرة. تم تأسيسها في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، وهي من بناء الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، وتقع بجانب القصر الكبير الشرقي، وبعد أن كمُلَ البناء نُقلت إليها الوزارة، وسميت أيضًا بالدار الأفضلية والدار السلطانية وأصبحت مقرًا وسكنًا للوزير، والاحتفالات الرسمية[4]، واتخذ بها مجلسًا سمي "مجلس العطايا"، فلما قتل الأفضل سنة515هـ/1121م، تحولت دار الملك الى متنزه للخلفاء الفاطميين، واستمرت عامرة حتى زوال الدولة الفاطمية وهي من متنزهات الخليفة الآمر بأحكام

---

(1) المقريزي، الخطط، ج1، 419–420.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص220. מחאמיד חאתם،החיאת הסונה במצרים וסוריה، תל אביב،2009،עמ' 22

(3) ابن ميسر، المنتقى أخبار مصر، ص87.

(4) ابن ميسر، المنتقى أخبار مصر، ص 76–77.

الله[1]، وكانت قبل زمن الأفضل تعرف بدار القباب. وكانت سكنًا للوزراء أرباب السيوف في الدولة الفاطمية، وممن سكنها الوزير أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي سنة 524هـ/1130م[2] في عهد الخليفة الحافظ لدين الله، فقط سكنها الوزير رضوان بن ولخشي، وسرق منها أموالًا سنة 533هـ/1139م. وقد نهبت دار الوزارة من قبل العامة في شوال 533هـ/1139م، فكانت أول ضرر دخل على الدولة[3].

القلاع والحصون والأبراج

من الحصون التي تم ترميمها في عهد الآمر بأحكام الله، سور الإسكندرية لتحصين المدينة نتيجة الفتن الداخلية، إذ قام الوزير الأفضل بن بدر الجمالي بتحصين أسوار مدينة الإسكندرية، وفي سنة 517هـ/1123م جددت عمارة الأسوار وإقامة الحصون حول الإسكندرية، وقد بنى أحد أمراء الإسكندرية أبو الأشبال ضرغام، برجا عرف ببرج ضرغام عند باب البحر، هدفه تمكين الدفاع عن المدينة من وجه الأعداء، وقد ساهم هذا البرج في الدفاع عن المدينة أيام حصارها من قبل الفرنج والصقليين، وقد أحرق هذا البرج في غزوة القبارصة سنة 767هـ/1365م [4].

وفي سنة 503هـ/1109م، زمن خلافة الآمر بأحكام الله، تم بناء برج من خشب في الإسكندرية لمراقبة جنود الأعداء وتعقب خططهم العسكرية [5].

---

(1) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص166، 225.

(2) ابن ميسر، المنتقى أخبار مصر، ص79.

(3) المقريزي، اتعاظ، ج2، ص 231، 250.

(4) عبد السلام عزيز، تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، الإسكندرية، ج1، 2002، ص255.

(5) المقريزي، اتعاظ، ج3، ص 37.

يذكر المقريزي أنه تم بناء أبراج وأسوار سنة 515م/1123 حول البساتين والمناظر على يد الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، وذلك لأهداف أمنية واستراتيجية، حيث كان الخلفاء يتنزهون في هذه البساتين والمناظر [1].

الحمامات

اهتم الخليفتان والوزراء ببناء الحمامات وترميمها كمرفق معماري هندسي، وهو أمر شائع في العمارة الإسلامية، لأن الحمامات ساهمت في توفير الراحة للإنسان، وأهم الحمامات في فترة خلافة الأمر والحافظ هي:

(1) حمـام الفـأر: بنـي بسويقة المغاربـة، فـي مدينـة مصـر (الفسطاط) قرب الجـامع العتيـق وسُمّي بحمام الفأر لصغره، مقارنة بحمامات الروم التي كانت تتكون من ثلاث طبقات. يعتبر حمام الفأر أول حمام بناه المسلمون فاستحقروه[2]. أهم وظيفة للحمام تطهير الناس واغتسالهم فيه لإزالة النجاسة، ويشير المسبحي إلى أن أحد الصيارفة قد سُرق ماله وهو داخل الحمام، فقبض على اللص، وأراد صاحب الشرطة قطع رأسه، ثم سيق إلى السجن وضرب بالدرة. استمر عمل هذا الحمام حتى نهاية العصر الفاطمي[3].

---

(1) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص 129.

(2) ابن دقماق، الانتصار، ص105.

(3) المسبحي، أخبار مصر، ص52.

(2) حمام الجيوشي ودار المظفرة: يقع الحمام في حارة برجوان[1]، أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالي ويجانبه دار المظفر بن بدر الجمالي، والتي خُصصت لاستضافة "رسل الملوك" واستمرت عامرة إلى نهاية الخلافة الفاطمية[2].

ومن الشعراء المصريين في الإسكندرية الذين وصفوا الحمامات ظافر بن القاسم بن منصور الجذافي ت 528هـ، حيث يقول:

وروضـــــة فـــــي هجيـــــر	وجنـــــة فـــــي ســـــعير
خـــــصت بكـــــل نعـــــيم	ولـــــذة وســـــرور[3]

كما قال في قصيدته الميميّة:

طـاب هـذا الحَمّـام واجتمـع الحـسد

إليـــه فـــي جملـــة التقـــسيم

وشـــموس قـــد جاورتهـــا بـــدور

ونجـــوم لكـــن بغيـــر رجـــوم[4]

(3) حمام التاج الأزرق: يقع في خط المطابخ السلطانية[5]، والذي يمتد من حمام السلطان إلى الفاخرانيين، ولكنه أقرب إلى خط الفاخرانين، وقد أورد ابن الطوير أن الوزير الأفضل شاهنشاه ابن بدر الجمالي، اغتيل وهو عائد من هذا الحمام إلى قصره عام 515هـ/ 1121م. [6]

---

(1) المقريزي، الخطط، ج1، ص461، ج2، ص82.

(2) أيوب، التاريخ الاجتماعي، ص179، 181.

(3) نصار، ظافر الحداد، ص127.

(4) ظافر الحداد، ديوان، دواوين وقصائد، الإسكندرية، مكتبة نصر، 1969، ص272.

(5) ابن دقماق، الانتصار، ص38.

(6) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص70.

(4) حمام شمول: يقع في خط بين القصرين في مصر (الفسطاط) [1]، أوقفه الخليفة الآمر بأحكام الله على الجامع الأقمر، ويقال: إن الإمام الشافعي دخله واستحم به[2].

(5) حمام الخشبية: يقع بجوار درب السلسلة، أنشئ في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، وهو جزء من دار الوزير المأمون البطائحي[3].

(6) حمام ابن قرقة اليهودي: يقع بحارة زويلة، بخط سويقة المسعودي، أنشأه أبو سعيد بن قرقة الحكيم اليهودي متولي الاستعمالات بدار الديباج وخزائن السلاح في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله[4]، كما أنشأ ابن قرقة داره بجوار الحمام، وكذلك بنى الحمام الأوحد. وقد قُتل ابن قرة في عهد الخليفة الحافظ لدين الله سنة 529هـ/1134م[5].

الترب

أهم المقابر في فترة الدراسة هي:

(1) تربة الزعفران (المعزية): تقع خارج القاهرة، بخط الزراكشة العتيق[6]، وأول مَن دفن أجداده بها الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، وكان الخلفاء الفاطميون يزورون موتاهم في أيام الجمع والعيدين[7].

---

(1) ابن ميسر، المنتقى أخبار مصر، 91.

(2) ابن دقماق، الانتصار، ص104،39.

(3) المقريزي، الخطط، ج2، ص 83.

(4) المقريزي، الخطط، ج2، ص 63، 81؛ أيمن سيد، الدولة الفاطمية، ص192.

(5) ابن ميسر، المنتقى أخبار مصر، ص 122؛

(6) المقريزي، الخطط، ج2، ص443.

(7) سعاد ماهر، مساجد مصر، ج2، ص 269-270.

(2) تربـة آل الجمـالي: تقـع خـارج بـاب النصـر، بخـط رأس الطابيـة، وأول مَن دُفِنَ بهـا أمير الجيوش بدر الجمالي سنة (1094/487م)، ثم أبنـه الأفضل شاهنشاه، سنة (515هـ/1121م)، ومن بعده حفيده أبـو علـي الملقب كتيفات سنة (526هـ/ 1131م). ثم اتخذ الناس مقابر لموتاهم حول التربة.[1]

---

(1) المقريزي، الخطط، ج2، ص22، 463؛ أيوب، التاريخ الاجتماعي، ص164.

ملخص الدراسة

خرانبة، صالح محمد، أحوال الدولة الفاطمية بمصر في عهد الخليفتين الامر بأحكام الله والحافظ لدين الله (495-544هـ/1101-1149م)

أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، 2013م إشراف الأستاذ الدكتور أ. د .سليمان عبد الخرايشة.

يمكن تلخيص نتائج الدراسة بالصراعات المذهبية داخل الشيعة الاسماعلية وتأثيرها على مجالات الحياة المختلفة في عهد خلافة الخليفتين. إن هذا البحث يبين فقدان بعض الصلاحيات من أيدي الخلفاء وانتقالها للوزراء والعسكر، وهذا يتضح من تدخل الوزراء في تعيين الخليفة حتى لو كانوا صغار السن، وهذا الأمر أدى إلى تضعضع مكانة القضاة الذي أصبح منصبهم العوبة بيد وزير السيف وسياسته.

واتسم العصر الفاطمي بالنظم السياسية والرسوم والدواوين وتطورها في عهد الخليفتين، بالإضافة للحياة الاقتصادية وأزمات الغلاء وتأثيرها على الحياة الاجتماعية ومظاهر التقدم العلمي والعمراني، مع دراسة الوثائق والمخطوطات العربية والعبرية للتحقق من الأحداث الهامة والنظر في الأمور الشرعية ومراقبة الأمور المالية مع إبراز دور أهل الذمة في الحياة الإدارية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية.

توصلت إلى نتيجة هامه في بحثي وهي أن أساس الرخاء السياسي والاجتماعي والاقتصادي مرتبط بحسن الإدارة ومراقبة مؤسسات الدولة المختلفة مراقبة دقيقة مبنية على الوعي الإداري والفكري والسياسي والتقدم العلمي والفكري. هناك ميزة خاصة جدية لهذه الدراسة وهي بحث عميق ومستفيض

في وثائق الجينزا باللغتين العبرية والعربية والوصول الى دقة المعلومات، لمعرفة نظم المعاملات التجارية براً وبحراً، ودور أهل الذمة بذلك في عهد الخليفتين.

لقد واجهت صعوبة عند استخدام وثائق الجنيزا، لأنها ليست من سجلات المحفوظات الرسمية لكنها مبعثرة، مختلطة بعضها ببعض، قديمة العهد وهناك كلمات ممحية وهناك صعوبة في حل رموز بعض هذه الكتابات، لما تعرضت له هذه الوثائق من عوامل الزمن والرطوبة، ونتيجة استخدام الأحبار الرخيصة فمنها ما كتب على يد الأغنياء ومنها ما كتب على يد الفقراء.

هناك صعوبات أخرى واجهتني، كون أوراق الجنيزا لا تحمل تاريخ، ومختلفة الخطوط، لذلك اتبعت الحذر والدقة واستعنت بخبراء في مجال الخطوط والمصطلحات للعصر الفاطمي، للاستفادة لما تحتويه من معلومات تاريخية خاصة لفترة البحث في المجال العلمي والتجاري والاجتماعي والإداري والسياسي. بالإضافة لذلك استعنت بالمؤلف جوتين الذي نشر واستفاد من أوراق الجنيزا في موسوعته المسماة A Mediterranean society (مجتمع حوض البحر المتوسط)، التي اثرت بحثي بمعلومات موثقة عن الحياة اليومية للمجتمع المصري، والحياة الاقتصادية والثقافية للمجتمع ككل ولأهل الذمة خاصة.

وخلاصة البحث تظهر تنافس كبار رجال الدولة على المناصب الادارية وحضارة مصر والتطورات التي طرأت على نظم الادارة والحكم، وبينت ما وصلت اليه الامامة الفاطمية في ميدان الصناعة والزراعة والتجارة وما تجلى فيها في الحياة الاجتماعية وازدهار الحركة العلمية والأدبية زمن امامه الخليفتين الامر بأحكام الله والحافظ لدين الله، وأسال الله التوفيق والنجاح.

This is to ensure accurate information of the commercial treatment policies in the land and sea and the role of the Jews and Christians in this field in this era.

The researcher faced many difficulties while investigating the documents of Ginza. These documents are not well reserved because they are not official. These documents were scattered and some words were not obvious. These documents were written by cheap ink.

Other difficulties that faced the researcher such as Ginza papers did not hold a date, with different manuscripts. This forced the researcher to be more careful and to ask a help from experts in concepts and manuscripts of the Fatimid period, moreover, to benefit from their historical information about the scientific, commercial, political, administration and social fields special to the research era. In addition, the researcher consult the author, Juthine, who benefited from the Ginza documents and published an encyclopedia called, A Mediterranean society, This encyclopedia provided the researcher with documented information about the daily life of the Egyptian society and also about the economical and educational life including the life od Jews and Christians.

The research conclusion shows a competition of the senior state officials on the administrative positions and on Egyptian culture and the development of the administration and rule. The researcher also shows the prosperity in industry, agriculture commerce in this period. In addition, he presents the prosperity in social, scientific and humanities life in the period of the two khalifs (rulers) Alamer Biahkam Allah and Alhafiz Lideen Allah. Finally the researcher begs Allah's reconcile and success.

ملخص باللغة الانجليزية

ABSTRACT

Kharanbi, Salih Muhammad, The Conditions of the Fatimid State in Egypt in the Era of the Two Khalifs (rulers) Alamer Bilahkam Allah and Alhafiz Lideen Allah (544-495/ 1101-1149). PhD Dissertation,Yarmouk University. (Supervisor: Professor Sleiman Abed AlKhrabshi).

The research results and the historical facts shows that the era of the two khalifs is distinguished by its political, administration, social and scientific features. In addition the sectarian conflicts inside the Shia Ismailia and its effect on the other fields of life in that era. The results of this study also show the loss of some khalif power which move to the ministers and military men. This was clear by the ministers' interference in appointing the khalifs even the ruler were younger This interference influenced the judiciary status that were appointed by the sword (military) minister.

This study also aims to investigate the political policies, the Fatimid fees, the offices (Dawaween) and its development in the period of the two khalifs, in addition, the economical life and the crises of price rises, the effect on social life, scientific and urban advances. The researcher studies the Arabic and Hebrew documents and manuscripts. This is to verify the important events and have insight look at the Shari and financial issues. This study also aims to highlight the Dhimmi's (Jews and Christians) role in the scientific, social, economical and administration life.

The researcher concluded that the prosperity of political, social and financial life is based on good administration. He also concluded that observing the state institutes carefully relies on administration and political consciousness. The current study is based on depth and extensive investigation of the Ginza documents in Arabic and Hebrew.

المصادر

المخطوطات والوثائق

1. وثائق أوراق الجينزا، قسم الوثائق والمخطوطات، جامعة القدس، رقم 10378.
2. وثائق دير سنت كترينا، دير سنتا كترينا شبه جزيرة سيناء، رقم 2104.
3. مخطوطة ليدن مكتبة جامعة بار ايلان، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، تل ابيب، رقم 19366A (OR. 1366 B.F, 206A).

المصادر الأولية

القرآن الكريم.

ابن أبي اصيبعة، احمد بن القاسم(ت668هـ –1270م) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.

ابن الأثير، محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت 1997.(9ج)

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597هـ/1200م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر، ط1، دار الكتب العلمية بيروت 1992.

ابن الصيرفي، أبو القاسم علي بن منجب (ت542هـ/1148م)، القانون في ديوان الرسائل والإشارة الى من نال الوزارة، تحقيق عبد الله مخلص، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، 1924.

ابن الطقطقي، محمد بن علي العلوي (ت709هـ/1309م). الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، القاهرة، 1938

ابن الطوير، عبد السلام بن الحسن(ت617هـ-1220م) نزهة المقلتين في اخبار الدولتين، تحقيق: ايمن فؤاد سيد، بيروت: دار صادر، ط1، 1992.

ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دمشق: دار الكتاب العربي، ط1، 1997.(ج2)

ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن احمد(ت1089هـ-1678م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر ومحمود الارناؤوط، بيروت: دار ابن كثير، ط1، 1989.(11ج)

ابن الفقيه، أحمد بن محمد بن إسحاق (ت365هـ/975م) البلدان، ط1، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، 1996.

ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة (ت555هـ/1160م) تاريخ ابن القلانسي"ذيل تاريخ دمشق"مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908.

ابن القلانسي، حمزة بن القلانسي(ت 555هـ-1160م) ذيل تاريخ دمشق، بيروت: مطبعة الاباء اليسوعيين، 1908.

ابن المأمون، الامير جمال الدين ابو علي موسى(ت588هـ/1192م)، نصوص من اخبار مصر، تحقيق: ايمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1983

ابن المقفع، ساويرس أسقف الاشمونين (ت635هـ/1237م). (تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية)، نشره يسّى عبد المسيح وعزيز سوريال وغيرهما، جمعية الآثار القبطية، القاهرة، 1974

ابن النديم، محمد بن اسحاق(ت380هـ-990م) الفهرست، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1996.

ابن إياس، محمد بن أحمد (ت930هـ/1425م) بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة 2005.

ابن أيبك الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ/ 1363م). الوافي بالوفيات، تحقيق جاكلين سويله وعلي عماره، فرانز شتاينر، شتوتغارت، 1980.

ابن أيبك، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري، (735هـ- 1334م)، الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، وهو الجزء السادس من كنز وجامع الغرر، تحقيق صلاح الدين منجد، القاهرة، 1961م .

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله الطنجي (ت779هـ/1377م) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار "رحلة ابن بطوطة"، ط2، دار النفائس، بيروت 2004.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت874هـ/1470م)، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، ط2، دار الكتب والوثائق القومية، مصر 2005.(16ج)

ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت728هـ/1328م)، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية 1998.

ابن جبير، محمد بن أحمد (ت614هـ/1217م) رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1998.

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت852هـ/1448م)، رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق إبراهيم أبياري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1980.

ابن حزم الظاهري، علي بن احمد (ت456هـ-1063م) الفصل في الملل والاهواء والنحل، تحقيق: محمد ابراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، بيروت: دار الجليل، 1985.

ابن حماد، محمد بن علي بن حماد (ت 626هـ/1230م). أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت241هـ/855م) مسند أحمد بن حنبل، ط1، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001.

ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي (ت367هـ/977م) صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت 1977.

ابن خرداذبه، عبيد الله بن أحمد (ت280هـ/893م) المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 1889.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1405م) العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، ط1، دار الفكر، بيروت، 1981.(8ج)؛ ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مكتبة الأسرة، وزارة الثقافة، عمان، 2009.

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت681هـ/1282م) وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1994.(8ج)

ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر (ت809هـ/1407م) الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، القاهرة 1985.(2ج)

ابن زولاق، الحسن بن ابراهيم الليثي، (ت386هـ/996م)، فضائل مصر وأخبارها، ألقاهره، 1935.

ابن ظافر الأزدي، علي بن أبي منصور (ت612هـ-1215م)، أخبار الدول المنقطعة، دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين، مقدمة وتعقيب اندريه فريه، مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1972.

ابن عبد الظاهر، محمد الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر (ت692هـ/1292م)، (**الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة**، تحقيق وتقديم وتعليق: الدكتور ايمن فؤاد سيد، الدار العربية للنشر، 1996م.

ابن عساكر، أحمد بن محمد بن هبة الله (ت610هـ/1213م) تاريخ دمشق، ط1، تحقيق محب الدين العمروي، دار الفكر، بيروت، 1996.

ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت774هـ-1373م)، البداية والنهاية في التاريخ، مكتبة المعارف، بيروت، ومكتبة النصر، الرياض، 1966. (15ج)

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت774هـ/1372م) طبقات الشافعية، ط1، تحقيق عبد الحفيظ منصور، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004.

ابن كنان، محمد بن عيسى (ت1152هـ/1740م) حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق عباس صباغ، دار النفائس، بيروت، 1991.

ابن مماتي، الأسعد بن مهذّب (ت606هـ/1209م). قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، الجمعية الملكية الزراعية، القاهرة، 1943.

ابن منقذ، أبو المظفر أسامة بن مرشد (ت584هـ/1188م) الاعتبار، تحقيق قاسم السامرائي، وزارة الثقافة، عمان، 2009.

ابن ميسر، محمد بن علي(ت677هـ-1278م) المنتقى من اخبار مصر، تحقيق: ايمن فؤاد سيد، القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1981.

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت697هـ/1297م) مفرج الكروب في أخبار أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، د. ن، القاهرة، 1980.

أبو الفداء، إسماعيل بن علي (ت732هـ/1331م) تقويم البلدان، تحقيق رينود وماك كوكين، دار صادر، بيروت، 1990.

أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسينية، القاهرة، 1990.

أبو صالح الأرمني، سعد الله بن جرجس (ت606هـ/1208م). تاريخ الكنائس والأديرة، تعليق صمويل السرياني، القاهرة، 1984

أبوشامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت665هـ/1267م) عيون الروضتين في أخبار الدولتين، ط1، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت 1997 .

الأصفهاني، محمد بن محمد(ت 597هـ–1200م)، تاريخ دولة السلجوق، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2004.

الأنباري، عبد الرحمن بن محمد(ت577 هـ–1181 م) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط3، 1985.

التطيلي، بنيامين بن يونه (ت569هـ/1173م) رحلة بنيامين التطيلي، ط1، المجمع الثقافي، أبو ظبي 2002.

الجاحظ، عمرو بن بحر (ت255هـ/869م) الحيوان، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت 2004

الجزري، شمس الدين محمد بن إبراهيم (ت768هـ/1366م) تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه " تاريخ ابن الجزري"، ج 11، ط1، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1998.

الحسيني، صدر الدين علي بن ناصر (ت575هـ–1180م) اخبار الدولة السلجوقية، صححه: محمد اقبال، بيروت: دار الافاق الجديدة، ط1، 1984.

الحموي، ياقوت بن عبد الله(ت626هـ–1228م)، معجم البلدان، ، بيروت: دار صادر، ط2، 1995.(7ج)

الخطيب البغدادي، احمد بن علي (ت 463هـ – 1067م) تاريخ بغداد او مدينة السلام، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997. (24ج)

الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن احمد(ت 387هـ–997م) مفاتيح العلوم، تقديم: جودت فخر الدين، دار المناهل، بيروت، ط1، 1991.

الدواداري، أبو بكر عبدالله بن أيبك (ت736هـ/1432م) كنز الدرر وجامع الغرر، ج6-7-8-9، تحقيق، صلاح الدين المنجد وسعيد عاشور واولرخ هارمان وهانس روبرت رويمر، القاهرة 1972.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت748هـ/1347م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان، ط2، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت 1993.

الذهبي، العبر في خبر من غبر ط1، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت 1985.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت748هـ/1347م) سير أعلام النبلاء، ط1، تحقيق شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت 1984.(ج18)

الرشيد بن الزبير، (ت562/1166)، الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله الكويت، 1959.

الروذراوري، محمد بن الحسين(ت488هـ-1095م) ذيل تجارب الأمم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2003.

سبط ابن الجوزي، يوسف قزاوغلي بن عبد الله(ت654هـ-1257م) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (الحقبة 345-447هـ) تحقيق: جنان خليل، بغداد: الدار الوطنية، 1990.

سبط بن العجمي، أحمد بن إبراهيم (ت884هـ/1480م) كنوز الذهب في تاريخ حلب، ط1، دار القلم، حلب، 1997.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت771هـ/1369م)، كشف الدسائس، القاهره 1981.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ/1505م)، تاريخ الخلفاء، ط1، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1952.

السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر القاهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998.

السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، تحقيق فيليب حتي، المكتبة العلمية، بيروت، 1980.

الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب (ت977هـ/1570م)، هز القحوف في شرح قصيده ابي الشدوف، القاهرة، 1890.

شهاب الدين احمد بن علي (ت852هـ-1448م)، رفع الاصر عن قضاة مصر، تحقيق حامد عبد المجيد وآخرون، الإدارة العامة للثقافة، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، 1947-1961.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم(ت548هـ-1153م) الملل والنحل، صححه: احمد فهمي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط7، 2007.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ/1362م)، الوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الارناؤوط، دار إحياء التراث، بيروت، 2000.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م)، تاريخ الأمم والملوك راجعة نواف الجراح، ط1، دار صادر، بيروت، 2003.

الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين (ت873هـ/1468م) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، وضع حواشيه خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

العمري، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت749هـ/1348م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق محمد خريسات وعصام هزايمة، مركز زايد للتراث، الإمارات، 2001.

الفيروز ابادي، القاضي النعمان، ابو حنيفة النعمان بن حيون(ت363 هـ-973م)، دعائم الاسلام، تحقيق اصف بن علي بن اصغر فيضي، القاهره، 1965.

الفيروز ابادي، المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقى، الجامعة التونسية، تونس، 1978.

الفيروز ابادي، محمد بن يعقوب(ت817هـ-1414م)، القاموس المحيط، بيروت: دار صادر، د.ت.

القزويني، زكريا بن محمد محمود (ت682هـ/1283م) معمل الفروج، دار صادر، بيروت. د.ت.

القلقشندي، أحمد بن علي (ت821هـ/1418م، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط2، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبنانيين، بيروت، 1980.

القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ط1، تحقيق يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، 1987. (14 ج)

القلقشندي، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار فراج، مطبعة حكومة الكويت 1985.

الكتبي، محمد بن شاكر (764هـ/1362م) فوات الوفيات، ط1، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1973

الكندي، ابو عمر محمد بن يوسف (ت350هـ\961م). كتاب الولاة والقضاة، ليدن، 1908م.

المؤيد في الدين، هبة الله الشيرازي(ت470هـ-1077م)، ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة، تحقيق: محمد كامل حسين، القاهرة: دار الكتاب المصري، 1949.

المؤيد في الدين، هبة الله الشيرازي(ت470هـ-1077م)، مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية، تحقيق: عارف تامر، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1983.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت450هـ/1058م). الأحكام السُلطانية، دار الفكر، القاهرة، 1954

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت450هـ-1058م).قوانين الوزارة وسياسة الملك، تحقيق رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت، 1993. مجموعة الوثائق الفاطمية، تحقيق جمال الدين الشيال، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1958.

الماوردي، علي بن محمد(ت450هـ-1058) نصيحة الملوك، تحقيق: محمد الحديثي، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، د.ت.

المخزومي، القاضي السعيد ابو الحسين علي بن ابي عمرو (ت585هـ/1189م)، المنهاج في علم خراج مصر، المعهد العلمي الفرنسي للآثار، القاهرة، 1986.

المسبحي، عز الملك محمد بن عبدالله، (ت420هـ/1029م)، اخبار مصر، حققه ايمن سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار، القاهرة، 1978

المقدسي، ابو عبد الله محمد بن احمد(ت381هـ-991م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: شاكر لعيبي، أبو ظبي: دار سويدان، ط1، 2003.

المقريزي، أحمد بن علي (845هـ/1441م) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، لجنة إحياء التراث، القاهرة 1967. (3ج)

المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ط2، تحقيق محمد زيادة وجمال الدين الشيال، القاهرة 1957.

المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ط3، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2006.(8ج).

المقريزي، المقفى الكبير، تقرير محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991.

المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.(4ج)

ناصر خسرو، أبو معين الدين الحكيم المروزي (ت481هـ/1088م) سفر نامه، تحقيق يحيى الخشاب، ط3، دار الكتاب الجديد، بيروت1983.

النويري، شهاب الدين أحمد (ت733هـ/1232م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2002. (28ج)

اليافعي، عبد الله بن أسعد (ت768هـ /1367م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط1، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

اليعقوبي، أحمد بن اسحق (ت292هـ/905م) البلدان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

اليونيني، أبو الفتح موسى بن محمد (ت726هـ/1326م) : ذيل مرآة الزمان، ط2، بعناية: وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1992.

المراجع العربية والمعربة

ابن نجيم، الرسائل الزينية في فقه الحنفية، القاهرة، 1978.

ابن نجيم، الرسائل الزينيه في مذهب الحنفية، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 2006.

ابو القاسم عبد الرحمن، بن عبد الكيم القرش، فتوح مصر، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر، 1974

احمد سعد، تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي، ط1، بيروت، 1979.

احمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في العهد الاسلامي، دمشق، 1981.

ادي شير، معجم الألفاظ الفارسية المعربة مكتبة لبنان، بيروت، 1972.

اشتور، آ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الاوسط في العصور الوسطى، ترجمة: عبد الهادي عبله، دمشق: دار قتيبة، 1985، ص231.

الاعظمي، محمد حسن، الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثني عشرية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970.

اغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية، باب توما، د.ت.

الإمام، محمد رفعت، تاريخ الجالية الأرمنية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999.

امين، محمد محمد، الاوقاف والحياة الاجتماعية في مصر دراسة تاريخيه ووثائقية، دار النهضة العالمية، بيروت، 1980.

الانباري ابراهيم، نهاية المطاف: الدولة الفاطمية، دار الشعب، القاهرة، 1978.

ايوب ابراهيم، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1997.

باشا حسن، الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1957.

بدوي، جمال، الدولة الفاطمية دولة التفاريح والتباريح، دار الشروق، القاهرة، 2004م.

براوي راشد، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948.

البراوي، راشد، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948.

بطاينة، محمد ضيف الله، علوم الأوائل وأثرها على المجتمع الاسلامي " دراسة تاريخية"، عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط2، 2007.

بطرس بن المهذب المعروف بابن الراهب، تاريخ ابن شاكر، مطبعة الأباء اليسوعية، 1903.

البنا جمال، النقابات المهنية، القاهرة، 1976

تامر عارف، الخليفة الثامن: المستنصر بالله، بيروت: دار الجيل، ط1، 1980.

تامر عارف، تاريخ الاسماعيلية، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1991.

تامر عارف، موسوعة الخلفاء الفاطميين، مطبعة السروجي – عكا، 1980.

تدمري، عمر عبد السلام، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1984.

جمال الدين، عبد الله، محمد، الدولة الفاطمية، دار الثقافة، القاهرة، 1991.

حبيب، سعدي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دار الفكر، دمشق، ط2، 1988.

حتي، فيليب، تاريخ العرب، دار الكشاف، بيروت، 1949.

حسن، ابراهيم حسن وطه شرف، عبيد الله المهدي امام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، القاهرة، 1947.

حسن، ابراهيم حسن، الفاطميون في مصر واعمالهم السياسية والدينية بوجة خاص، القاهرة، 1959.

حسن، إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب، ط 2، القاهرة، 1958م.

حسين امين، النشاط السلجوقي في بلاد الشام في القرن الخامس، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2001

حسين، محمد كامل، الحياة الفكرية والادبية بمصر من الفتح العربي حتى اخر الدولة الفاطمية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959.

حسين، أحمد، موسوعة تاريخ مصر، دار الشعب، القاهرة، د.ت .

حسين، محمد كامل، في ادب مصر الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1963.

حمادة، محمد، الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية، دراسة ونصوص، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1980.

حماده، محمّد ماهر، الوثائق السياسية والادارية للعهود الفاطمية، مؤسسه الرسالة، بيروت، 1985.

خرابشة، المأمون البطائحي وزير الخليفة الامر بأحكام الله الفاطمي 515-519هـ/1122-1125م، ابحاث اليرموك: سلسلة العلوم الانسانية والاجتماعية، 2003.

خرابشة، سليمان، الاقطاع السلجوقي في بلاد الشام، دراسات العلوم الانسانية، المجلد22، العدد6، 1995.

خرابشة، سليمان، التنافس السلجوقي الفاطمي على بلاد الحجاز وامرة الحج، منشورات جامعة اليرموك- عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، اربد، 1999.

خرابشة، محاولات التقارب السلجوقي الفاطمي لمقاومة الغزو الفرنجي للشام، المؤتمر الدولي السادس لبلاد الشام، 2001.

الخربوطلي، علي حسين، مصر العربية الإسلامية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، لا.ت.

خليل، محمد محمود، الاغتيالات السياسية في مصر في عصر الدولة الفاطمية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2006.

داوود، مايسة محمود، المسكوكات الفاطمية بمجموعة متحف الفن الاسلامي بالقاهرة، دراسة اثرية وفنية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991.

دخيل، محمد حسن، الدولة الفاطمية: الدور السياسي والحضاري للأسرة الجمالية، الانتشار العربي، بيروت، 2009.

رافع ساهر، جوهر القائد مؤسس الدولة الفاطمية في مصر، الجيزة العالمية للكتب والنشر، مصر، 2009.

رانسمان ستيفن، الحملات الصليبية، ترجمة: نور الدين خليل، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1967.

الريطي، ممدوح بن عبد الرحمن عبد الرحيم، دور القبائل العربية في صعيد مصر منذ الفتح الاسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية واثرها في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية: مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997.

زكريا محمد، معمل الفروج، القاهرة، 2010.

زكي، محمد حسن، كنوز الفاطميين، القاهرة، 1937.

الزهراني، محمد مسفر، نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية 447هـ-590هـ، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1982.

سامح، كمال الدين، العمارة الإسلامية في مصر، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، لا.ت.

سبكي، كشف الدسائس، القاهرة، 1981.

سرور، محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها، دار الفكر العربي، القاهرة، 1970.

سرور، محمد جمال الدين، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة، بيروت: دار الفكر العربي، ط3، 1964.

سرور، محمد جمال الدين، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق من عهد نفوذ الاتراك الى منتصف القرن الخامس الهجري، القاهرة: دار الفكر العربي، 1965.

سرور، محمد جمال الدين، سياسة الفاطميين الخارجية، القاهرة: دار الفكر العربي، 1973.

سعاد ماهر محمد، مساجد مصر وأوليائها الصالحين، بيروت، 1996 .

سلطان عبد المنعم، المجتمع المصري في العصر الفاطمي، دراسة تاريخية توثيقية، كلية الآداب، جامعة اسيوط، 1985.

سيد، أديب، أرمينية في التاريخ العربي، بيروت، ط1، 1972.

سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر : تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2000م.

سيد، ايمن فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر: تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1992.

سيد، أيمن فؤاد، تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1988.

الشيال، جمال الدين، مجموعة الوثائق الفاطمية: وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.

صاوي احمد، مجاعات مصر الفاطمية، اسباب ونتائج، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1988.

الصاوي، أحمد السيد، مجاعات مصر الفاطمية: أسباب ونتائج، القاهرة، 1988.

صبحي، احمس حسن، الدعوة الفاطمية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2005.

عاشور، سعيد، مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني، ط1، القاهرة، 1970م.

العبادي، احمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي، بيروت: دار النهضة العربية، 1974.

عبد الرحيم عبد الرحمن، الريف المصري في القرن الثامن عشر، مكتبة مدبولي، 2004.

عبده، عبد الله موسى، الفاطميون وآثارهم المعمارية في أفريقيا ومصر واليمن، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2000.

عثمان، شوقي عبد القوي، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (41-904هـ-661-1498م)، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

عثمان، محمد عبد الستار، موسوعة العمارة الفاطمية، دار القاهرة، القاهرة، 2006.

عطا الله، جوني، تاريخ فاتح العالم، مانشستر، 1958.

عطا الله، خضر أحمد، الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

عنان، محمد عبد الله، الحاكم بأمر الله واسرار الدعوة الفاطمية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1959.

عنان، محمد عبد الله، مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1969.

غوانمة، يوسف درويش، الافضل بن بدر الجمالي وموقفه من الحملة الصليبية الاولى، مجلة كلية الآداب، الرياض، جامعة الملك سعود، مجلد10، 1983.

فهمي، نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973.

قاسم عبدو، اهل الذمة في مصر، من الفتح الاسلامي حتى نهاية دولة المماليك، دراسة توثيقيه، القاهرة، 2003.

قنديل اماني، النقابات المهنية، المكتب العربي للمصارف، القاهرة، 1995.

قنواتي جورج، المسيحية والحضارة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980.

كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار العلم للملايين، 2005.

ليونول، ستانلي، تاريخ مصر في العصور الوسطى، لندن، 1901.

مؤنس حسين، المساجد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1981.

ماجد، عبد المنعم، الإمام المستنصر بالله الفاطمي، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

ماجد، عبد المنعم، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، دار المعارف، الإسكندرية: 1976.

ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة: 1964.

متز، أدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، نقله الى العربية: محمد عبد الهادي أبو ريده، القاهرة: مكتبة الخانجي، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.

مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، القاهرة: مطابع الاوفست، ط3، 1985.

محاسنة، محمد حسين، تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي، دار الأوائل، دمشق، 2001.

محاميد، حاتم محمد، التطورات في نظام الحكم والادارة في مصر الفاطمية، مطبعة اسيل، القدس، 2001.

محمود، حسن أحمد، مصر الاسلامية منذ الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001.

مرزوق، محمد عبد العزيز، الزخرفة المنسوجة في الاقمشة الفاطمية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1942.

مشرفة، عطية مصطفى، نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، لا.ت.

المعاضيدي، خاشع، دولة بني عقيل في الموصل، بغداد، مطبعة شفيق، 1968.

المناوي، محمد حمدي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف بمصر، القاهرة، لا.ت.

نصار ظافر الحداد ابن الاسكندري، الديوان، مكتبة مصر، القاهرة، 1969.

هالم، هاينز، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، ترجمة سيف الدين القصير، دار المدى، دمشق، ط1، 1999.

هنتس، فالتر، المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، عمان: الجامعة الاردنية، 1970.

يافعي، عبدالله بن اسعد، مراة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1197.

يحيى بن آدم، القرشي، الخراج، المطبعة السلفية، 1928.

المراجع العبرية المترجمة

بات نيور، يهود مصر، اصدار مكتبة معاريف، رمات غان، 1974.

شمعون شوتسفوكس، تاريخ اليهود مصر، منشورات وزارة التعليم والثقافة، القدس، 1998.

عطره صموئيل، اهل الذمة تحت الحكم الفاطمي، القدس، 1998.

محاميد حاتم، احياء السنة في مصر وسوريا، جامعة تل-ابيب، تل-ابيب، 2009.

مناحيم بن ساسون، نشوء الجالية اليهودية في بلاد الاسلام، القدس، 1996.

يعقوب ليف، اليهود في مصر في العصور الوسطى، جامعة حيفا، 1980.

المقالات والأبحاث

خالد سنداوي، الشيعة في مصر ، الصنارة، العدد 970، حيفا، 2002.

خليل الساحلي، سنو الإزدلاف، المجلة التاريخية المغربية ص 145، عدد 14، تونس، 1987.

خرايشة سليمان، الاقطاع السلجوقي في بلاد الشام، دراسات العلوم الإنسانية، المجلد 22، العدد 6، 1995.

الشيال جمال الدين، مجلة كلية الآدب جامعة الإسكندرية، 11، 1957.

مناحيم ميخائيل، الجنية القاهرية، دراسات اسلامية، جامعة تل- ابيب، مجلد 36، العدد 23، 2004.

يعقوب ليف، الحياة الاجتماعية ليهود مصر تحت الحكم الفاطمي، جامعة بار ايلان، جريدة الجامعة، العدد 42، 1999.

يهوشع فراور ، اليهود والاسلام، نبضات تاريخية، القدس، 1998.

المراجع الأجنبية

Goitein .S.D, A Mediterranean Society of the High Middle ages New York , 1967.

Goitein .S.D, The Cairo Geniza As A Source for the History of Muslim Civilaization , Studia I Slamica , V III , 1955.

Goitein .S.D, The exchange rate of gold and silver money in Fatimid and Ayyubid times, [s.n.], S. I.: 1970

Mann, Jacob, The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid caliph, New York :Ktav Pub, House, 1969.

Stern .S.M, Fatimid Decrees , Original Documents from the Fatimid chancery ,London , 1964.

المراجع العبريه:

1. עטרה סמואל – היוהדים תחת שלטון הערבים הפטמים והאיובים במצרים , ירושלים 1998 עמ' 12-13.
2. סטילמן ، יהודי ארצות ערב ירושלים 1997עמ' 40-53.
3. יעקוב לב ،יהודים במצרים ،אוניברסיטת חיפה 1980 עמ' 142.
4. בת יאור ، יהודי מצרים ، ספרית מעריב ، רמת גן ،1974،עמ'12.
5. שמעון שותספוקס،היוהדים במצרים הוצאת משרד החינוך ירושלים 1998،עמ' 92.
6. מנחם בן ששון،צמיחת הקהילה היוהדית בארצות האיסלאם،ירושלים 1996עמ' 380-383.
7. לסטר אילה ،היבטים טיפולוגיים מן התקופה הפאטמית ، חיפה 2011،עמ' 23.
8. לב יעקב ،המדינה הפאטמית،הוצאת הקובוץ המאוחד،תשע"ז עמ 143-150.
9. יהושע פרנקל،חדירת של הבדוים לארץ ישראל כתקופה הפאטמית،חיפה،1987.
10. ברנדר לואיס،היוהודים בעולם האסלאם،ירושלים،מרכז זלמן שזאר،1996،עמ' 80.
11. מחאמיד חאתם،החיאת הסונה במצרים וסוריה، תל אביב،2009،עמ' 22